الكشف عن ثروة خامنئي يستفز تحالف الفتح ص3

لحسن الداودي

وزير مغربي ضعيف أمام جشع اللوبيات

ص8

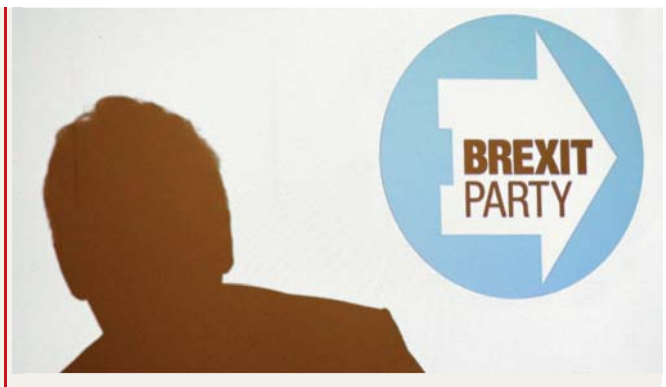

بريكست يهدد التفوق الاستخباراتي البريطاني ص7

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/04/28

23 شعبان 1440

السنة 41 العدد 11332

Sunday 28/04/2019

41st Year, Issue 11332

تركيا تترقّب إلغاء اتفاقيات الزراعة والنفط مع السودان

● أردوغان يتعهّد بتوظيف كل الإمكانيات لإفشال سقوط طرابلس

السودان الجديد يطيح بحسابات أردوغان

❑ **أنقرة** – لم يعد الحديث عن وجود أزمة بين تركيا والقيادة الجديدة في السودان مجرد تخمينات سياسية، فقد بات شبه مؤكد أن أنقرة ستفقد حظوظها في الاحتفاظ باتفاقيات ذات قيمة أبرمتها مع حكومة الرئيس السابق عمر حسن البشير، وخاصة ما تعلق باتفاقيات تهم قطاعات الزراعة والنفط والسكك الحديدية، وذلك بعد خسارة المشروع العملاق في جزيرة سواكن على البحر الأحمر.

وفيما تتعمد أنقرة عدم إظهار أي موقف تجاه القيادة الجديدة في السودان، فإن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان حسم أمره تجاه ما يجري في ليبيا متعهدا بتوظيف كل الإمكانيات لمنع تحويلها إلى ما أسماه "سوريا جديدة".

وقال أردوغان إن بلاده ستقف بقوة إلى جانب أشقائها الليبيين كما فعلت في السابق، و"ستستنفر كل إمكاناتها لإفشال مساعي تحويل ليبيا إلى سوريا جديدة".

ويعكس هذا التصعيد اعترافا بأن الأوضاع في ليبيا تسير عكس حسابات أنقرة، خاصة أنها تجد نفسها بمواجهة دعم إقليمي ودولي لعملية استعادة طرابلس بقيادة المشير خليفة حفتر من أيدي ميليشيات إسلامية موالية لتركيا وقطر.

وتترقب أنقرة في أي لحظة إعلان قرار السودان وقف العمل بالاتفاقيات القديمة.

وكشفت مصادر تركية أن رجال أعمال نافذين من محيط الرئيس التركي أبلغوا مقربين منهم بأنهم باتوا ينتظرون أنباء سيئة قادمة من الخرطوم، وأنها تخص إلغاء الاتفاق المبرم مع السودان بشأن الاستثمار في المجال الزراعي.

وفيما يكتفي الرئيس التركي بتصريحات عامة عن العلاقة مع السودان، فإن مؤشرات كثيرة تقول إن المجلس الانتقالي في السودان يتجه إلى تنفيذ رغبة الحراك الشعبي بشأن إلغاء الامتيازات الاقتصادية والعسكرية مع أنقرة التي لم تنجح إلى الآن في تجاوز حالة الصدمة ولم ترسل وفدا لاستكشاف مواقف القيادة الجديدة في السودان.

ووقعت أنقرة والخرطوم اتفاقا للتنقيب عن النفط وآخر لتخصيص الآلاف من الأميال المربعة من الأراضي الزراعية لتستثمر فيها الشركات التركية.

ووقع رجال أعمال أتراك تسع اتفاقيات لإقامة مشاريع زراعية وصناعية تشمل إنشاء مسالخ لتصدير اللحوم ومصانع للحديد والصلب، إضافة إلى بناء مطار في الخرطوم.

وأعلنت شركة تركية متخصصة في السكك الحديدية أنها ستجري دراسة الجدوى لمشروع خط السكة الحديدية (سلوم – سواكن شيخ إبراهيم) شرقي السودان.

قطر تحاول احتواء مشكلة الاضطرابات العمّالية

❑ **الدوحة** – أربكت الاضطرابات، التي لجأت إليها العمالة الأجنبية للدفاع عن حقوقها، السلطات القطرية، خاصة بعد رواج صور المواجهة بين العمال وعناصر الشرطة على نطاق واسع في وسائل الإعلام، ما اضطر الدوحة إلى البحث عن صيغة لاحتوائها، وهو ما جاء على لسان الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، شقيق أمير قطر.

وقال الشيخ خليفة بن حمد في تغريدة له على تويتر إن "الشركات والأيادي العاملة في بلادنا لها حقوق، ومبادئنا تلزمنا أن نعطي أهل الحق حقهم"، وهو من التعاليق النادرة لمسؤولين قطريين على أعلى مستوى بشأن الأوضاع الصعبة للعمال الأجانب، والتي كشفت عنها تقارير المنظمات الحقوقية الدولية ووسائل الإعلام.

ولم ينف شقيق أمير قطر الوقائع، ولم يلجأ إلى نظرية المؤامرة كما دأبت على ذلك وسائل الإعلام القطرية في التعاطي مع التقارير التي تنتقد قطر، وخاصة ما تعلق بأوضاع العمال الأجانب.

وقال الشيخ خليفة "نعم قد تحصل مشكلة أو مطالب في إحدى هذه الشركات، لكن أيضا هناك قانون والكل في بلادنا يلتزم به.. ومن له حق فليأخذه بالقانون، وأي تصرف غير منضبط ستتم محاسبته".

ويكشف هذا الاعتراف، وما تضمنه من إشارات إلى الالتزام بالقانون و"المحاسبة"، أن الدوحة صارت عاجزة عن التغطية على الحقائق أو الهروب إلى الأمام، وأنها تحاول امتصاص التأثيرات الكبيرة لأوضاع العمال بأقل التكاليف مع اقتراب موعد كأس العالم 2022، وتسليط الأضواء على استعداداتها ومدى قدرتها أمنيا ولوجستيا على استضافة تظاهرة عالمية بهذا الحجم.

ومع يأس عمّال منشآت كأس العالم من إيفاء قطر بوعودها، أطلق العشرات من العمّال احتجاجات تصدّت لها السلطات القطرية بعنف، فتحوّلت إلى أعمال شغب نجمت عنها خسائر مادية، وفق ما تظهره صور تداولتها مواقع التواصل الاجتماعي في ظل التعتيم الإعلامي الكامل من مختلف وسائل الإعلام القطرية على تلك الأحداث.

ويعزو مراقبون هذا الاحتجاج القوي، الذي أظهرته الصور المتداولة على نطاق واسع، إلى عدم استلام الرواتب وسوء السكن والطعام وانعدام التأمين الصحي وغلاء المعيشة، وأن السلطات القطرية تراهن على عامل الوقت في تنفيذ المشاريع مع اقتراب موعد التظاهرة العالمية بقطع النظر عن أوضاع العمال.

وسخر النشطاء من انصراف قناة الجزيرة القطرية بالكامل عن تلك الأحداث، وهي المعروفة باهتمامها الشديد بأي احتجاجات في الدول الأخرى ودخولها طرفا فيها بالتحريض عليها والعمل على إذكائها.

وقال أحد المغرّدين على تويتر "لم تورد قناة الجريرة خبرا واحدا عما تعرض له العمال من قمع بعد مطالبتهم برواتبهم، ولم يغرد الإخوان ومرتزقة قطر دعما للعمال المساكين، ولم يقم الإعلام الغربي ودكاكين حقوق الإنسان بالوقوف معهم"، وقال آخر إنّ "قطر ذهبت أموالها للإرهاب وصناعته".

وواجهت قطر طيلة السنوات الماضية عاصفة من الانتقادات الحادة بسبب رواج تقارير عن مواجهة العمال الوافدين والمشتغلين في إقامة منشآت كأس العالم أوضاعا صعبة. ووصل الأمر إلى وفاة أعداد منهم جراء تلك الأوضاع.

وقابلت قطر تلك الانتقادات أول الأمر بنفي اضطهاد العمال بشكل منهجي، لكنها أقرت بوجوب إدخال إصلاحات على قوانين العمل دون أن تمر عمليا إلى تنفيذ تلك الإصلاحات، خاصة أن المنظمات الدولية المعنية لم تتابع نتائج تحقيقاتها ولم تسع إلى الضغط على الدوحة بتحويل معاناة العمالة إلى قضية رأي عام ومتابعتها لدى القضاء.

الصورة التي هزمت إعلام قطر

إخوان الأردن يفقدون عرّاب الجماعة عربيات في مرحلة سياسية حرجة

● انفتاح الملك عبدالله الثاني على بقية التيارات يفقد الجماعة الوجه الجامع ● مهندس التمكين في وزارة التربية مثّل قناة دائمة مع السلطات

❑ **عمان** – وصف متابعون للشأن الأردني بأن وفاة عبداللطيف عربيات مثلت خسارة كبيرة لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن، كونه كان عراب الودّ بين الجماعة وأجهزة الدولة ومؤسساتها، وخاصة المؤسسة الملكية، وأنه كلما توتّرت العلاقة بين الطرفين كان لعربيات دور في تبريد أسباب الخلاف.

يأتي هذا في وقت تجد فيه الجماعة نفسها في وضع معقّد في ضوء انفتاح العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني على بقية التيارات ما يفقد الإخوان الوجه الجامع، خاصة أن مواقف الجماعة وأنشطتها باتت مكشوفة للديوان الملكي.

ويحسب لعربيات أنه كان صوت الحكمة داخل الجماعة، وأنه ساهم مع آخرين من الجيل الأول في منع الانزلاق إلى انقسامات متتالية. ومن شأن رحيله أن يفتح الباب مجددا أمام الصراعات على المواقع داخل التنظيم بين ما بات يعرف بالصقور والحمائم.

ويلفت المراقبون إلى أن الخسارة الأهم في رحيل عربيات هي خسارة خبرات الرجل وعلاقاته داخل الدولة، خاصة أنه عمل في مواقع متقدمة داخل مؤسسات الدولة، خاصة حينما عمل كأمين في وزارة التربية والتعليم ولعب دورا بارزا في تغيير المناهج الدراسية ما ساعد الإخوان على وضع أيديهم على إحدى أهم الوزارات.

وكان من نتائج الاختراق الإخواني لوزارة التربية والتعليم تخريج دفعات متأثرة بأفكارهم وموالية لهم، وهو ما تبدى بشكل جلي في سيطرتهم لفترات طويلة على نتائج انتخابات المعلمين والأطباء والمهندسين، واتحاد الجامعة الأردنية.

وولد عربيات عام 1933 في مدينة السلط، غربي العاصمة عمان، ودرس الهندسة الزراعية في جامعة بغداد العراقية، وأكمل دراسته العليا للماجستير والدكتوراه في جامعة تكساس الأميركية. وتقلد العديد من المناصب، كان أبرزها رئاسة مجلس النواب، في دورته الحادية عشرة من 1990 حتى 1993.

وكشفت الجماعة خلال موجة الربيع العربي في 2011 عن وجه مغاير لما كانت توهم به السلطات والشارع الأردني في السابق.

وبعد أن كانت تحرص على الظهور كطرف مكتف بالمشاركة في البرلمان، وحريص على عدم إغضاب السلطة، غيرت مطالبها بشكل مفاجئ في محاولة لاستثمار موجة الصعود الإخواني إقليميا، وهو ما حدا بالسلطات إلى تغيير تعاملها مع التنظيم الذي عمل على ركوب موجة الاحتجاجات وفرض تعديلات دستورية لتكريس نفوذه.

واتهم الملك عبدالله الثاني جماعة الإخوان بأنها "اختطفت الربيع العربي". وقال في مقابلة مع قناة "بي.بي.أس" الأميركية إن "الربيع العربي قام به شباب يسعون إلى التغيير، إلا أنه تم اختطافه لاحقا من قبل جماعة الإخوان". وكشف عن أن بلاده دعت الإخوان إلى أن يكونوا جزءا من العملية السياسية لكنهم رفضوا.

ونجح الملك عبدالله بعد فترة في احتواء الحراك لتجد الجماعة نفسها معزولة، وازدادت أزمتها مع انهيار حكم جماعة الإخوان في مصر في العام 2013، لتتعرض لموجة من الانشقاقات اتهمت حكومة عبدالله النسور (2012–2016) بالوقوف خلفها.

واستمرت فترة البرود بين السلطات الأردنية والجماعة منذ ذلك الوقت قبل أن يكسرها لقاء جمع العاهل الأردني منذ أيام بأعضاء كتلة الإصلاح النيابية التابعة للإخوان، وهو لقاء بمثابة اختبار للجماعة ومدى استعدادها للتراجع عن خيار التصعيد وتوظيف الأزمات.

هل يبقى لبنان مقاوما لـ«المقاومة»

خيرالله خيرالله

» ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الخلافات تهدد نجاح المؤتمر التأسيسي الأول لحزب «تحيا تونس»

بقاء يوسف الشاهد على رأس الحكومة يضره انتخابيا

افتتح حزب "تحيا تونس" المحسوب على رئيس الحكومة التونسية يوسف الشاهد السبت أشغال مؤتمره التأسيسي الأول. وفيما يذهب مراقبون إلى أن هذا الحزب سيلعب دورا محوريا في الانتخابات التشريعية والرئاسية المتوقعة في الخريف المقبل، يربط آخرون نجاح الحزب السياسي بمدى صموده أمام الخلافات الداخلية التي بدأت تفتك به تجنبا لمصير وأخطاء الحزب الحاكم "نداء تونس".

❏ **تونس** – عقد حزب" تحيا تونس" المقرب من رئيس الحكومة يوسف الشاهد، السبت، مؤتمره التأسيسي الأول، بعد أن استكمل مؤتمراته المحلية والجهوية.

ويريد الحزب الناشئ الذي ينافس بقوة في الانتخابات التشريعية والرئاسية، الاتعاظ من أخطاء "نداء تونس" الفائز بانتخابات 2014، وأن يفرز المؤتمر قيادات موحدة لتفادي أخطاء أحزاب سابقة، تجنبا لانشقاقات تهدد مستقبله السياسي، مع تواتر الحديث عن خلافات داخله.

وشهد الحزب موجة استقالات جماعية في مدينة الكاف قبل أيام قليلة من تنظيم المؤتمر التأسيسي، وأرجعت وسائل إعلام محلية دوافع الاستقالة إلى أسباب عديدة تتعلق بالمؤتمر "لعدم احترام الآجال المحددة من قبل الهيئة الوطنية للانتخابات لتقديم الترشحات وعدم احترام إرادة القواعد".

> إذا حسم الشاهد موقفه وتزعم حزبه «تحيا تونس» وتفرغ له وأعلن رسميا ترشحه للانتخابات، فذلك سيفيده أكثر. لكن إذا ظل بين منزلتين سيضره انتخابيا أمام تزايد الانتقادات الموجهة للحكومة نتيجة غلاء المعيشة والأزمة الاقتصادية

وخلال أشغال اليوم الأول من المؤتمر التأسيسي لحزب تحيا تونس وقع الاختيار على كمال إيدير رئيسا للمؤتمر وهاجر إدريس وهالة علولو مساعدين للرئيس. كما تم الاتفاق على اختيار سليم العزابي رئيسا للقائمة الوطنية الوحيدة المرشحة لتركيبة المجلس الوطني للحزب والتي تتكون من 100 عضو.

وأوضح وليد جلاد القيادي بحزب تحيا تونس لـ"العرب " أن "أشغال اليوم الأول ركزت على اللوائح السياسية والاقتصادية والمصادقة على النظام الداخلي، وحسب النظام الداخلي سيتولى العزابي الأمانة العامة". والعزابي هو المستشار السابق للرئيس الباجي قائد السبسي والرجل الثاني في الحزب، وهو من بين العشرات من القياديين السابقين في حزب نداء تونس ونوابه الممثلين في البرلمان الذين أعلنوا انسحابهم للانضمام إلى هذا المشروع السياسي الجديد.

وخسر نداء تونس حوالي نصف مقاعده التي فاز بها في 2014 كما خسر الأغلبية وانتهى به الأمر إلى الانسحاب من الحكم بعد موجة انشقاقات وخلافات عميقة مع رئيس الحكومة يوسف الشاهد القيادي السابق بالنداء، وخلافاته كذلك مع حليفه السابق في الحكم حركة النهضة الإسلامية.

وتواصلت أزمة حزب نداء تونس حيث أفضى مؤتمره الانتخابي الذي عقد بداية أبريل الجاري إلى انتخاب رئيسين للجنة المركزية وانقسام جديد للحزب، فيما بات يعول الشاهد على حزب تحيا تونس. وبات هذا الحزب ثاني قوة سياسية في البرلمان (44 نائبا) بعد حركة النهضة الإسلامية.

وفي 27 يناير الماضي، أعلن سياسيون وبرلمانيون تونسيون (كتلة الائتلاف الوطني 44 نائبا /217) تأسيس حزب تحيا تونس. ويقدم الحزب الجديد نفسه كحركة ديمقراطية وسطية وامتدادا للدولة الوطنية التي أسسها الزعيم الراحل الحبيب بورقيبة إبان فترة الاستقلال عن الاستعمار الفرنسي عام 1956.

ورغم أن الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي –وهو مؤسس حزب نداء تونس– مد يده للشاهد لدى افتتاحه مؤتمر النداء، وطلب من الحزب رفع تجميد عضويته، إلا أنه من المستبعد عودة رئيس الحكومة إلى الحزب كونه بات مرشحا بقوة لقيادة الحزب الجديد تحيا تونس المؤيد لحكومته.

ولم يعلن رسميا عن تزعم الشاهد للحزب الجديد، إلا أنه يُتوقع على نطاق واسع أن يكون الشخصية المحورية للحزب وأحد مرشحيه للانتخابات هذا العام. وأقر وليد جلاد بأن الشاهد زعيم سياسي للحزب غير أن الأولوية لدى الشاهد حاليا ستكون لمشاغل الحكومة، مستبعدا أن يكون له منصب تنفيذي داخل الحزب.

هاجس السلطة يشغل بال الشاهد

وربط مراقبون مدى قدرة حزب تحيا تونس على التموقع في المشهد السياسي بمدى قدرتها على الصمود أمام الخلافات الداخلية.

ولئن توقع جلاد أن ينجح حزبه في تصدر المشهد السياسي والحزبي لما يحمله من رؤية إصلاحية وباعتباره امتدادا للحركة الإصلاحية في تونس ولقدرته على تجاوز أخطاء الأحزاب الأخرى، يرى متابعون أن نتائج المؤتمر هي التي ستحسم مستقبل الحزب.

وأشار كمال بن يونس الكاتب والمحلل السياسي لـ"العرب" إلى أن "مؤتمر حزب تحيا تونس إذا مر دون خلافات أو تناقضات داخلية، سيساهم في تعديل المشهد السياسي وفي تقديم بديل عن التيار الليبرالي الوسطي بعد انقسامات حزب نداء تونس وإعلان قائد السبسي انسحابه من السباق الرئاسي مما يرشح تحيا تونس لأن يكون حزبا بديلا ولو جزئيا عن نداء تونس".

ومن ضمن التحديات التي يواجهها حزب تحيا تونس القرار الذي سيختاره رئيس الحكومة إما البقاء على رأس السلطة أو الترشح للانتخابات كزعيم للحزب.

ويقول بن يونس "إذا حسم الشاهد موقفه وتزعم حزبه (تحيا تونس) وتفرغ له وأعلن رسميا ترشحه للانتخابات، فذلك سيفيده أكثر. لكن إذا ظل بين منزلتين سيضره انتخابيا أمام تزايد الانتقادات الموجهة للحكومة نتيجة الغلاء والأزمة الاقتصادية".

ويتصدر الشاهد منذ عدة أشهر نوايا التصويت للانتخابات الرئاسية المقبلة، فيما سجل حزب تحيا تونس المحسوب عليه صعودا مفاجئا ليحتل المرتبة الثانية في نوايا التصويت للانتخابات التشريعية بنسبة 7.1 بالمئة في حين تصدرت حركة النهضة نوايا التصويت بنسبة 21.2 بالمئة حسب استطلاعات رأي محلية نشرت مؤخرا.

وأعلن حزب تحيا تونس عن انخراط ما يناهز 80 ألف شخص؛ من بينهم وزراء وكوادر وشخصيات معروفة التحقت بالحزب الداعم لرئيس الحكومة. لكن تزايد الاحتقان الاجتماعي في تونس على خلفية الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تعصف بالبلاد منذ عام 2011 يهدد حظوظ الشاهد. كما يتهمه خصومه خاصة حزب نداء تونس، التي انشق عنها، باستغلال منصبه وموارد الدولة للترويج لنفسه ولحزبه في الانتخابات الرئاسية والتشريعية المزمع إجراؤها في أكتوبر ونوفمبر القادمين. أما المعارضة فتتهمه بالفشل في إدارة الأزمة الاقتصادية وباتخاذه إجراءات شعبوية هدفها استمالة الناخبين مع اقتراب السباق الانتخابي.

وتتنافس في تونس حاليا أكثر من 210 أحزاب سياسية، قرابة 10 بالمئة منها ممثلة في البرلمان.

شتات جبهة الإنقاذ الإسلامية في الجزائر يتعمق برحيل زعيمها

جنازة عباس مدني تعيد شعارات العشرية الحمراء إلى الواجهة

صابر بليدي
صحافي جزائري

❏ **الجزائر** – استعاد الجزائريون أجواء مطلع تسعينات القرن الماضي، بعدما صدح أنصار ومتعاطفون مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ، بشعارات دوّت عموم الجزائر آنذاك، قبل أن يتدخل القيادي كمال قمازي، داعيا إياهم إلى التزام أجواء السكينة والهدوء امتثالا لآداب الجنازة، وعدم الانجرار إلى مشاعر الانفعال.

وظهر شتات جبهة الإنقاذ الإسلامية المنحلة في الجزائر، بمناسبة جنازة زعيمها عباسي مدني، الذي ورّي الثرى، السبت، في مقبرة سيدي امحمد بالعاصمة، حيث تدفق أنصار الحزب المحظور من مختلف جهات ومحافظات الجمهورية، معيدة بذلك أجواء تسعينات القرن الماضي إلى الواجهة.

وبشعارات "يا علي، يا عباس.. الجبهة راهي لباس"، و"عليها نحيا وعليها نموت وفي سبيلها نجاهد وعليها نلقى الله" انفجر الجمع الغفير الذي انتظم في محيط خيمة العزاء بوسط العاصمة، قبل أن يسير الوفد الجنائزي إلى المقبرة، في أجواء محتقنة جراء التدابير الاحترازية المتخذة من طرف الحكومة.

وشكلت وفاة القائد والمؤسس التاريخي للجبهة، فرصة لعودة شتات أكبر الأحزاب الإسلامية في الجزائر، المرتبطة بأحداث العشرية الحمراء (2000–1990)، حيث فقدت الجزائر نحو ربع مليون من أبنائها، في سنوات اقتتال بين مؤسسة الجيش ومتطرفي الجماعات الجهادية، التي لم تتبناها لكنها لم تتبرأ لا منها ولا من ذراعها المسلحة (الجيش الإسلامي للإنقاذ).

وتحولت شوارع محمد بلوزداد بالعاصمة إلى مسيرة شعبية غير معلنة انضمت إليها جموع غفيرة من الأنصار والمتعاطفين مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ، استعيدت من خلالها أجواء تسعينات القرن الماضي. فرغم دعوات الهدوء والسكينة والحفاظ على الطابع السلمية، إلا أن الشعارات التاريخية لجبهة الإنقاذ كانت تردّد بقوة. وبإيعاز من الحكومة، لم يتم السماح لأبنائه من مرافقة الجثمان من الدوحة القطرية إلى الجزائر، كما منعت عناصر الأمن الرجل الثاني في الحزب علي بلحاج، من حضور جنازة قائده ورفيقه، في إطار تدابير متخذة من طرف السلطات الأمنية للحد من حركته واحتكاكه بعموم مناضلي جبهة الإنقاذ المنحلة.

وتفادت الحكومة الانتقالية الجمع بين جنازة زعيم جبهة الإنقاذ وبين الجمعة العاشرة للحراك الشعبي، حيث تعمّدت إرجاء قدوم الجثمان إلى يوم السبت، بغية التخفيف من حدة الزخم الشعبي المنتظر، بين المتظاهرين وبين الحاضرين للجنازة.

ومع ذلك طالت الحكومة انتقادات شديدة، من طرف ناشطين وسياسيين، جراء تدابيرها الأمنية الاحترازية في الجنازة.

ولم يحدث أن ظهر الوعاء الشعبي لجبهة الإنقاذ المنحلة بهذا الشكل طيلة العقود الثلاثة الماضية، بفعل الظروف والتطورات التي عاشتها البلاد، لاسيما تدابير المصالحة الوطنية التي أضفاها الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة، حيث اضطرت قواعد الحزب إلى الانكفاء إلى الصفوف الخلفية طيلة السنوات الماضية.

واستبعد متابعون للشأن السياسي في الجزائر، أن يتحول شتات جبهة الإنقاذ الذي برز بشكل لافت مؤخرا، إلى محطة لترتيب الأوراق أو الانتظام من جديد، بسبب التفكك الذي شطر تلك القواعد بفعل مراجعات فكرية وعقائدية وأيديولوجية جرت في صمت، وجرّت أصحابها إلى الانكفاء.

ويشكل وزر مرحلة العشرية الحمراء إرثا ثقيلا على الكثير من رموز جبهة الإنقاذ، فذرائع اختراق واستغلال قوى خارجية للتيار الشعبي لجبهة الإنقاذ، لا تغفل مسؤولية قادة الحزب وعلى رأسهم الراحل عباسي مدني والمقربين منهم، في إرساء ثقافة الجهاد والتمرد العنيف، ودور مناضلي وأنصار جبهة الإنقاذ في حمل السلاح وارتكاب الجرائم في حق الجزائريين العزل.

لن ينسى الشارع الجزائري سنوات العشرية السوداء

وتبادل نشطاء على شبكات التواصل الاجتماعي، السبت، مقتطفات من تسجيلات لعباسي مدني وعلي بلحاج، تمهد الطريق لثقافة الجهاد المسلح، والمساواة بينه وبين الجهاد ضد المستعمر، وكيف كان الأنصار والمتعاطفون يرددون مصطلح الجهاد، في أحد التجمعات الشعبية خلال مطلع تسعينات القرن الماضي.

ورغم تصريحات التعاطف حتى من طرف الخصوم السياسيين والأيديولوجيين لجبهة الإنقاذ، على خلفية تعاطي الحكومة مع جنازة المدني، إلا أنهم ذكّروا الجزائريين برصيد ومسؤولية هؤلاء في مرحلة العشرية الحمراء الدامية.

ولا يزال وعاء جبهة الإنقاذ يلتزم الصمت، رغم حالة الحراك الشعبي الذي دخل شهره الثالث، ولم يشأ هؤلاء إبراز نوايا ركوب الموجة الشعبية الحالية، عكس تأطيرهم للانتفاضة الشعبية التي حدثت في الخامس أكتوبر العام 1988، ولم يظهر هؤلاء إلا في حالات معزولة في المظاهرات الاحتجاجية بالعاصمة وبعض محافظات البلاد.

وكان الرجل الثاني في الحزب علي بلحاج، قد شدد على أنصار جبهة الإنقاذ بضرورة عدم تصدر المشهد، لتفادي الصدام المتجدد مع قوات الجيش والأمن، وتفويت الفرصة على السلطة كي لا تلبس الحراك الشعبي الثوب الإسلامي، وتسوّق صورا تبرر لها استعمال القوة والعنف مجددا.

ورفض الرجل تدخل أنصاره لتحريره مما بات يوصف لديهم بـ"الحصار الأمني " المضروب عليه، والسماح له بالمشاركة في الحراك الشعبي، وهو ما يوحي بأن القيادي المذكور يريد الاصطفاف خلف الهبّة الشعبية بدل تصدرها، تفاديا لتكرار تجربة التسعينات.

وبرحيل عباسي مدني، تتجه الأنظار إلى الشخصية التي ستخلفه على رأس جبهة الإنقاذ، وإذا كانت جميع التوقعات تذهب إلى علي بلحاج، فإن مصادر مطلعة ترجح فرضية انقضاض حسابات الخارج على القيادة، لأن التوافقات على بلحاج غير مكتملة لدى هؤلاء، بسبب خلافات غير معلنة.

64 مليار دولار قيمة الاتفاقات الموقعة في قمة الحزام والطريق

❏ **بكين** – أشاد الرئيس الصيني شي جين بينغ، السبت، بالتوقيع على اتفاقات تجاوزت قيمتها 64 مليار دولار خلال قمة مبادرة الحزام والطريق بالصين، وذلك مع سعيه لطمأنة المتشككين في أن المشروع سيحقق نموا مستداما لكل الدول المشاركة فيه.

وأكد شي أن مبادئ السوق ستطبق في جميع مشروعات التعاون التي تتضمنها المبادرة التي تهدف إلى إحياء طريق الحرير القديم الذي كان يربط بين الصين وآسيا وأوروبا. وأضاف أن المبادرة ستحقق تنمية ذات مستوى مرتفع وصديقة للبيئة.

وقال في تصريحات خلال الجلسة الختامية للقمة "سينضم المزيد والمزيد من الأصدقاء والشركاء للتعاون في مبادرة الحزام والطريق...هذا التعاون سيحقق آفاقا أفضل وأكثر إشراقا". وسعى شي وكبار المسؤولين الصينيين مرارا هذا الأسبوع إلى طمأنة الشركاء والأطراف الأخرى التي من المحتمل أن تشارك في المبادرة بأن بكين لا تعتزم تحميلهم ديونا ضخمة وتريد أن تعود المبادرة بالفائدة على كل الأطراف المشاركة.

وقال البيان الختامي المشترك الصادر عن القمة إن الزعماء اتفقوا على أن يحترم تمويل المشروعات الأهداف العالمية المتعلقة بالديون، وعلى الترويج للنمو الاقتصادي الصديق للبيئة.

وأشارت الصين في بيان إلى أنها وقعت مذكرة تفاهم مع عدة دول من بينها إيطاليا وبيرو وباربادوس ولوكسمبورغ وجامايكا.

وتظهر بيانات من شركة ريفينتيف المتخصصة في نشر بيانات الأسواق المالية أن القيمة الإجمالية للمشروعات في المبادرة تقدر بنحو 3.67 تريليون دولار وتمتد في دول من آسيا وأوروبا وأفريقيا وأوقيانوسيا وأميركا الجنوبية.

وشكت بعض الدول من ارتفاع تكلفة المشروعات في المبادرة التي بدأت في 2013 فيما ترى بعض الحكومات الغربية أن المبادرة وسيلة لنشر النفوذ الصيني في الخارج وستؤدي إلى إثقال كاهل دول فقيرة بديون لا يمكن أن تتحملها.

الكشف عن ثروة خامنئي يستفز أحزابا شيعية في العراق

تحالف الفتح: يجب اعتبار القائم بأعمال السفارة الأميركية «غير مرغوب فيه»

استفز كشف السفارة الأميركية في بغداد عن حجم ثروة المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي، والتي تقدر بنحو 200 مليار دولار، القوى السياسية الشيعية في العراق الموالية لطهران، التي لم تخف امتعاضها من بيان السفارة الأميركية وأظهرت رفضا واحتجاجا واضحين على ما جاء فيه بشأن خامنئي. ودعا "تحالف الفتح" بقيادة هادي العامري وزارة الخارجية العراقية إلى اعتبار جوي هود القائم بأعمال السفارة الأميركية في بغداد "شخصا غير مرغوب فيه".

صوت إيران في العراق

❑ **بغداد** – أبدت قوى سياسية شيعية ضمن التحالفات الداعمة لرئيس الوزراء عادل عبدالمهدي، السبت، رفضها القاطع لمواقف السفارة الأميركية في بغداد تجاه قادة طهران وتحديدا المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي بعد الكشف عن حجم ثروته. وكان "تحالف الفتح" بقيادة هادي العامري، وهو من أبرز الموالين لإيران، قد دعا في وقت سابق الحكومة إلى الاحتجاج على موقف القائم بأعمال السفير الأميركي تجاه خامنئي.

وجاء ذلك، على خلفية ما نشرته الصفحة الرسمية على فيسبوك للسفارة الأميركية لدى بغداد، من معلومات تتعلق بخامنئي.

وقالت السفارة الأميركية في بغداد "يستثري الفساد في جميع مفاصل النظام الإيراني، بدءا من القمة".

> فالح الخزعلي عضو كتلة بدر البرلمانية اعتبر أن موقف السفارة الأميركية استهداف مقصود للمرجعية الدينية ويمثل استخفافا بمعتقدات الشيعة، مؤكدا عزم القوى الموالية لإيران بالرد على الموقف الذي اعتبرته مسيئا

وذكر بيان السفارة أن "ممتلكات مرشد النظام الإيراني علي خامنئي، وحده تقدر بـ200 مليار دولار، بينما يرزح الكثير من أبناء الشعب تحت وطأة الفقر، بسبب الوضع الاقتصادي المزري الذي وصلت إليه إيران بعد أربعين عاما من حكم الملالي".

وقال عمار الحكيم رئيس تحالف الحكمة (18/ 329 مقعدا) في بيان له، إن "استخدام العراق منطلقا للحرب الإعلامية أو التجارية أو السياسية يمثل انتهاكا لسيادتنا الوطنية وخرقا واضحا للأعراف الدبلوماسية المتبعة بين الدول".

وأضاف "لقد شدّدنا مرارا ونجدد تأكيدنا هنا على حيادية العراق وعدم انجراره لسياسة المحاور، وننطلق بذلك من المصلحة الوطنية العليا التي تمثل بوصلتنا في التعامل مع الجميع".

ومن جهته، قال فالح الخزعلي عضو كتلة بدر البرلمانية، السبت، إنه يجب وضع حد لـ"الاستهتار" الأميركي في العراق.

وأضاف الخزعلي في بيان أن "ما حصل من استهداف مقصود للمرجعية الدينية (خامنئي) من قبل السفارة الأميركية يمثل استخفافا بمعتقداتنا، ما يؤكد عزمنا على وضع حل لهذه الحماقة الأميركية".

وقبل ذلك بيوم، دعا "تحالف الفتح" الذي يقوده زعيم منظمة "بدر" هادي العامري الحكومة إلى اعتبار القائم بأعمال السفير الأميركي "شخصا غير مرغوب فيه"، وذلك احتجاجا على نشر معلومات تتعلق بثروة مرشد إيران علي خامنئي.

وقال تحالف الفتح الموالي لإيران، في بيان، إن هناك "إصرارا من هذا الشخص (جوي هود القائم بأعمال السفارة الأميركية في العراق) ومن خلفه إرادة صهيونية مشبوهة لتجاوز القانون والأعراف الدبلوماسية واستفزاز مشاعر العراقيين وتوتير العلاقة بين بغداد وواشنطن".

ودعا تحالف الفتح وزارة الخارجية إلى اعتبار جوي هود "شخصا غير مرغوب فيه".

وطالب التحالف في الوقت نفسه السفارة الأميركية في بغداد "بحذف هذا المنشور المسيء أولا".

وأضاف البيان "يرفض تحالف الفتح وبشدة استخدام البعثات الدبلوماسية المتواجدة على الأراضي العراقية للإساءة إلى أي دولة أو للمرجعيات الدينية". ولوّح التحالف بالرد "وفق الأطر القانونية من خلال القنوات السياسية والدبلوماسية والفعاليات الشعبية على هذا الإساءة البالغة".

ويأتي نشر المعلومات حول ثروة خامنئي في وقت تشدّد فيه واشنطن عقوباتها على إيران بسبب تورطها في تأجيج نزاعات المنطقة وبرنامجها للصواريخ الباليستية.

والاثنين، قررت الولايات المتحدة عدم تجديد الإعفاءات بشأن استيراد النفط الإيراني بحلول 2 مايو المقبل، لـ8 دول حصلت عليها في ديسمبر الماضي.

وقالت واشنطن إنها تهدف إلى "تصفير" عائدات النفط الإيراني لمنع طهران من مواصلة سياساتها التخريبية المزعزعة لأمن المنطقة.

وكانت الولايات المتحدة منحت الإعفاءات المؤقتة، لكل من تركيا، والصين، والهند، وإيطاليا، واليونان، واليابان، وكوريا الجنوبية وتايوان.

وفي مايو 2018، أعلن الرئيس الأميركي دونالد ترامب انسحاب بلاده من الاتفاق النووي، وأعاد فرض عقوبات دخلت حيّز التنفيذ في أغسطس ونوفمبر طالت صناعة النفط وعقوبات مالية ومصرفية وتجارية.

ورغم أنها تعيش أسوأ أزمة اقتصادية منذ 1979، حيث تسجل ارتفاعا في التضخم والبطالة والفقر، فإن طهران تنفق ميزانية كبيرة من الدولة على أنشطتها الخارجية خاصة لتمويل أذرع وميليشيات تعتمد كليا على دعمها المالي كالحشد الشعبي في العراق وجماعة الحوثي في اليمن وحزب الله في لبنان والذي تصنفه الولايات المتحدة كمجموعة إرهابية.

ويسيطر الحرس الثوري، الذي صنفته واشنطن مؤخرا منظمة إرهابية ويخضع لسلطة المرشد، على حوالي ثلث الاقتصاد الإيراني من خلال تحكمه بالعديد من المؤسسات والصناديق الخيرية والشركات التي تعمل بمختلف المجالات.

بوتين لا يستبعد شن هجوم شامل ضد المتشددين في إدلب

❑ **بيروت** – قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، السبت، إنه لا يستبعد شن هجوم شامل على المتشددين في محافظة إدلب شمال غرب سوريا من جانب القوات السورية مدعومة بقوة جوية روسية.

وقال بوتين، الذي كان يتحدث في بكين، إن موسكو ودمشق ستواصلان الحرب على الإرهاب وأن القصف يطال من يحاول الخروج من إدلب من المتشددين، وهو أمر قال إنه يحدث من حين إلى آخر. لكنه أضاف أن وجود مدنيين في أجزاء من إدلب يعني أن الوقت لم يحن بعد لشن عمليات عسكرية شاملة.

وقال "لا أستبعده (شن هجوم شامل) لكننا وأصدقاءنا السوريين لا نحبذ ذلك الآن نظرا إلى هذا العنصر الإنساني".

والجمعة، قتل عشرة مدنيين في غارات جوية روسية على مناطق خاضعة لسيطرة فصائل جهادية في محافظة إدلب شمال غرب سوريا، بحسب المرصد السوري لحقوق الإنسان.

من جانب آخر، قتل 22 عنصرا من قوات النظام والمسلحين الموالين لها وأصيب 30 آخرون بجروح في هجمات شنها فصيلان جهاديان في محافظة حلب شمال سوريا، وفق حصيلة جديدة للمرصد السوري لحقوق الإنسان السبت.

وقال عبدالرحمن "شنّت كل من هيئة تحرير الشام وتنظيم حراس الدين هجمات ضد مواقع لقوات النظام في ريف حلب الجنوبي والجنوبي الغربي بعد منتصف ليل الجمعة"، مشيرا إلى أن "الاشتباكات استمرت حتى ساعات الفجر الأولى وانتهت بتدخل الطيران الروسي الذي استهدف مواقع الفصائل المهاجمة".

وأسفرت الاشتباكات والغارات الروسية أيضا عن مقتل ثمانية عناصر من الفصائل الجهادية التي عادت وانسحبت إلى مواقعها، وفق عبدالرحمن.

وتسيطر فصائل إسلامية وجهادية على مناطق في ريف حلب الغربي الذي يشكل مع محافظة إدلب المجاورة وأجزاء من محافظات محاذية، المنطقة المعنية باتفاق توصلت إليه روسيا الداعمة للحكومة السورية وتركيا الداعمة لفصائل معارضة في سوتشي في سبتمبر.

وينص الاتفاق على إقامة "منطقة منزوعة السلاح" تفصل بين مناطق سيطرة قوات النظام من جهة والفصائل الجهادية على رأسها هيئة تحرير الشام من جهة أخرى، إلا أنه لم يتم استكمال تنفيذه بعد.

وتستهدف الطائرات الروسية مناطق سيطرة الفصائل، ما أسفر السبت عن مقتل خمسة مدنيين في ريف حماة الشمالي الغربي، بحسب المرصد.

أردوغان يتعهد بمواجهة الخصوم داخل حزبه

❑ **إسطنبول** – تعهد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، السبت، بمواجهة الخصوم داخل حزبه العدالة والتنمية بعدما تكبد خسائر صادمة في الانتخابات المحلية في العاصمة أنقرة ومدينة إسطنبول.

وحتى الآن يلقي أردوغان وأنصاره باللائمة في خسارتهم على تزوير في الانتخابات ارتكبته جماعات غير محددة، وقدموا سلسلة من الطعون القانونية على النتائج.

وقال أردوغان في كلمة ألقاها أثناء تجمع لحزب العدالة والتنمية "بينما نقاتل في الخارج ينبغي أن أقول إن هناك أشخاصا يسيئون لنا في الداخل أيضا". وأضاف "جميع المعلومات تصلنا، ما يحدث في كل إقليم وكل منطقة.. من أجل مستقبل هذه المنظمة سنحاسبهم. لن نتحمل تبعات أفعالهم". ولم يذكر أردوغان الخطوات التي سيتخذها.

وعقب خسارة العدالة والتنمية في الانتخابات المحلية الأخيرة، توقع مراقبون أن يحدث ذلك أزمة داخل الحزب استنادا إلى انتقاد شديد اللهجة وجهه رئيس الحكومة السابق أحمد داود أوغلو لأردوغان بسبب غياب تعطيل مؤسسات الحزب وغياب الحوار.

واعتبر مراقبون أن هذا الانتقاد العلني هو مؤشر على وجود انتفاضة بين "الحرس القديم" الذين عملوا مع أردوغان في فترة رئاسته للوزراء قبل أن يتم تهميشهم بسبب تضخم الأنا والرغبة في تجميع السلطات لدى الرئيس التركي.

وانتقد داود أوغلو، الذي كان مرشح حزب العدالة والتنمية في الانتخابات المحلية على دائرة إسطنبول، حزبه وألقى باللوم في أدائه الضعيف في الانتخابات المحلية الشهر الماضي على تغيير السياسات والتحالف مع القوميين.

وكان ذلك أول انتقاد علني شديد يوجهه داود أوغلو، العضو البارز في حزب العدالة والتنمية، إلى أردوغان منذ ترك منصبه قبل ثلاثة أعوام. وندّد رئيس الوزراء السابق بسياسات الحزب الاقتصادية والقيود التي يفرضها على وسائل الإعلام والضرر الذي قال إنه لحق بالفصل بين السلطات وبالمؤسسات، وهو في ذلك يلتقي بشكل أوضح مع موقف المعارضة التي باتت تصف حكم أردوغان بالدكتاتوري.

وذكر داود أوغلو، الذي تولى رئاسة الحكومة بين 2014 و2016 قبل أن تدب الخلافات بينه وبين أردوغان، في بيان مكتوب من 15 صفحة، "تظهر نتائج الانتخابات أن سياسات التحالف أضرت بحزبنا سواء على مستوى الأصوات أو كيان الحزب".

وفي فبراير الماضي، تحدثت أنباء عن اتفاق بين قيادات سابقة في حزب العدالة والتنمية على تأسيس حزب جديد، وعلى رأس تلك القيادات الرئيس التركي السابق عبدالله غول وأحمد داود أوغلو وسلجوق أوزداغ، وغيرهم من قيادات بارزة كانوا قد ابتعدوا عن الحزب الحاكم، وهي حركة أثارت غضب أردوغان الذي اتهمهم بالخيانة.

وتجدر الإشارة إلى أن عبدالله غول من بين المعترضين على الطريقة التي تتبعها الحكومة في السياسة الخارجية والاقتصاد، كما كان من المؤيدين للنظام البرلماني في حكم البلاد.

لكن داود أوغلو لم يشر في بيانه إلى أي احتمال لتشكيل حزب جديد، بل شدد على الحاجة إلى الإصلاح داخل الحزب. وقال "أدعو المسؤولين التنفيذيين في حزبنا والكيانات المعنية لتقييم كل هذه الأمور ورؤيتنا المستقبلية بعقلانية وهدوء". وحث على تعزيز دور المؤسسات داخل الحزب، وتشغيل آليات التشاور و"على أساس تواضعنا الذي لا يلين".

واعتبر مراقبون أن التناقضات بين القيادات الحقيقية المؤسسة لحزب العدالة والتنمية برزت بوضوح في بيان داود أوغلو.

غرور متزايد

ويبدو أن شخصية أردوغان بما تحمله من غرور لم تدفعه فقط إلى إقصاء وتصفية خصومه السياسيين من المعارضة، بل طالت كذلك قيادات حزبه وكل صوت منتقد أو معارض له ولتوجهاته.

وليس مستبعدا أن يقوم أردوغان بتغييرات جذرية في الحزب والمؤسسات التابعة لرئاسة الجمهورية، تشمل إعادة الهيكلة، ومحاسبة المقصّرين، واستبدال الفريق الحالي بفريق جديد لقيادة مرحلة استعادة مكانة الحزب عند الناخبين الذين خسر ثقتهم في الانتخابات الأخيرة. ومن المتوقع أن يكون يلدريم على رأس قائمة من سيحمّلهم أردوغان مسؤولية إخفاقات الحزب وتراجع شعبيته.

وأظهرت النتائج الأولية للانتخابات المحلية التي أجريت يوم 31 مارس فوز حزب الشعب الجمهوري المعارض برئاسة بلدية أنقرة وكذلك إسطنبول التي سيطر عليها حزب العدالة والتنمية وأسلافه من الأحزاب ذات التوجه الإسلامي لمدة 25 عاما.

وقال أردوغان "سنواصل معركتنا القانونية حتى النهاية. من المؤكد أن هناك عملية احتيال. علينا أن نحل هذه القضية حتى يتحقق السلم". وأضاف "على الرغم من أننا فزنا في الأحياء، إلا أننا سنبحث عن سبب خسارتنا في المدن الكبيرة. ينبغي أن نركز على ما نفعل وكيف نقيّم هذه العملية خاصة في المدن الرئيسية".

ويبدو أن الرئيس التركي لا يزال يمنّي نفسه وأنصاره باستعادة بلدية إسطنبول، في محاولة لرفع المعنويات التي انهارت، إثر الهزائم المدوية في إسطنبول وأنقرة وغيرهما من المدن الكبيرة.

وعزلت السلطات 150 ألفا من العاملين بالحكومة وأفراد الجيش أو أوقفتهم عن العمل لاتهامهم بالتورط في محاولة الانقلاب التي وقعت في عام 2016.

كما أدخلت أكثر من 77 ألف شخص السجون في انتظار محاكمتهم وتنفّذ عمليات اعتقال واسعة النطاق على نحو منتظم.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

مصالح واشنطن في ليبيا تدعم استقرارها

عقوبات إيران وتأثير جون بولتون وراء تغير موقف ترامب

غريغوري أفتانديليان
مستشار سابق في وزارة الخارجية الأميركية

❑ مثل سياسته تجاه سوريا، التي تكررت تناقُضاتها في سنة 2018، عدّل الرئيس الأميركي دونالد ترامب سياسته تجاه ليبيا في مكالمة هاتفية حديثة جمعته برجل ليبيا القوي، المشير خليفة حفتر.

كشف البيت الأبيض عن المكالمة التي أجريت بتاريخ 15 أبريل، بعد 4 أيام من إجرائها. واعترف ترامب، خلال المكالمة، بأهمية دور قائد الجيش الليبي المشير خليفة حفتر في مكافحة الإرهاب وتأمين موارد النفط الليبية. وناقش معه رؤية مشتركة لانتقال ليبيا إلى نظام سياسي مستقر وديمقراطي.

فسّر العديد من المحللين السياسيين هذه المحادثة بأنها تأييد للعملية التي يقودها قائد الجيش الليبي لإنهاء الانقسام وفرض السيطرة على طرابلس، التي تسيطر عليها حكومة الوفاق الوطني المدعومة من الأمم المتحدة.

> ثبات ليبيا في ظل رجل قوي، مما يزيد إنتاج النفط، سيكون عاملا مفيدا من منظور ترامب. ومن المحتمل أن يكون تعليق البيت الأبيض الذي مدح حفتر على تأمينه موارد ليبيا النفطية مرتبطا بسياسته تجاه إيران

ولفت المحللون إلى أن ترامب عبّر عن احترامه لحفتر عبر الإشارة إليه بلقب "المشير". لكنهم، لفتوا أيضا إلى أن هذا الثناء جاء بعد أسبوع واحد من تصريح وزير الخارجية مايك بومبيو أمام لجنة تابعة للكونغرس، أكد فيه أن إدارة ترامب تعارض العملية وتحث على الوقف الفوري لتقدم الجيش الليبي نحو العاصمة الليبية.

فاجأ بيان ترامب العالم، فبالإضافة إلى تناقضه مع تصريحات كبار دبلوماسيه، كانت الولايات المتحدة تدعم جهود الأمم المتحدة لتعزيز المصالحة بين الحكومتين المتنافستين في ليبيا، وصياغة دستور جديد، وإجراء انتخابات وطنية.

وإلى جانب المكالمة بين ترامب وحفتر، انضمت الإدارة الأميركية، إلى صف روسيا وعارضت مشروع قرار عرضته بريطانيا على مجلس الأمن الدولي يدعو إلى وقف فوري لإطلاق النار في ليبيا.

أثار هذا التغيير الجذري في السياسة غضب وزارة الخارجية. ونقلت مجلة "بوليتيكو" الأميركية تصريحا لمسؤول بالوزارة، لم تكشف عن هويته، جاء فيه أن الأميركيين في المنطقة هم الذين يواجهون التداعيات.

لكن، لم يدم الأمر طويلا؛ فبعد نشر تفاصيل مكالمة ترامب الهاتفية علنا، حاولت وزارة الخارجية اللحاق بالركب. وكرر بيان للوزارة صدر في 22 أبريل، مدح البيت الأبيض لحفتر. لكنه أضاف أن جميع الأطراف تحتاج إلى "العودة إلى العملية السياسية". ويبدو هذا البند الأخير محاولة لتهدئة النقاد.

تقف أسباب عديدة وراء هذه السياسة المنقلبة، منها أن يضع ترامب سياساته دون التفكير في تداعياتها، كما كان الحال مع سوريا. ويبدو أنه لا يحترم نهج العمليات المشتركة بين الوكالات الذي اتبعه الرؤساء الآخرون. وسبق أن تحدث هو نفسه إلى مراسل سنة 2018، قائلا إنه الشخص الوحيد المهم في إدارة السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

ويمكن أن تكون مصر قد لعبت دورا في تعديل موقف ترامب، حيث جاءت مكالمته لحفتر بعد فترة وجيزة من زيارة الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي إلى البيت الأبيض. ويعتبر السيسي مؤيدا قويا لحفتر.

من الأسباب الأخرى الأكثر إقناعا، دور مستشار الأمن القومي جون بولتون، محفز السياسة الأميركية الجديدة تجاه ليبيا، وهو الذي يرى في حفتر المنقذ "على الحصان الأبيض".

طوال تاريخه السياسي، لم يهتم بولتون بمواقف الأمم المتحدة. وبالتالي، لا يهتم بقلق مسؤوليها من مدح ترامب لحفتر ودعمه للعملية العسكرية التي يقودها.

دعم محلي وإقليمي ودولي للجيش الليبي

وليست هذه المرة الأولى التي ينتصر فيها مستشار الأمن القومي على وزير الخارجية، إلا أن هذه السياسة تعكس تزايد تأثير بولتون على ترامب.

والحديث عن تأثير بولتون يحيل إلى إيران، التي تأتي بشكل غير مباشر على قائمة أسباب تغيّر السياسة الأميركية في ليبيا. كان بولتون دعا بقوة إلى فرض حظر عالمي كامل على صادرات النفط الإيراني بعد أن أعلنت الإدارة إلغاء الإعفاءات الممنوحة للدول التي تشتريه. ويدرك بولتون حاجة الدول الأخرى إلى ضخ المزيد من النفط لتعويض العجز والحفاظ على استقرار الأسعار. وعلى الرغم من أن الإدارة الأميركية طلبت من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة زيادة الإنتاج لتفادي هذه التهديدات، إلا أن الأمر لن يكون كافيا.

فقد ارتفع سعر النفط بنسبة 43 بالمئة منذ بداية السنة الحالية، ويتوقع خبراء النفط أن تتفاقم الأوضاع في هذا القطاع مع حلول العام المقبل، الذي ستجرى فيه الانتخابات الرئاسية الأميركية.

لذلك، سيكون ثبات ليبيا في ظل رجل قوي، مما يزيد إنتاج النفط، عاملا مفيدا من منظور ترامب. من المحتمل أن يكون تعليق البيت الأبيض الذي مدح حفتر على "تأمينه موارد ليبيا النفطية" مرتبطا بسياسته تجاه إيران.

لا يمثل تغيير ترامب لسياسته الجديدة تجاه ليبيا في المستقبل القريب أمرا مفاجئا، إذ تتطور سياساته مع تغيّر الأوضاع. ويعتبر السيناريو السوري مثالا على ذلك، حيث غيّر ترامب من سياساته رغم تأكيده أنه لن يتراجع عنها وأن قراراته نهائية.

وزير داخلية باكستان الجديد يثير تساؤلات عن دولة «الإصلاحات»

❑ **إسلام اباد** – أثار تعيين البريغادير المتقاعد إعجاز شاه وزيرا للداخلية في باكستان انتقادات حادة، خاصة من جانب حزب الشعب الباكستاني المعارض الذي كانت زعيمة الحزب السابقة الراحلة بينظير بوتو تعتبره عدوا لدودا، فيما اعتبره محللون ترسيخا لسطوة الجيش على السلطة بما يتنافى مع حديث رئيس الوزراء عمران خان عن باكستان الجديدة وإصلاحاتها المرتقبة.

وقال بعض المحليين إن اختيار شاه يشير إلى استمرار نفوذ الجيش الباكستاني القوي على الإدارة المدنية، وهو زعم قائم منذ تولي خان منصبه قبل ثمانية أشهر نفاه قادة الجيش ونفته حكومة عمران خان، التي ترى أن التعيين يأتي وفق الضرورات التي تفرضها المرحلة الراهنة وإستراتيجية الأمن القومي التي تسعى إسلام أباد لتنفيذها.

وجاء التعديل الوزاري الواسع في وقت تسعى فيه باكستان لجذب الاستثمار الأجنبي وتقديم نفسها كدولة إصلاحات. لكن المنتقدين يرون أن ضم شخصية تنتمي إلى "المدرسة القديمة" مثل شاه يظهر أن شيئا لم يتغير تقريبا.

ووزير الداخلية الباكستاني الجديد، الذي عينه عمران خان في إطار تعديل وزاري واسع، هو مدير سابق للمخابرات وحليف مقرب إلى آخر حاكم عسكري للبلاد وتكال له اتهامات منذ زمن بأنه على صلة قوية بجماعات متشددة.

وقال شاه في مقابلة مع هيئة الإذاعة البريطانية (بي.بي.سي) بعد تعيينه "أي قوة تلك التي يمكن أن أمنحها للجيش كوزير للداخلية؟ لقد تركت الجيش منذ فترة طويلة. أنا مدني وقد شاركت في الانتخابات".

وكان شاه أحد أربعة أعضاء في المؤسسة العسكرية المدنية ذكرتهم بوتو بالاسم في رسالة مكتوبة إلى الرئيس آنذاك برويز مشرف قبل أشهر من اغتيالها، وقالت إنهم مشتبه بهم يجب التحقيق معهم إن هي تعرضت للقتل.

ويشتبه الكثير من الباكستانيين منذ فترة طويلة أن عناصر من أجهزة المخابرات تواطأت مع المتشددين في واقعة اغتيال بوتو في هجوم بالأسلحة النارية والقنابل في مدينة روالبندي في ديسمبر عام 2007.

وألقى تحقيق أجري في ذلك الوقت بالمسؤولية على قيادي في طالبان باكستانية متحالف مع تنظيم القاعدة. وفي عهد مشرف، الذي انتزع السلطة في انقلاب وقع عام 1999 حين كان قائدا للجيش واستمر في الحكم حتى عام 2008، كان شاه مديرا لجهاز المخابرات العسكرية في إقليم البنجاب، ثم تولى لاحقا منصب مدير مكتب المخابرات المدنية.

> التعديل الوزاري الواسع يأتي في وقت تسعى فيه باكستان لجذب الاستثمار الأجنبي وتقديم نفسها كدولة إصلاحات. لكن المنتقدين يرون أن ضم شخصية تنتمي إلى «المدرسة القديمة» مثل شاه إلى الحكومة يظهر أن شيئا لم يتغير تقريبا

وأشرف إعجاز شاه على استسلام المتشدد المطلوب عمر سعيد شيخ الذي دبر خطف وقتل دانيال بيرل مراسل صحيفة وول ستريت جورنال في عام 2002.

وأسهم ذلك في ترديد مزاعم بأنه كان مقربا إلى جماعات إسلامية تعمل على الحدود التي تغيب عنها سلطة القانون مع أفغانستان، حيث تواجه أجهزة الأمن الباكستانية اتهامات منذ أمد بعيد باللعب على الحبلين. وقالت الكاتبة والمحللة عائشة صديقة التي تنتقد الجيش الباكستاني إن "الجدل الأكبر يكمن في صلاته مع التشدد الأفغاني وشخصيات مثل عمر سعيد شيخ... يبدو إلى حد بعيد أنه من اختيار قائد الجيش".

وفي السياق ذاته تحدث المحلل السياسي عامر أحمد خان قائلا إن "تعيين إعجاز شاه يعزز فكرة أن شيئا لم يتغير في السياسة الباكستانية"، فيما يقول مراقبون إن عمر خان يؤكد من وراء هذا التعيين أنه ماض في خططه، مشيرين إلى أن بعضها يتطلب التعاون مع رجال "الحرس القديم" والاستفادة من خبرتهم، وخصوصا من خبرة رجال الاستخبارات.

عمران خان يستنجد بخبرات المخضرمين حتى لو كانوا محل جدل

سريلانكا تحظر جماعتي التوحيد الوطنية وملة إبراهيم

❑ **كولومبو** – أعلنت سريلانكا حظر جماعتي "التوحيد الوطنية" و"ملة إبراهيم" الإسلاميتين، للاشتباه في مسؤوليتهما عن التفجيرات الدامية التي هزت البلاد الأحد الماضي، واعتبرت من أشرس الهجمات في منطقة جنوب آسيا، وشارك فيها تسعة انتحاريين قادهم زهران هاشم، زعيم "جماعة التوحيد".

وجاء في بيان للرئيس السريلانكي، مايثريبالا سيريسينا، أن حظر جماعتي "التوحيد الوطنية" و"ملة إبراهيم" يأتي بموجب قانون الطوارئ الساري في البلاد منذ التفجيرات، مشيرا إلى أن جماعة "التوحيد" المتطرفة هي المشتبه به الرئيسي في الهجمات، التي استهدفت 3 كنائس و4 فنادق، في العاصمة كولومبو وضواحيها، مخلفة 253 قتيلا ونحو 500 مصاب، بالتزامن مع احتفالات المسيحيين بعيد الفصح.

وأعلنت السلطات في وقت سابق أن زهران هاشم، المعروف بخطاباته الإرهابية على وسائل التواصل الاجتماعي، قتل في التفجيرات، مشيرة إلى أنه "عقلها المدبر". وأضافت أن هاشم كان يخطط للهجوم على المفوضية العليا الهندية في العاصمة كولومبو، في وقت سابق من أبريل الجاري، إلا أن العملية أحبطت.

وواجهت القيادة في سريلانكا انتقادات حادة لتجاهلها تحذيرات من أجهزة المخابرات الهندية، ثلاثة على الأقل منها في أبريل. لكن الطريق الذي سلكه زهران على مدى سنوات ليتحول من مثير للمشاكل في الصغر إلى عقل جهادي مدبر في الكبر مليء بمؤشرات لم تُرصد أو يُلتفت إليها على خطورة هذا الرجل الأكرش كث اللحية.

فقد نما تفسيره المتشدد للإسلام داخل أقلية مسلمة مهمشة تمثل نسبة لا تتجاوز عشرة في المئة من سكان البلاد البالغ عددهم نحو 20 مليون نسمة في دولة نامية تعاني خللا وظيفيا. وفي معظم سنوات شبابه أثار زهران (33 عاما) جدالا داخل طائفته المسلمة نفسها. وفي عصر الإنترنت لم تعد المشكلة قاصرة على الداخل، فقد نشر زهران مقاطع فيديو يدعو فيها إلى الجهاد ويهدد بسفك الدماء.

وبعد التفجيرات، أعلن تنظيم الدولة الإسلامية المسؤولية ونشر مقطع فيديو يظهر فيه زهران ممسكا ببندقية ويقف أمام راية التنظيم السوداء ويبايع زعيم التنظيم. لكن، لم تتضح بعد حقيقة العلاقة بين زهران والدولة الإسلامية على وجه الدقة. وقال مسؤول بجهاز الأمن الهندي إن ضباطا بوكالة التحقيقات الوطنية وجدوا خلال مداهمة استهدفت خلية لتنظيم الدولة الإسلامية هذا العام نسخا لمقاطع الفيديو التي تصور زهران. وجرت المداهمة في ولاية تاميل نادو الهندية التي لا يفصلها عن سريلانكا سوى شريط رفيع من مياه المحيط.

وكثفت قوات الأمن عملياتها بحثا عن متطرفين بعد أن أعلن تنظيم الدولة الإسلامية مسؤوليته عن الاعتداءات. وبالتزامن مع إعلان حظر جماعتي "التوحيد الوطنية" و"ملة إبراهيم"، أعلنت الشرطة السريلانكية السبت مقتل 15 شخصا خلال عملية نفذتها قوات الأمن وشهدت تفجير ثلاثة انتحاريين أنفسهم وتبادلا لإطلاق النار. وبينما كان العسكريون والشرطيون يحاولون اقتحام موقع يُعتقد أنه مخبأ لتنظيم الدولة الإسلامية في بلدة كالموناي بشرق البلاد، والتي يشكل المسلمون غالبية سكانها، فجّر ثلاثة رجال أنفسهم ما أدى إلى مقتل ثلاث نساء وستة أطفال.

وأقرّت الحكومة السريلانكية بوجود ثغرات استخباراتية كبيرة رغم تأكيد رئيس الوزراء رانيل ويكريميسينغي أنه لم يكن على علم بأي تحذيرات قبل الاعتداءات، في مؤشر على النزاع على السلطة بينه وبين الرئيس السريلانكي مايثريبالا سيريسينا. وقال لشبكة "بي.بي.سي" البريطانية "لو كان لدينا علم ولم نتخذ أي إجراء، لكنت قدمت استقالتي فورا".

وحاول سيريسينا إقالة ويكريميسينغي العام الماضي، ويعتقد خبراء أن الخلاف بين الرجلين لعب دورا في فشل سريلانكا في التحرك بناء على تحذيرات استخباراتية صدرت قبل أسابيع من الاعتداءات. وقال رئيس أساقفة كولومبو الكاردينال مالكولم رانجيث إنه يشعر بأنه تعرض لـ"خيانة" بسبب فشل الحكومة في التصرف بعد تلقيها تحذيرات.

هل يبقى لبنان مقاوما لـ«المقاومة»

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ انسحبت القوات السورية من أرض لبنان في السادس والعشرين من نيسان – أبريل 2005. أخرج السوريون دمّ رفيق الحريري ولا شيء آخر غير ذلك. كان ذلك بعد شهرين واثني عشر يوما على اغتيال الرجل الذي يرمز إلى المحاولة اليتيمة، منذ العام 1975، لإعادة الحياة إلى لبنان وإيجاد مكان له على خريطة الشرق الأوسط.

هل أخرج اللبنانيون السوري من لبنان كي يحل مكانه الإيراني؟ يطرح هذا السؤال نفسه بحدّة في العام 2019 بعدما تبيّن أن هناك محاولة إيرانية جدّية لاستكمال وضع اليد على لبنان الذي يكتشف المواطن العادي فيه أنّه يتجه أكثر فأكثر إلى أن يصبح جزءا لا يتجزّأ من "محور الممانعة" المضحك – المبكي. هذا المحور ليس في واقع الحال سوى غطاء تستخدمه إيران من أجل المضي في مشروعها التوسّعي. إنّه مشروع الذي لا أفق له خصوصا أنّه قائم على إثارة الغرائز المذهبية.

> ما زال لبنان يقاوم. لكنّ الواضح أن مقاومة اللبنانيين لـ«المقاومة» تشارف على نهايتها في ظلّ غياب عربي عن البلد وغياب أي دعم حقيقي لمن لا يزال يقول لا للوصاية الإيرانية

دفع رفيق الحريري غاليا ثمن تلك المحاولة التي بدأت بإعادة إعمار وسط بيروت بصفة كونه قلب لبنان. من السهل على الذين لا يريدون فهم المعادلة الجديدة في لبنان تجاهل أن البلد ما كانت لتقوم له أي قيامة، ولو لبضع سنوات بين 1992 و2005، لولا رفيق الحريري وهوسه بلبنان.

يعتبر ما نشهده حاليا في لبنان، في ذكرى مرور أربعة عشر عاما على انسحاب السوريين، نتيجة طبيعية لسلسلة الانقلابات التي تعرّض لها البلد من أجل إحلال الوصاية الإيرانية مكان الوصاية السورية – الإيرانية. ليس سرّا أن الأمين العام لـ"حزب الله" الذي ليس سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني، عناصره لبنانية، كان أول من أطلق شعار "شكرا سوريا". كان ذلك في الثامن من آذار – مارس 2005. لم يكن مضى شهر على اغتيال رفيق الحريري عندما دعا "حزب الله" إلى تظاهرة كبيرة في وسط بيروت دعما للنظام السوري.

خطب حسن نصرالله في المتظاهرين. كان عنوان خطابه "شكرا سوريا". هل كان يريد بالفعل بقاء الجيش السوري في لبنان أم كان يشكر بشّار الأسد على توفيره كلّ الأسباب التي ستؤدي إلى خروجه العسكري والأمني في لبنان كي تتمكن إيران من ملء الفراغ؟

ردّ اللبنانيون على الأمين العام لـ"حزب الله" بأكبر تظاهرة شهدها البلد منذ استقلاله في يوم الرابع عشر من آذار – مارس 2005. أدت تلك التظاهرة إلى جلاء القوات السورية وأدت إلى إطلاق سمير جعجع من سجنه وعودة ميشال عون من منفاه الباريسي. كانت تلك لحظة تاريخية يظهر اليوم أنها ضاعت، كما أنها لن تتكرّر.

الأكيد أن اللبنانيين يتحملون مسؤولية إضاعة تلك اللحظة في وقت كان الاعتقاد السائد أن النظام السوري وحده وراء جريمة اغتيال رفيق الحريري. تبيّن لاحقا، استنادا إلى القرار الاتهامي للمحكمة الدولية الخاصة بلبنان، أن الجريمة عملية مشتركة لا يبدو "حزب الله" بعيدا عنها.

من سلسلة الاغتيالات التي استهدفت اللبنانيين الشرفاء، من سمير قصير إلى محمّد شطح، وصولا إلى حرب صيف 2006 ثم الاعتصام في وسط بيروت وغزوة العاصمة والجبل الدرزي، في أيار – مايو 2008، بقي الهدف واحدا. هذا الهدف هو بكلّ بساطة الوصول إلى مرحلة يتوقّف فيها لبنان عن مقاومة ما يسمّى "المقاومة"، وذلك عبر تشريع سلاح "حزب الله".

يشكّل موضوع سلاح "حزب الله" المطلوب إيجاد شرعية له، على طريقة تبييض الأموال، تتويجا لسلسلة الانقلابات التي حصلت في لبنان ابتداء من الرابع عشر من آذار– مارس 2005 وما تلاه من خروج للجيش السوري من لبنان. لولا تلك الانقلابات لما وصل لبنان إلى مرحلة يتحدث فيها وزير الدفاع من الجنوب عن الحاجة إلى إستراتيجية دفاعية بعد زوال الأخطار الإسرائيلية. معنى هذا الكلام أن سلاح "حزب الله"، أي سلاح إيران في لبنان، باق إلى الأبد. من وجهة نظر هذا الوزير، لن يكون هناك يوم لا يعود فيه سلاح شرعي واحد في لبنان هو سلاح الجيش اللبناني ما دامت الأخطار الإسرائيلية موجودة. من يحدّد متى لن تعود هناك أخطار إسرائيلية ما دامت إسرائيل قائمة؟

لم يجد الوزير الذي ينتمي إلى فئة معيّنة لا تؤمن بالكيان اللبناني من يردّ عليه في هذه الظروف الحرجة التي يمرّ بها البلد. هذا أمر مؤسف يدلّ على فقدان السياسيين اللبنانيين، خصوصا المسيحيين منهم، الحس بالمسؤولية. لا يشبه فقدان الحس بالمسؤولية في السنة 2019، سوى ذلك المرض الذي عانى منه الزعماء المسيحيون، باستثناء ريمون اده، في العام 1969، أي قبل خمسين عاما بالتمام والكمال. اسم هذا المرض هو رئاسة الجمهورية. حال ذلك المرض دون تشكيل جبهة مسيحية موحّدة للتصدي لاتفاق القاهرة في وقت كان هناك خوف لدى كثير من الزعماء المسلمين من هذا النوع من الاتفاقات التي تشير إلى تخلّي الدولة اللبنانية عن سيادتها على جزء من أراضيها، تماما كما هي الحال الآن مع سلاح "حزب الله" وكلّ ما يرمز إليه.

لا شكّ أن الزعماء المسلمين يتحمّلون بدورهم مسؤولية كبرى عن الوصول إلى اتفاق القاهرة، خصوصا عندما قرّر رئيس الوزراء رشيد كرامي الاعتكاف، لكنّ مسؤولية الزعماء المسيحيين الذين وافقوا على الاتفاق هي في المستوى نفسه. أسوأ ما في الأمر أن الزعماء المسيحيين كانوا يعرفون تماما ما سيترتب على تشريع السلاح الفلسطيني في لبنان، لكنّ كرسي رئاسة الجمهورية جعلهم يقدمون على خطوة ستترتب عليها نتائج في غاية الخطورة. لا تزال تفاعلات هذه الخطوة مستمرّة إلى يومنا هذا بعدما حلّ سلاح "حزب الله" مكان السلاح الفلسطيني. هذا السلاح الذي يتدخل في سوريا ويخوض، إلى جانب النظام، حربا على الشعب السوري، يريد أن يفرض على اللبنانيين ما هو أسوأ من السلاح الفلسطيني. ظهر ذلك جليّا بعد قانون الانتخابات الأخير الذي تلا انتخاب رئيس للجمهورية هو قبل كلّ شيء خيار "حزب الله".

مرّ نصف قرن على اتفاق القاهرة. ما زال لبنان يقاوم. لكنّ الواضح أن مقاومة اللبنانيين لـ"المقاومة" تشارف على نهايتها في ظلّ غياب عربي عن البلد وغياب أي دعم حقيقي لمن لا يزال يقول لا للوصاية الإيرانية. هل من أمل للبنان الذي يعاني من أزمة اقتصادية لم يشهد يوما مثيلا لها؟ الجواب بكل بساطة أن الخوف على لبنان يأتي من العجز عن حماية نفسه أمام العاصفة التي تبدو المنطقة مقبلة عليها. ستغيّر هذه العاصفة الكثير في الشرق الأوسط، بما في ذلك قدرة إيران على الاستمرار في مشروعها التوسّعي.

هل لا يزال لبنان قادرا على إيجاد طريقة للملمة أوضاعه الداخلية... أم أن أوان ذلك فات، خصوصا أن مرض كرسي رئاسة الجمهورية ما زال ينخر جسد زعمائه من المسيحيين خصوصا؟ هؤلاء لم يفهموا، في معظمهم، إلى الآن، معنى خروج القوات السورية من لبنان ولماذا لا يزال عليهم تفويت الفرصة على إيران كي لا تكون صاحبة الوصاية على البلد...

لبنان من الوصاية السورية إلى الوصاية الإيرانية

النظام السوري يختنق اقتصاديا

رانيا مصطفى
كاتبة سورية

❏ يعاني النظام السوري من الانكماش الاقتصادي؛ وتبين أن لشح المحروقات خلال الأزمة الأخيرة دورا أساسيا في ذلك، بعد توقف الخط الائتماني الإيراني منذ 15 أكتوبر الماضي.

كان هذا الخط يورّد ما يقارب ناقلتين شهريا، تحتوي الواحدة على مليون برميل من النفط الخام، تُكرر في مصفاتي حمص وبانياس، وتوفر 90 بالمئة من حاجة الاستهلاك المحلي للوقود في مناطق سيطرته، والباقي يحصل عليه من شرق الفرات، وجزء شحيح من فنزويلا توقف نتيجة الأوضاع الأخيرة هناك.

اعترف النظام السوري منذ عشرة أيام بعجزه عن تأمين المحروقات، إذ يحتاج يوميا إلى 136 ألف برميل بقيمة 200 مليون دولار، ولا يملك السيولة من القطع الأجنبي لسد العجز، مع تسريبات عن نفاد الاحتياطي النقدي في البنك المركزي، ولا تستطيع وزارة النفط السورية تأمين أكثر من 24 بالمئة من الاحتياجات الفعلية من المحروقات، حسب تصريحات حكومية.

ومنذ اندلاع الاحتجاجات الشعبية في سوريا في 2011، راهن كثير من الناشطين على الضغوط الاقتصادية التي سيواجهها النظام، بسبب تضرر القطاعات الإنتاجية والتجارية. لكن التدخل الإيراني أنقذ النظام؛ حيث فتحت طهران خطا ائتمانيا إلى دمشق، تجاوزت قيمته حتى الآن الـ5.5 مليار دولار، كديون يترتب دفعها على دمشق، فيما بلغت مجمل ديون إيران 20–22 مليار دولار، عدا عما دفعته من رواتب للمقاتلين بلغت 40 مليار دولار.

لكن العقوبات الاقتصادية الأميركية أنهكت إيران، حيث تقترب مدة الإعفاء الممنوحة لثماني دول، تستورد النفط من طهران، من الانتهاء، مع رفض الرئيس الأميركي دونالد ترامب تجديدها، ومع فرض عقوبات على الحرس الثوري الإيراني، والذي ترتبط به معظم القطاعات الاقتصادية والتجارية في إيران، إضافة إلى الاحتجاج الشعبي الداخلي بسبب الأزمة الاقتصادية، والتي فاقمتها أزمة السيول.

كل ذلك دفع إيران إلى إعادة رسم إستراتيجيتها في سوريا والمنطقة؛ إذ لم تعد قادرة على تقديم المزيد لحكومة دمشق، دون مقابل فوري، حصّلته باستئجار ميناء اللاذقية مؤخرا مقابل تسوية الديون المترتبة على الجانب السوري.

تشعر طهران برغبة الجميع في خروجها من سوريا، وربما لم تراهن على البقاء عسكريا، لكنها تريد تحصيل مكاسب تتعلق بعقود إعادة الإعمار، وبالتواجد في المياه الدافئة في البحر المتوسط، إضافة إلى عودة العمل بعقود استثمار الفوسفات شرق تدمر لمدة 99 سنة، بعد إيقافها من قبل روسيا، واستحواذ شركة إيرانية تابعة للحرس الثوري على مشغل ثالث للهاتف النقال، و5 آلاف هكتار من الأراضي للزراعة والاستثمار.

وقبل أسبوعين، منعت الحكومة المصرية سرا مرور ناقلات النفط الإيرانية عبر قناة السويس، بإيعاز من الرئيس ترامب بعد لقائه بالرئيس المصري عبدالفتاح السيسي. فيما قصف التحالف صهاريج قادمة من العراق، كانت تحمل النفط إلى مناطق النظام، ما يعني صعوبة نقل النفط الإيراني برا.

وفي مناطق شرق الفرات، الخاضعة لسلطة الإدارة الذاتية الكردية المدعومة من التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة، التي تشكل ثلث مساحة سوريا، وتضم 90 بالمئة من النفط ونصف الغاز السوري، قد توقف توريد النفط السوري إلى مناطق النظام بإيعاز أميركي، لتشكيل ضغوطات على نظام الأسد وروسيا وإيران.

وتراجع إنتاج تلك المناطق من 360 ألف برميل يوميا قبل 2011، إلى 24 ألف برميل، وكانت تصرّف عبر حكومة النظام في السوق المحلية، باتفاق شبه رسمي، عبر وسيط "شركة قاطرجي الدولية" الخاضعة لعقوبات أوروبية، بحيث تحصل الإدارة الذاتية على 60 بالمئة من عائدات بيع النفط محليا، مقابل 40 بالمئة للنظام. الأمر الذي أفقد الإدارة الذاتية موردا ماليا رئيسيا؛ فيما نشطت حركة التهريب إلى مناطق النظام، رغم الملاحقات من الإدارة الذاتية، ومن التحالف، وأدت إلى ارتفاع سعر المحروقات شرق الفرات بحدود 10 آلاف ليرة للبرميل.

وغير ذلك سيحاول النظام إيجاد طرق للالتفاف على العجز الحاصل في أزمة المحروقات، لكنها محدودة التأثير، عبر عمليات تهريب متفق عليها، سواء من شرق الفرات، أو من مناطق المعارضة، حيث تنشط حركة التهريب من معابر العيس والمنصورة في ريفي حلب الجنوبي والغربي، والمنافذ المؤقتة في خطوط التماس بين المعارضة والنظام، الأمر الذي أدى إلى رفع سعر المشتقات النفطية في إدلب أيضا بما يقارب 10 بالمئة، فيما ظهرت أزمة نقص في الغاز، أدت إلى ارتفاع سعر الاسطوانة في السوق السواء إلى 7000 ليرة.

أمّا جهات التهريب الأوفر حظا فهي من الأراضي اللبنانية؛ لكنها أيضا محكومة بالمراقبة الأميركية، كونها ستؤدي إلى ارتفاع سعر المحروقات، خاصة البنزين، في لبنان أيضا، بشكل ملفت للانتباه. قدمت روسيا العون العسكري للنظام، ودعما سياسيا في مجلس الأمن؛ مقابل بناء قواعد عسكرية في اللاذقية وطرطوس، حيث نصبت منظومتي الدفاع الجوي إس– 400 وإس– 300، إضافة إلى عقود استثمار الفوسفات والغاز، واستعدادها لإدارة ملف إعادة الإعمار، وبرضا كل الأطراف الدولية والإقليمية، الولايات المتحدة وإسرائيل وتركيا وأوروبا والعرب، لكن بعد التوصل إلى حل سياسي.

لكن موسكو غير مستعدة لتقديم دعم مالي للنظام السوري، على غرار ما فعلت إيران، بسبب تردي وضعها الاقتصادي، نتيجة العقوبات الأميركية، وانخفاض سعر النفط.

والاتفاق الأخير الذي جرى بين نائب رئيس الوزراء الروسي، يوري بوريسوف، والنظام السوري، في دمشق الأسبوع الماضي، حول توسيع اتفاق استثمار القاعدة العسكرية البحرية في طرطوس، الموقع بين روسيا والحكومة السورية في 2016، لتشمل كامل ميناء طرطوس السوري، جاء لمصلحة روسيا، مقابل تدخل سريع لحل مشكلة الوقود، عبر شحنات النفط الروسية، بعد توقف توريد النفط إلى أوكرانيا. لكن كلفة نقل النفط الروسي مرتفعة؛ والنظام بدوره يستغل أزمة المحروقات الأخيرة، لرفع الدعم عنها؛ حيث ستدرّ لبرلة قطاع النفط أموالا هائلة على خزينته، ما سينقذه من حالة أزمته لبعض الوقت.

هذه الخطوة ستكون كارثية على الشعب السوري، الذي يعاني بالأصل من صعوبة المعيشة؛ إذ تفيد أرقام البنك الدولي بأن 87 بالمئة من السوريين يعيشون تحت خط الفقر، وتراجعت نسبة الطبقة الوسطى من 60 بالمئة إلى أقل من 10 بالمئة، ما يهدد إمكانية إرساء الاستقرار، وينبئ بفوضى واحتجاجات شعبية مستقبلية.

المزاج العام عامل مهم لفهم المتغيرات في دول العالم

صعود الشعبوية وثورات الربيع العربي انعكاس لتبدل مزاج الشعوب

محمود زكي
كاتب مصري

❏ يشهد العالم تحولات سياسية واجتماعية متصاعدة وعلى عدة مستويات ومظاهر كاليمين المتشدد وتفشي الإرهاب والتطرف وكذلك ارتفاع موجات الاحتجاجات الشعبية في مجتمعات متعددة، وتوسع رقعة رفض الآخر وتراجع أفكار الانفتاح والحدود المفتوحة؛ وهي مسألة جعلت بعض خبراء السياسة، ومن بينهم الكاتب الأميركي ويليام جالتسون، يرصدون عوامل غير تقليدية في عالم الترجيح السياسي، ومنها ظاهرة المزاج العام والانفصال الحاصل بين الطبقات السياسية وبقية المجتمع.

تنبع هذه الظاهرة من نظرية الرأي العام وفلسفة تحريك أصوات الجماهير بصورة نفسية اجتماعية يكون لها التأثير المطلق على سيكولوجية الجماهير عموما. ويفسر العالم السياسي ويندي راين في كتابه "علم النفس السياسي"، أن دراسة الجانب النفسي للناخبين، وفهم الأبعاد الشخصية للمواطنين جزء أساسي مكون للنجاح السياسي في الاستحقاقات الانتخابية وتمرير القوانين، كالمواد الضريبية مثلا.

ويرى ويليام جالتسون أن تحديد غالبية المواطنين للمرشح الذي يؤيدونه في الانتخابات هو قرار شخصي، لكنه لا يعتمد فقط على الحسابات العقلانية، ولكن أيضا على المشاعر والحدس، وهي عوامل تبدو غير مرئية لكنها موجودة في كل مكان. ويقول الكاتب إن السياسي الناجح هو الذي يستطيع فهم هذا المزاج ويجعله يعمل لصالحه.

وتذهب الكثير من الأمثلة لتؤكد ذلك. ولعل المثال الأبرز كان استيعاب الرئيس الأميركي فرانكلين روزفلت عام 1932 حالة المزاج العام في الولايات المتحدة، والتي تلخصت في الإحساس بالخوف والرغبة في تجديد ثقة البلاد في قدرتها على مواجهة المشاكل الاقتصادية الخطيرة، لذا تبنى مشروعات للاستثمار في البنية التحتية لتعظيم فرص العمل وتجديد الثقة في القدرات.

> أهم المؤثرات التي بلورت الرأي العام العالمي في العقود الأخيرة، تمثلت بدخول مواقع التواصل الاجتماعي كعنصر فعال في توحيد المزاج العام بقوة وتأصيله على نحو غير مسبوق

وفي انتخابات عام 1980، كان الأميركيون قد سئموا من حالة الفشل التي شهدتها البلاد، مثل حرب فيتنام وفضيحة ووترغيت والركود الاقتصادي والفشل في تحرير الرهائن الأميركيين من سفارة بلدهم في طهران في عهد الرئيس جيمي كارتر. وأدى ذلك إلى ضعف ثقة المواطنين في الحكومة بمستويات غير مسبوقة. وفي هذه الظروف، جاء الممثل رونالد ريغان، بصورته الهوليوودية، وتحدث عن أن الحكومة هي المشكلة ومن ثم ضرورة الحد من دورها، وقد لقي حديثه هذا قبولا أوصله إلى البيت الأبيض.

ويُجيب إسقاط نظرية المزاج العام على الوضع الراهن على الكثير من الأسئلة حول أسباب التحولات العالمية ومن بينها صعود النبرة اليمينية.

وكان وصول الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى حكم الولايات المتحدة مصحوبا بحالتين؛ الأولى عالمية وكانت بشكل مقترن بصعود الإرهاب وتدفق اللاجئين وعدم شعور المواطنين بالأمن. والثانية محلية مرهونة بحالة يأس أميركية عامة من الأوضاع الاقتصادية والسياسية.

وتكرر المشهد في عدد من بلدان العالم، ومنها إيطاليا. إذ وظف حزب رابطة الشمال اليميني المتطرف بزعامة ماتيو سالفيني خلال الحملة الانتخابية، الهواجس الأمنية والترهيب من ظاهرة الهجرة، ثم معاداة قواعد اعتبرها مضرة بإيطاليا، في إطار الاتحاد الأوروبي، مع استغلال سوء إدارة الحزب الديمقراطي الحاكم، ليتلاعب بمشاعر الناخبين ويحقق فوزا ساحقا يضعه على رأس حكومة يمينية في قلب أوروبا.

الشعب يعيد تشكيل المشهد وفق مزاجه

قد يؤدي سوء فهم المزاج العام أيضا إلى نتائج عكسية قد تعصف بالحكومات. وتمثل قضية انفصال بريطانيا عن الاتحاد الأوروبي أحد النماذج الدالة على ذلك. حيث لم يفهم ديفيد كاميرون رئيس الحكومة البريطانية السابق حالة التذبذب التي تمر بها بلاده، والانشقاق في الآراء حول الهوية الأوروبية ليظن أن التلاعب بورقة الانفصال يصب نحو المزيد من المكاسب ليصطدم بأنها كانت سببا مباشرا في الإطاحة بحكومته.

ويقول مصطفى رجب، أستاذ العلوم السياسية، إن دخول مؤثرات جديدة على المزاج العام، جعلت منه أداة سياسية فعالة لترجيح كفة قوى سياسية على حساب الأخرى.

وقد يكون البعض محظوظا بتغيّر مزاج المواطنين لصالحه دون قصد، مثلما عاشت حكومات أوروبا الليبرالية في الثمانينات مع فشل التجربة الشيوعية وانهيار الاتحاد السوفييتي بعدها، دفع ذلك وقتها رؤساء حكومات، مثل رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر والمستشار الألماني هيلموت كول، إلى الاستمرار في حكم بلدانهم لعقد كامل رغم الإخفاقات السياسية.

ويوضح رجب في تصريحات لـ"العرب"، أن أهم المؤثرات التي بلورت الرأي العام العالمي في العقود الأخيرة، تمثلت بدخول مواقع التواصل الاجتماعي كعنصر فعال لتوحيد المزاج العام بقوة وتأصيله على نحو غير مسبوق، كظهور نزعات ثورية وانتفاضات شعبية في بلدان عدة، مثل رومانيا والبرازيل ودول الربيع العربي، ومؤخرا في السودان والجزائر.

ولا يختلف تأثير حالة المزاج العام عن الحياة السياسية في البلدان العربية. ويمكن ربط ما طرأ على هذا المزاج بالتغييرات التي تشهدها المنطقة منذ خروج التونسيين ضد النظام الذي حكمهم بقبضة من حديد لسنوات طويلة في أواخر 2010، ثم انتشار الشعلة في أكثر من بلد عربي، في سابقة لم تعشها المجتمعات العربية منذ ثورات الاستقلال.

ووصلت حالة الإحباط والسخط والغضب لدى التونسيين والمصريين والليبيين والجزائريين والسودانيين وغيرهم، إلى ذروتها، الأمر الذي سبّب انفجارا شعبيا هز أركان هذه الأنظمة وأسقطها.

لكن رغم ما تشهده المنطقة، لا يبدي السياسيون فيها، خصوصا في الدول التي شهدت تغييرات، اهتماما بقراءة حالة المزاج العام مثل استخدام استطلاعات الرأي بشكل موضوعي ودون خلفيات سياسية بشكل يساعد على قراءة ما يصبو إليه هذا المزاج، أو الارتكان عليها لتحليل طبيعة هذا المزاج بدل الآراء الشخصية أو المقولات النظرية أو التاريخية منتهية الصلاحية.

المملكة السعيدة صدّرت ما يكفي من البؤس للعالم

طارق القيزاني
صحافي تونسي

❏ تعتمد شبكة حلول التنمية المستدامة التابعة للأمم المتحدة في تقريرها السنوي لمؤشر السعادة العالمي عوامل رئيسية في تصنيفها للدول مثل متوسط العمر والدعم الاجتماعي ونسب الفساد.

ترتبط تلك العوامل في النهاية بمدى قدرة السلطة والحكومة على الالتزام بأهداف التنمية والحوكمة التي تحددها في برامجها. وهذا الترابط يذكّرنا دائما بنشأة المجتمعات التعاقدية التي وضع أسسها فلاسفة الأنوار منذ القرن السابع عشر وأصبحت منذ ذلك الحين تنظم علاقة السلطة بالشعوب على قاعدة الالتزام والقانون وليس المشاعر.

في المجتمعات الرأسمالية الغربية يدفع المواطنون البريطانيون والأوروبيون بمن في ذلك المهاجرون، الضرائب ليكونوا سعداء بمعايير التنمية المستدامة التي لا تخرج عن أولوية الدفاع عن مصالحهم وعن الخدمات. لهذا يخرج البريطانيون إلى الشوارع ليعدّلوا السياسات الحكومية وليفرضوا البريكست دفاعا عن مصالحهم وسعادتهم أيضا.

لقد اجتهد رواد العلوم الإنسانية على مدى قرون لفهم ظاهرة الإنسان وترويضها ووضعها على المحك العلمي والرياضي لكنهم اكتفوا في النهاية بالتأويل بدل التفسير. وفي عصر المجتمعات التعاقدية التي نعيش في كنفها اليوم فإن مفهوم السعادة لا يخرج عن كونه حالة ذاتية ونسبية وغير قابلة للترويض القطيعي.

وفي مطلق الأحوال فإنه ليس من باب الوجاهة التعاطي مع تصنيفات الأمم المتحدة كأخبار ترفيه مضللة تسوّقها وسائل الإعلام لجمهور يقف على طرفي نقيض من مسألة تعريف مفهوم السعادة بحد ذاتها.

وبالعودة إلى تصنيف شبكة حلول التنمية المستدامة لهذا العام والذي وضع الدول الاسكندينافية في مقدمة الدول السعيدة، فإنه سيكون من الغباء الأخذ بالمفهوم الشعبي والسطحي المتداول للسعادة وإلا فإن معايير الاندماج الثقافي والاجتماعي والمناخ وحركات التطرف اليمينية في هذه الدول قد تصبح لوحدها عوامل قاتلة للسعادة، لاسيما في المجتمعات متعددة الأعراق أو التي تستقطب أعدادا كبيرة من اللاجئين والمهاجرين الباحثين عن الأمن والسعادة، ومن بينها بريطانيا أساسا.

إذا أخذنا بالمعيار الأخلاقي فإن السعادة المفترضة للشعوب تصبح فاقدة لمعناها إذا ما ارتبطت نتيجتها بتعاسة شعوب أخرى تم قهرها أو سحقها أو استنزاف مقدّراتها وتدمير حضارتها. وهذه المعادلة تدفع بشكل دائم إلى استحضار جزء كبير من التاريخ البريطاني القاتم والقائم على هذه الثنائية.

بشيء من الجدية، البريطانيون لم يخرجوا مثلا للاحتجاج في الشوارع ضد كذبة أسلحة الدمار الشامل التي روّج لها رئيس الوزراء السابق توني بلير وتسببت في ما بعد بتدمير ممنهج لبلاد الرافدين سيستمر المؤرخون في الحديث عنه في القرون المقابلة بقدر حديثهم عن اجتياح هولاكو في القرون الوسطى.

لم يدفع البريطانيون مملكتهم إلى تصحيح سياستها الخارجية وأخطائها التاريخية في الشرق الأوسط منذ اتفاق سايكس بيكو والتقسيمات الجغرافية والإثنية التي تسببت بها في آسيا وشبه الجزيرة الهندية. هي أصلا لم تعلن حتى اليوم اعتذارها عن مجازر كثيرة ارتكبها الجيش الاستعماري وسلاح الجو الملكي، وهذا بحد ذاته أبقى على جراح غائرة لدى شعوب كثيرة في الأرض اكتوت بالاستعمار البريطاني.

في شهر أبريل من هذا العام مثلا أحيت الهند الذكرى المئة لمجزرة أمريتسار التي سقط خلالها الآلاف من العزل ومن بينهم نساء وأطفال برصاص الجنود البريطانيين بدم بارد خلال تجمع حاشد، وهي المجزرة التي غيّرت في تقدير المؤرخين مسار الكفاح الهندي من أجل التحرر.

في غياب "الاعتذار الصريح" فإن أكثر ما يمكن أن تقدمه بريطانيا الرسمية اليوم إلى الهند والشرق الأوسط وأفريقيا لا يتجاوز مشاعر الأسف والندم، لكن هذا لا يسمح في كل الأحوال بإعادة كتابة التاريخ كما عبّرت عن ذلك الملكة. كما لا يمكن من وجهة نظر أخلاقية أن يكون مصدر سعادة وفخر للبريطانيين كما لا يتوجب أن يكون مصدر إلهام وتسويق للمهاجرين على مرأى ومسمع من شعوبهم الأصلية.

فإذا نجحت بريطانيا في صناعة رفاهة شعبها وسعادته فإنها نجحت كذلك في ترسيخ علامات البؤس خارج المملكة بما يكفي لجعل أغلب الدول المصنفة بذيل قائمة مؤشر السعادة من ضحايا الإمبراطورية الاستعمارية التي تحكّمت حتى مطلع القرن العشرين برقاب ربع سكان الأرض وسيطرت على ربع مساحتها.

تفشي الفساد يؤرق التونسيين في غياب إرادة قوية لمحاربته

الحبيب مباركي
كاتب تونسي

❏ عاد ملف الحرب على الفساد ليتصدر واجهة الأحداث في المشهد السياسي في تونس مع بداية العدّ التنازلي للانتخابات الرئاسية والتشريعية ودخول الأحزاب ومرشحي الرئاسة غمار جولة التسويق الانتخابي قبل الموعد المحدّد في نهاية العام الجاري.

وأحدث حلقات هذا الملف، الجدل الذي صاحب إعلان رئيس الحكومة يوسف الشاهد عن بدء العمل ببطاقة العلاج الإلكترونية في خطوة قال إنها تأتي للحدّ من حالات الفساد في قطاع التأمين العمومي على المرض.

أثار هذا النوع من الخدمات الجديدة في قطاع الصحة العمومي ردود فعل قوية وتباينت آراء المعلقين حوله، بين من يرى أنه لا يتعدى حدود تلميع صورة الحكومة ورئيسها، وبين من يذهب إلى الإقرار بأن مشروع الرقمنة للخدمات العمومية الذي انتهجته الحكومة وشمل العديد من القطاعات هو أكبر تحدّ تخوضه الدولة لمحاربة الفساد.

ويقر محامون في القانون بأن الحرب على الفساد في تونس أخذت منحى لا إراديا بالنسبة للحكومة المطالبة باجتثاث هذه الظاهرة ومحاسبة المتورطين في قضايا فساد. فيما يذهب ناشطون في المجتمع المدني إلى أن الحكومة تتعامل بسياسة الكيل بمكيالين وأنها تسخّر كل وسائلها لخدمة مصالحها وتصفية حسابات سياسوية في الحرب التي تزعم أنها تخوضها على الفساد.

وتتحدّث الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد في تونس عن نسب مئوية عالية في الفساد، بل إن تونس تقدّمت مراتب على قائمة الدول الأكثر فسادا في العالم. وأثر ذلك على كل مناحي الحياة السياسية والحزبية.

وكان أكرم السبلان، مدير المكتب الإقليمي في برنامج الأمم المتحدة، دعا إلى ضرورة وضع حوكمة خاصة بكل قطاع حتى تتمكن تونس من محاربة الفساد على أرض الواقع.

ويعلق عمر بالهادي، الأستاذ في العلوم الاجتماعية والإنسانية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، على هذه الظاهرة بقوله إن "الفساد مرض إذا تفشى يصعب القضاء عليه بسهولة، حيث يصبح عقلية وسلوكا وقيمة ومبدأ في المواقف والسلوك والممارسة والقضاء عليه يتطلب أجيالا".

في ظل مشهد متأزم للخدمات العمومية في تونس بدءا من الكوارث الطبية المميتة مرورا بوضع قطاع التعليم المتدهور الذي وصل إلى التخوم وفتح المجال لخاصرة رخوة من التعليم الديني الموازي ولظواهر سلبية باتت تهدد جيلا كاملا، وصولا إلى قطاع النقل الذي يعيش هو الآخر حالة ركود ومأساة حقيقية يعبّر عنها الأسطول المتهاوي لشركات النقل العمومي بالعاصمة الكبرى وضواحيها، يضيّع حلم استفادة التونسيين من التغيير.

اختصار المشهد في القطاعات الثلاثة لا يمكن أن يوقف عدّاد استشراء ظاهرة الفساد وتغوّلها في تونس. لكنها في الأساس ثلاثة قطاعات حيوية وعماد الاقتصاد لأي بلد يحاول النهوض من كبوته على غرار تونس. هذه القطاعات يقع تدميرها بطريقة متقنة وبكيفية مقنّنة. تغوّل الفساد في هذه القطاعات لم يعد يسمح بهامش الإصلاح إن وجدت النية أصلا.

ويقول بالهادي في تصريح لـ"العرب" حول من يقف وراء ظاهرة الفساد في تونس "في كل أزمة ينتشر الفساد وتستغله شرائح كبيرة للإثراء السريع واحتلال مناصب فاعلة للتأثير في ما بعد. ففي الأزمات تصعب الرقابة، ويذهب الاهتمام إلى ميادين أخرى سواء كانت سياسية أو أمنية. أما طبيعة الذين يكونون وراءه فهم كل الذين لهم مصلحة في الفساد والإفساد، سواء كان ذلك في القطاع العمومي أو الخاص".

> ناشطون في المجتمع المدني يرون أن الحكومة تتعامل بسياسة الكيل بمكيالين وأنها تسخّر كل وسائلها لتصفية حسابات سياسوية في الحرب التي تزعم أنها تخوضها على الفساد

ويضيف حول الأسباب الكامنة وراء انتشار هذه الظاهرة أن "المصلحة تتمثل في الحصول على منافع كبيرة دون أي جهد وفي فترة وجيزة كما تتمثل كذلك في تخريب القطاع العام والمرفق العمومي لجر الناس للقطاع الخاص طوعا ودون أي تردد أو مقاومة وهنا نجد من لهم مصلحة في القطاع الخاص بتعاون مع الذين يحصلون على منافع فردية ويعملون بالقطاع العام وكذلك مع الطرف الثالث المواطن الذي يكون مستعدا لدفع ما يطلب منه للحصول على مبتغاه بكل الوسائل الشرعية وغير الشرعية".

"أشد ما يؤرقني هو طريقة تعامل الحكومة مع محاربة الفساد.. إنها لا تحارب الفاسدين الكبار، لا تحارب رؤوس الأموال وأصحاب البطون الكبيرة، هذه المصيبة"، كان هذا جواب عدنان المصباحي، شاب تونسي متحصل على شهادة جامعية ولا يزال عاطلا عن العمل.

ويقول المصباحي لـ"العرب"، إن "الحكومة التونسية لا تبدي نية حقيقية في محاربة الفساد وهي ليست أسما على مسمى مثلما أطلقت على نفسها في بداية تشكيلها في 2016 'حكومة حرب على الفساد'. ويتساءل "أين الحرب؟ لم نر حربا، ما شاهدناه كان مجرد تجميل للتظاهر بأنها تحارب الفساد".

ويتحدث نوفل المشاقي، الناشط في المجتمع المدني والعضو في حزب التيار الديمقراطي، عن كيفية اشتغال منظومة الفساد في تونس، قائلا لـ"العرب" إن "الفساد في تونس امتداد لمنظومة فساد قديمة تشتغل تحت غطاء الحكومة والقانون".

ويقر بأن "المشكلة أن هذه المنظومة تفرعت بعد الثورة وأنتجت خلايا فقدت الدولة التي كانت ترعاها سابقا السيطرة عليها، فأصبح الفاسدون ذئابا منفردة كالإرهابيين".

حالة الفساد في تونس، كما العديد من الدول العربية الأخرى، مستعصية تعايَشت مع أركان الدولة وفرضت نفسها طرفا لا حياد عنه ضمن منظومة اشتغالها مما عسّر آليات البحث عن الظاهرة واستئصالها. ذلك أنها قديمة ومتغلغلة في ثنايا الأجهزة، وحتى وإن كان هناك استثناء فإنه يحسب على بعض الضمائر الحيّة دون سواها والتي تنظر بعين الريبة والتحسر أملا في اجتثاث دابر هذه اللوبيات والضرب بقوة في حصونها البعيدة للنهوض بالدولة.

بريكست يهدد التفوق البريطاني في مجال الاستخبارات

مغادرة الاتحاد الأوروبي تعني فقدان منجم معلومات توفرها وكالة اليوروبول ونظام شنغن

المخابرات البريطانية قد لا تبقى قوة خارقة إلا في الأفلام

من روايات جون لو كاريه إلى أفلام جيمس بوند الشهيرة، تظهر بريطانيا كمنتجة للجواسيس المتفوقين، وفي ذلك جانب من الحقيقة. فمنذ الحرب العالمية الثانية، مثّل عمل ضباط المخابرات البريطانية أحد المصادر الرئيسية لقوة المملكة المتحدة. لكن هذه القوة والشهرة مهددتان اليوم –شأنهما شأن مختلف القطاعات البريطانية– بالبريكست.

❑ **لندن** – سلّطت الحملة الترويجية الأخيرة للنسخة الخامسة والعشرين من سلسلة أفلام الجاسوس جايمس بوند الضوء على المخابرات البريطانية باعتبارها قوة استخباراتية خارقة، ودفعت كثيرين إلى وضعها في سياق الجدل الذي يثيره البريكست وتأثيراته على مختلف المؤسسات البريطانية والتساؤل عن مدى تأثر هذا الجهاز الحساس بانسحاب بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.

يجيب على هذا التساؤل كالدر والتون، في تحليل نشر في أحدث أعداد مجلة فورين بوليسي، أوضح فيه أن هذه القوة وأسسها في خطر بسبب بريكست، الذي سيخلف سلسلة من التداعيات ستمس من قدرات الاستخبارات البريطانية.

ويفسر والتون ذلك مشيرا إلى أن بريطانيا ستعزل خارج مؤسسات الاتحاد الأوروبي التي لعبت دورا أفاد أمنها القومي. كما أصبحت علاقتها مع الولايات المتحدة في هذا المجال مهددة، فقد تتحول الولايات المتحدة إلى السعي نحو تعميق علاقاتها مع بروكسل بدلا من المملكة المتحدة. لكن، على الرغم من أن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي أصبح أمرا شبه حتمي، إلا أن المملكة المتحدة قد تجد طرقا أخرى لتجنب هذه النتيجة. وتتعامل أجهزة المخابرات البريطانية مع المخابرات الأمنية المحلية والأجنبية، وتركز مكاتب الاتصالات الحكومية البريطانية على استخبارات الإشارات.

القسم الخامس

تأسس القسم الخامس (المخابرات الحربية) وجهاز الاستخبارات البريطاني سنة 1909. وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914، كانت الوكالتان تعانيان من نقص في الموارد: بلغ عدد موظفي المكتب الخامس 17 فردا. لم يتحسن وضع الوكالتين إلا مع بداية الحرب العالمية الثانية سنة 1939. يظهر تاريخ القسم الخامس الداخلي الذي رفعت عنه السرية أنه في عشية الحرب، لم يكن في قسم مكافحة التجسس التابع للوكالة سوى ضابطين مسؤولين عن الإمبراطورية البريطانية والكومنولث.

لم تعرف الوكالتان حتى اسم جهاز المخابرات العسكرية الألمانية، أبفير. خلال الحرب، حققت الاستخبارات البريطانية نجاحات غير مسبوقة ضد دول المحور. وترجع أغلب هذه الانتصارات إلى الإنجازات التي تحققت في حديقة بلتشلي التي كانت حينها المقر الرئيسي لعمليات فك الشيفرة السرية لدول المحور. هناك، نجح البريطانيون مع حلفائهم في فك شيفرة من آلة إنغما الألمانية. أتاح هذا الإنجاز معلومات عن ألمانيا النازية فاقت كل المعلومات التي تلقتها الحكومات عن بلدان أخرى.

لأهمية هذا النجاح التاريخي، رأى بعض المؤرخين أنه اختصر الحرب العالمية الثانية وأنه أنقذ العالم من عامين إضافيين من النزاع الدامي.

وتظهر ملفات رفعت عنها السرية أن لجنة الاستخبارات المشتركة نصحت رؤساء الوزراء المتعاقبين بالانضمام إلى أوروبا لأهمية ذلك لمستقبل بريطانيا الاستراتيجي. تمثل هذه اللجنة أعلى هيئة لتقييم الاستخبارات في بريطانيا.

ورأت في توحيد المملكة مع جيرانها في القارة الطريقة الوحيدة التي تستطيع بها البلاد الهروب من الركود الاقتصادي الذي تعاني منه، وحماية علاقاتها الخاصة مع واشنطن التي تقيمها حسب علاقاتها داخل أوروبا. وفقا لسجلات في مكتبة جون كينيدي الرئاسية، تعتبر الولايات المتحدة لندن حليفا يشاركها بعض وجهات نظرها، ويتكلم نفس لغتها، وقادرا على فرض نفوذه على الأعضاء الآخرين في الكتلة الأوروبية. انضمت المملكة المتحدة إلى الجماعات الأوروبية سنة 1973، اكتسبت بعدها القدرة على الإدلاء بآرائها في القرارات الأوروبية الكبرى التي أثبتت فائدتها للولايات المتحدة في قضايا إستراتيجية وعسكرية وتجارية.

لكن، إذ غادرت المملكة المتحدة الاتحاد الأوروبي، ستقل أهمية لندن لدى واشنطن من الناحية الإستراتيجية. ومن المحتمل أن يبدأ المسؤولون الأميركيون بالتساؤل عما إذا كانت الولايات المتحدة تحتاج حقا إلى بريطانيا أو ما إذا كان من الأفضل تقوية علاقاتها الاستخباراتية مع الاتحاد الأوروبي وبروكسيل على حساب المملكة.

يشير مؤيدو خروج بريطانيا إلى أن وكالات الاستخبارات البريطانية ستواصل العمل مع أعضاء الاتحاد الأوروبي على أساس ثنائي، وليس مع الاتحاد الأوروبي ككل. وبذلك لن يحدث البريكست أي فرق على هذا المستوى.

لكن والتون يرى أن نظرتهم المتفائلة تقلل من الأثر الحقيقي الذي سيخلفه الخروج على الأمن القومي البريطاني. استفادت المملكة المتحدة من العضوية في هيئات الاتحاد الأوروبي مثل وكالة اليوروبول المختصة في مجالات مكافحة الجرائم الدولية الكبيرة والإرهاب، ونظام شنغن لتبادل المعلومات الذي يزودها بمعلومات عن الاتجار بالبشر والجرائم الخطيرة الأخرى ذات الصلة بأمن الحدود وتنفيذ القانون.

استخدمت بريطانيا هذه البيانات لتعقب الضباط الروس الذين تورطوا في حادث تسميم عميل المخابرات السابق سيرجي سكريبال وابنته يوليا، في مدينة سالزبوري سنة 2018. إذا غادرت المملكة المتحدة الاتحاد الأوروبي، ستفقد بريطانيا القدرة على الوصول إلى مثل هذه المعلومات.

ويعتبر هذا أحد أسباب تحذير رؤساء الاستخبارات البريطانية السابقين العلني من أن ترك الاتحاد سيضر بأمن البلاد، قبل استفتاء سنة 2016. منذ ذلك الحين، زادت فوضى الخروج من مخاوفهم. فوسط الخلاف الدبلوماسي الحالي، قد تنتهي بريطانيا خارج الاتحاد الأوروبي دون اتفاق أو تنازلات يمكن أن تخفف من حدة العملية.

بعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، سيتعين على أجهزة الاستخبارات التكيف. تبقى آمال الوكالات معلقة بمكاتب الاتصالات الحكومية البريطانية الرائدة عالميا في مجال الاستخبارات الرقمية. وكشف الموظف السابق في وكالة الأمن القومي الأميركية، إدوارد سنودن، عندما سرب تفاصيل برامج المراقبة السرية لصحيفتي الغارديان البريطانية وواشنطن بوست الأميركية سنة 2013، عن مدى تعاون مكاتب الاتصالات الحكومية البريطانية مع وكالة الأمن القومي، واستغلالهما لمنصات الإنترنت في جمع المعلومات الاستخباراتية.

على الرغم من تجاهل دورها، كانت مكاتب الاتصالات الحكومية البريطانية أول من حدد وحذر المخابرات الأميركية من مجموعة القرصنة الروسية، فانسي بير، التي شنت هجمات إلكترونية استهدفت اللجنة الوطنية الديمقراطية سنة 2016.

دعم التقنيات الرقمية

ويقول نيغل انكستر، المسؤول البارز السابق في الاستخبارات الخارجية البريطانية –وهو الآن مدير المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية– "إننا سنفقد الدخول على مجموعات البيانات المهمة".

ويتحدث انكستر عن مبادرة "سجل بيانات الركاب" ومعلومات بطاقات الائتمان وبيانات اتصالات الهواتف المحمولة باعتبارها معلومات متبادلة تحكمها اتفاقات أوروبية. لكن مؤيدي بريكست –مثل وزير العمل والتقاعد البريطاني السابق أيان دنكان سميث– يؤكدون أنه سيجعل بريطانيا أكثر أمانا.

في المقابل يتوقع كالدر والتون أن تعمل بريطانيا على مضاعفة قدراتها في مجال التقنيات الرقمية.

ويبدو أنها بدأت ذلك بالفعل. وتنظم مكاتب الاتصالات الحكومية البريطانية والمركز الوطني للأمن السيبراني وجهاز الاستخبارات البريطاني حملات توظيف وتدريب على المهارات الإلكترونية.

ويشير جهاز الاستخبارات البريطاني إلى أن التجسس البشري التقليدي مهم حتى مع تطور المجال الرقمي. سيمثل تعيين عملاء داخل مجموعات الأمن السيبراني الأجنبية طريقة أساسية لكشف أسرارهم.

وأقرت الإستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني في بريطانيا للفترة الممتدة بين 2016 و2021 لأول مرة قدرة البلاد على شن قرصنة هجومية.

ويتمثل أحد المجالات المستقبلية للمخابرات البريطانية في تعزيز القدرات على شن هجمات عبر الإنترنت على تهديدات دولية أو غير حكومية، مثل هجوم فيروس ستكسنت الذي يعتقد أنه من صنع إسرائيل والولايات المتحدة.

قوة تقليدية

يظهر التاريخ قدرة جواسيس بريطانيا في تحويل نقاط ضعفهم إلى نجاحات مذهلة، كما فعلوا في بداية الحرب العالمية الثانية. وقد تكرر الحرب السيبرانية هذا السيناريو، خاصة وأن بريطانيا لا تحتاج قوة عسكرية تقليدية من الصعب عليها تحمل تكلفتها مع تبنيها الطويل لسياسات التقشف. ويرى والتون أنه يمكن أن تجد المخابرات البريطانية مجالا آخر للتطور. يتمثل ذلك في التركيز على الدفاع ضد المعلومات المضللة.

تفتقر معظم البلدان إلى إستراتيجية فعالة للتعامل مع هذا التضليل. لكن، تمتلك بريطانيا نموذجا مفيدا أثبتت نجاحه.

خلال الحرب الباردة، قدمت دائرة الدعاية المناهضة للاتحاد السوفييتي في البلاد، استجابات مبنية على الحقائق وسريعة وواضحة للمعلومات المزورة التي بثها الكي جي بي. ويوفر هذا نموذجا ستطوره بريطانيا ليتماشى مع عصر وسائل التواصل الاجتماعي.

حتى الآن، لم ترفع السرية عن سجلات تبين ذلك. لكن، تمتلك بريطانيا تاريخا طويلا من التجسس على حلفائها، إذ اعترض منتهكو الشفرات البريطانيون الرسائل الأميركية قبل دخولها الحرب العالمية الأولى والثانية.

ربما جعل التعاون السياسي الاستثنائي وواسع النطاق، الذي أتى مع عضوية الاتحاد الأوروبي، تجسس بريطانيا على أوروبا محفوفا بالمخاطر (والعكس صحيح).

وبمجرد مغادرة الاتحاد الأوروبي، ستتحرر بريطانيا من هذه القيود. منذ بدء محادثات خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، أشارت شائعات إلى أن الاستخبارات البريطانية كانت تستهدف مفاوضي الاتحاد الأوروبي.

لكن، تبقى التهديدات الخارجية المشتركة مثل روسيا والصين، وتهديدات نشوب حرب باردة جديدة، حافزا لمواصلة تعاون الوكالات البريطانية والاتحاد الأوروبي.

وخلص والتون إلى أن البريكست سيجبر أجهزة المخابرات البريطانية على الإجابة عن أسئلة غير مريحة لم تضطر إلى مواجهتها منذ الحرب العالمية الثانية، من ذلك سؤال: ما الذي يمكن أن تقدمه بريطانيا أفضل مما يقدمه الآخرون؟ في هذا السياق يمكن أن تكون الإجابة عبر الاستثمار في الاستخبارات الرقمية التي قد تكون أفضل مخرج للندن (ربما المخرج الوحيد وفق والتون) من أزمة البريكست.

كالدر والتون

> بريكست سيخلف سلسلة من التداعيات ستمس من قدرات الاستخبارات البريطانية. فبريطانيا ستعزل خارج مؤسسات الاتحاد الأوروبي التي لعبت دورا أفاد أمنها القومي

قيادي في العدالة والتنمية يبرع في فعل الشيء ونقيضه

لحسن الداودي

وزير مغربي ضعيف أمام جشع اللوبيات

● جشع شركات الاستثمار في قطاع المحروقات في المغرب وفشل الحكومة في تسقيف ثمنها، يعودان كما يقول العارفون بخبايا الأمور إلى جبن الوزير الداودي في الدفاع عن مصالح المواطنين.

● الداودي المنتمي لحكومة يقودها حزبه العدالة والتنمية وزير يقول الشيء ويفعل نقيضه وخرجاته وتصريحاته كثيرا ما تجلب له انتقادات بالجملة.

محمد ماموني العلوي

❑ يوصف بالوزير سريع النرفزة والغضب رغم بشاشة وجهه، يمتاز بكثرة الكلام دون فعل، وعوده غير مدروسة ولم يتحقق منها شيء لفائدة المجتمع والدولة، سواء عند توليه منصبه السابق كوزير للتعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر أو موقعه الحالي.

لحسن الداودي وزير الشؤون العامة والحكامة المغربي المثير للجدل الذي يقول الشيء ويفعل نقيضه وخرجاته وتصريحاته كثيرا ما تجلب له انتقادات بالجملة. فهذا الوزير المنتمي إلى حكومة يقودها حزبه العدالة والتنمية بدل أن يبدع حلولا عملية بالنظر إلى صلاحياته، يجده المواطنون مثالا للتناقضات واللعب على حبال الجميع.

لا يعرف شيئا عن الفقراء

الداودي ولد عام 1947 بفم أودي ببني ملال، صعد إلى مصاف القيادات المتحمّلة للقرار الاقتصادي والاجتماعي وهو متسلح بعدد من الشهائد الأكاديمية، دكتوراه الدولة في العلوم الاقتصادية بكلية الحقوق بفاس، ودبلوم السلك الثالث بجامعة ليون بفرنسا، ودبلوم الدراسات العليا في العلوم الاقتصادية، إضافة إلى الإجازة في العلوم الاقتصادية بنفس الجامعة.

والواقع أن شخصية الداودي تجمع الكثير من المتناقضات، فهو نشأ في أسرة ميسورة ولم يعرف آفة الفقر والعوز، وخلال دراسته الجامعية في فرنسا كانت تطغى عليه النزعة الاشتراكية فكرا وممارسة وانخرط في فصيل الطلبة الاشتراكي داعيا إلى سلوك تحرري.

وبعد عقود من التحصيل الأكاديمي والممارسة السياسية دخل الداودي العمل السياسي بانضمامه إلى حزب الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية، الذي سيتحول بعد ذلك إلى العدالة والتنمية، وانتخب عضوا للأمانة العامة بالحزب منذ 1996، ثم نائبا للأمين العام منذ 2001 إلى الآن.

نتساءل كيف يراه إخوانه داخل الحزب، لكن هذه المسألة تحكمها النسبية في الأحكام، فهناك من يجده خارجا عن التأطير، في حين يراه آخرون طبيعيا في تعامله. وعلقت القيادية أمنة ماء العينين أن الداودي وزير "من وزراء العدالة والتنمية الذين تجمعنا بهم علاقة إنسانية متميزة رغم الاختلاف الحاد في بعض الأحيان في وجهات النظر وزوايا مقاربة قضايا متعددة. وزير بشوش لا يحمل في قلبه أحقادا رغم تباين وجهات النظر. لا يلتقيك إلا مبتسما".

صراع مع لوبيات المحروقات

سلّطت الأضواء مؤخرا على الداودي بخصوص ملف قطاع المحروقات في المغرب، حيث أن جشع شركات الاستثمار في القطاع وفشل الحكومة في تسقيف ثمنها، يعودان كما يقول العارفون بخبايا الأمور إلى جبن الوزير الداودي في الدفاع عن مصالح المواطنين رغم ما عرف عنه من سلاطة لسان في كل مناسبة ومكان وحتى تحت قبة البرلمان كلما ووجه من طرف المعارضة.

فمهما أرغى وأزبد ضد كل ما له علاقة بالغلاء والأثمان والفقراء، سواء عندما كان برلمانيا أو متحملا لمسؤوليته داخل الحكومة، فهو لم يقم بالكثير من أجل إنصاف المواطن المغربي من سطوة الشركات الكبرى خصوصا في هذا القطاع الذي ترتبط به عضويا الدورة الاقتصادية. ولو أنه قال إن "تسقيف المحروقات جاء من أجل المغاربة، وله مساطر ومراحل أهمها الحوار الذي جمع الحكومة مع باقي الفرقاء المعنيين بالأمر".

الداودي الذي حصل على درجة أستاذ محاضر في الاقتصاد، لم تسعفه نظريات الاقتصاد مع تغول الشركات، وتأكيده على أن الحوار نجح مع هذه الشركات وأرباب المحطات الذين تفهموا ما جاءت به الحكومة في قضية تسقيف الأسعار، وأنهم سيخضعون للقانون وبالصيغة التي أصدرتها الحكومة، إلا أن شيئا على أرض الواقع لم يتحقق.

وبعدما كشف مجلس المنافسة رأيه بشأن طلب الحكومة، المتعلق بتقنين أسعار المحروقات السائلة، معتبرا اختيار الحكومة تسقيف الأسعار غير كاف وليس مجديا من الناحية الاقتصادية والتنافسية، وكذلك من زاوية العدالة الاجتماعية. صب الداودي جام غضبه على المجلس، معتبرا أنه يتدخل في اختصاصات الحكومة وغير ملزمة برأيه نهائيا.

تسقيف أسعار المحروقات يشكل تدبيرا تمييزيا، يمكن أن يطبق على كافة المتدخلين، مهما كانت أحجامهم وقدراتهم، وهذا الإجراء يمثل خطرا حقيقيا، حسب مجلس المنافسة قد يضر بالمتدخلين الصغار والمتوسطين الذين ستتصاعد هشاشتهم، لكن هذا لم يقنع الداودي مشيرا إلى أن قضية تسقيف الأسعار أصبحت ضرورة، لأنه سابقا، وفي غياب مجلس المنافسة، فإن الشركات رفعت هامش ربحها الذي فاق الدرهم الواحد.

العبء المالي للسكّر

قررت الحكومة الشروع في رفع الدعم تدريجيا عن مادة السكر، وذلك لتقليص الانعكاسات المحتملة على أسعارها، وكذلك لتخفيف العبء المالي لدعم هذه المادة عن ميزانية الدولة وجعل الأسعار تخضع بالتدريج لقانون العرض والطلب.

وبطريقة استعراضية أخذ الداودي يصيح في إحدى جلسات البرلمان، ويدعم موقف الحكومة، حاملا كيسا من سكر سنيدة أفرغه بالكامل أرضا، معتبرا أن هذا الدعم لهذه المادة يستفيد منها أصحاب المقاهي والفنادق والمخابز والشركات الكبرى أكثر من المواطنين البسطاء.

ويقول الداودي إن الدعم يذهب إلى جيوب الشركات الكبرى كون الدولة تدعم من ميزانيتها مادة السكر بـ3 ملايير و700 مليون درهم سنويا، تستهلك منها شركة المشروبات والحلويات حوالي 40 بالمئة وتخضع هذه الشركات لنظام "غير واضح لاسترجاع الدعم لفائدة الدولة".

لكن الكثير من المراقبين يرون أنه كان على الوزير امتلاك الجرأة اللازمة واسترجاع مبلغ الدعم من هذه الشركات، غير أنه شدد على أن الحكومة عازمة على رفع الدعم سواء على السكر أو غاز البوتان، مطالبا البرلمانيين بالتصفيق للحكومة إن هي أقدمت على هذا القرار وعدم انتقادها.

هذا الكلام اعتبره بوعزة خراطي، رئيس الجامعة المغربية لحماية وتوجيه المستهلك، متناقضا شكلا ومضمونا، موضحا أن الحكومة تعاني من انفصام في الشخصية، ففي الوقت الذي يصرّح رئيسها سعدالدين العثماني حول رفع الدعم، يخرج الوزير الداودي بنقيض هذا الأمر، محذرا من أن المساس بالأسعار هو مساس بالسلم الاجتماعي، ورفع الأسعار هو "تهديد لهذا السلم".

حزبه يطالبه بالاستقالة

شارك الداودي في وقفة احتجاجية لعمال "سنترال دانون" أمام مقر البرلمان للاحتجاج على أزمة مقاطعة منتجات استهلاكية في العام 2018، وطالب عددا من قيادات حزبه بإعفائه من مهامه الوزارية، وقد استجاب للضغوط وقدم استقالته من مهامه، خصوصا بعدما أبلغته الأمانة العامة لحزبه أن مشاركته "تقدير مجانب للصواب وتصرف غير مناسب".

ولم تكن تصريحاته بخصوص شركة "سنطرال" آنذاك موفقة، عندما عبر عن خوفه من أن المقاطعة تدفع المستثمر إلى الذهاب لأن هؤلاء ليسوا مغاربة، وهو ما تم تفسيره بأنه خوف على مصالح الشركات وابتعاد عن مصالحة الشعب، وهناك من قال إنه إذا لم يستطع الوزير التدخل لإيجاد حل للأزمة، فمن الأفضل له أن يسكت.

وكعادته في تبرير ما لا يبرر، قال الداودي إن الإصلاحات التي قام بها العدالة والتنمية غير شعبوية لكنها تخدم البلاد، وحتى مع تأكيدات الكثير من الاقتصاديين على أن هذه الحكومة قد انبطحت إلى توجيهات صندوق النقد الدولي في الكثير من قرارات الإصلاح والذي تسبب في ضرب القدرة الشرائية للمواطن البسيط، قال الداودي إن المغاربة سيعرفون قيمة إصلاحات العدالة والتنمية وعلى رأسها إصلاح صندوق التقاعد.

وكعادته في إرسال الكلام على عواهنه قال الداودي مؤخرا، إن المغرب يستحيل يوفر الشغل لكل المغاربة، مطالبا من الحكومة إعادة النظر في البرامج التي تمررها الحكومة دون فائدة، وهو عادة ما يربط بين الشغل وتقليص عدد من التخصصات في الجامعات المغربية ويحذر من خطر يحدق بالمغرب من ارتفاع أعداد طلبة الشعب الأدبية.

تصريحات لم تعجب أساتذة وطلبة الشعب الأدبية بل أحبطتهم، ولعلها تقتل في الأجيال القادمة الرغبة في التحصيل والنجاح في مسارها الدراسي، وقد سبق للداودي عندما كان وزيرا للتعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر، أن وصف خريجي بعض شعب الجامعات المغربية، وخصوصا حاملي الإجازة الأدبية منهم، بالعالة على الآباء والمجتمع. مُهوّلا من ارتفاع طلاب الباكالوريا الحاصلين على شهاداتهم في الشعب الأدبية، والذين يشكلون خطرا على المغرب إذا ما استمر الوضع على ما هو عليه.

وبالعودة إلى العام 2012 وحتى لا يحسب في سجل العدالة والتنمية جمّد رئيس الحكومة السابق مشروع أداء رسوم التسجيل بكليات الطب والهندسة من طرف أبناء الميسورين الذي طرحه الداودي والذي شعر بالحرج بسبب هذا القرار، ولم يخف امتعاضه من موقف بن كيران الذي قبر مشروعه الهادف، برأيه، إلى إصلاح الجامعة المغربية.

لمن سنحمّل المسؤولية؟

ورغم تمرسه بمهنة التدريس، لكن وإلى حد الساعة، لم يعرف أحد سبب توجيه الداودي رسالة إلى رؤساء الجامعات بشأن التقليص من عدد المناصب المخصصة لأساتذة العلوم الإنسانية في أغسطس 2012، وقوله إن البلد ليس بحاجة إلى كليات الآداب، رغم أن التقدم الحاصل في دول أخرى قام على أكتاف علماء السوسيولوجيا والتربية واللغات إلى جانب المواد العلمية بكل تخصصاتها.

> شخصية الداودي تجمع الكثير من المتناقضات، فقد نشأ في أسرة ميسورة ولم يعرف آفة الفقر والعوز، وخلال دراسته الجامعية في فرنسا كانت تطغى عليه النزعة الاشتراكية فكرا وممارسة، وانخرط في فصيل الطلبة الاشتراكي داعيا إلى سلوك تحرري لينتهي عضوا في حزب العدالة والتنمية الإسلامي

لا يقتنع الداودي بالمشهد السياسي الحالي ولا بالأحزاب التي تشتغل في فضاء البرلمان ولا على الأرض، ولا يرى سوى حزب العدالة والتنمية الذي يعتبره بقيادته وقاعدته صاحب دور هام في تأطير المجتمع سياسيا، ولذلك يقول إن "هذا ما جعل المواطنين يجددون فيه الثقة للمرة الثانية على التوالي، باعتباره جاء سنة 2011 ليكون قطيعة مع السابق والمغاربة صوتوا لنا لأنهم أرادوا التغيير". متناسيا أن العزوف الانتخابي كان سببا ليتبوّأ حزبه الصدارة في استحقاقين انتخابيين وبشهادة أكثر من قيادة داخل العدالة والتنمية.

ومع ذلك استدرك الداودي أن الخطر الحقيقي على وجود حزبه أن يبقى وحيدا في الساحة السياسية مع عزوف الشباب على الذهاب إلى صناديق الانتخاب والانخراط في العمل السياسي، مشيرا إلى أنه لا يمكن أن يكون الحزب "وحيدا في الساحة وإلا مع من سنتحالف، نحن نحتاج أحزابا تتحمل مسؤوليتها في عملية الإصلاح".

وكعادته في قول الشيء ونقيضه في ذات الوقت، فهو يطالب بأحزاب يتحالف معها وهذا مفهوم لأنه لا يريد تحمل عدم توفر حزبه على أطر كثيرة وذات كفاءة ولا يريد تحمل فشله لوحده، وها هو يستخف بالوضعية الراهنة لحزب "الأصالة والمعاصرة" قائلا إن مثله مثل شخص تم رميه من الطائرة دون مظلة، فكان مصيره أن "تشتت".

لكن الداودي يميل إلى التحالف مع حزب "الأحرار"، وقد عبر عن استيائه من تصريحات بن كيران الأخيرة التي هاجم فيها عزيز أخنوش رئيس التجمع الوطني للأحرار، معتبرا خرجات بن كيران بالمحرجة للعثماني رئيس الحكومة وللحزب، واستغرب الداودي من تناقض بن كيران بين الأمس واليوم بعد أن كان يدعو إلى عدم انتقاد أو مواجهة حلفاء الحكومة.

لحس الداودي وزير نموذجي وقيادي سياسي تتوافر فيه مواصفات حزبه السياسية، من حيث تفاوت درجة المصداقية حسب درجة حرارة الطقس، ومن حيث التناقض والتلاعب بالتصريحات والمواقف.

امرأة خُلقت من أجل الحقيقة

الشيخة مي آل خليفة

العابرة بخفة بين شخصياتها

● فكرتها عن بلدها البحرين هي مزيج من القنص البصري والتأمل الفكري. ولهذا تشعر أن قوتها هي القاطرة التي تذهب بخيال الصورة إلى معنى الفكرة. «في الصورة آل خليفة تستقبل الملك الإسباني السابق خوان كارلوس في مسرح البحرين».

● الشيخة مي تنتصر في كل معاركها، لا لأنها ابنة الحسب والنسب، بل لأنها تمتلك مشروعا حضاريا اندحرت أمامه أجندات الأصوليين الذين عجزوا عن رؤية البحرين كما هي.

فاروق يوسف

❏ سيكون من الصعب الفصل بين شخصياتها التي تملك الوجه المتمرد نفسه. ما يعينها على مواجهة المرآة التي يستعملها الآخرون أنها لا تضع قناعا في كل مناسبة تظهر من خلالها. فالكاتبة والمؤرخة والوزيرة والناشطة الحداثوية كانت ولا تزال في أساس تجربتها محاربة تؤدي دورا تاريخيا في الدفاع عن طريقة تفكيرها التي وإن انطوت على جانب شخصي فإنها تعد انعكاسا لحراك ثقافي انغمست فيه عن طريق الوراثة.

قوس قزح خيالها

مي آل خليفة هي ابنة الكتب وحارستها التي لا تغمض عينيها عنها. الفارسة بالمفهوم الفرنسي يظل خيالها مستيقظا مع أصغر هبات حضارة دلمون بحثا عن صداها في الحياة الشعبية. فكرتها عن بلدها البحرين هي مزيج من القنص البصري والتأمل الفكري. ما تقوله الصورة يمكن أن تختزله الفكرة. تشعر المرأة التي صنّفت في عداد النساء القويات في منطقة الشرق الأوسط أن قوتها هي القاطرة التي تذهب بخيال الصورة إلى معنى الفكرة. هذه امرأة خُلقت من أجل أن تهب أحلامها أقداما تمشي بها على أرض الواقع.

> آل خليفة مؤرخة من طراز خاص. تتوجه إلى الموضوعات الإشكالية موضع الاختلاف لكي تضع بصمتها من خلال قول الكلمة الفصل. وهي كلمة الباحثة التي لم تقنعها بداهة المتفق عليه فصارت تنقّب في خبايا المخفي عن الحقيقة

هي واقعية بقدر ما هي خيالية. لا يقلقها أن تكون كائنا إشكاليا. ليس لأنها مطمئنة إلى أن دفاعاتها محصّنة بل لأنها تثق بأن ما تنادي به وتدعو إليه يملك الكثير من الحظوة لدى جمهور واسع من المستفيدين من الحراك الثقافي القائم على أسس تنويرية.

هنا بالضبط تمتزج واقعيتها بقوس قزح خيالها متعدد الاحتمالات. المرأة التي ولدت في بيت علم شاءت ألا يفلت الخيط من يدها. فبغض النظر عن المبادرات الخلاقة التي تقوم بها من خلال مناصبها الرسمية فإن تأسيسها لمركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة للثقافة والبحوث بمدينة المحرق يعد خطوة كبيرة في طريق نشر الوعي الفكري الحديث.

تفتح أبوابا على الثقافة

بين ما هو شخصي وما هو عام تتحرك الشيخة مي لكي تفرض خياراتها التي لا تملك سوى أن تعلنها بدافع الرغبة في كسر الحاجز بين ما يمتلكه المرء من كرم شخصي وبين ما يمكن أن يجود به الآخرون بعد أن تفتح أمامهم الأبواب.

كان شعار الاستثمار في الثقافة مظلتها التي أمّنت لها التحرك كما لو أنها واحدة من منظمات المجتمع المدني، بالرغم من أنها تمتد بجذورها إلى الأسرة الحاكمة في البحرين.

لم يكن دور الوسيط يليق بها. لذلك فضلت أن تقوم بفتح بوابة على الثقافة الحيّة أينما حلت، بغض النظر عن صفتها الوظيفية، خارج الحكم وداخله. هي المرأة التي يليق بها أن تلعب دور البشارة ممتزجة بمَن يبشر بها. تلك المرأة تحب لأسباب تجريدية، تضحك حين تكتشف كم هي قادرة على السيطرة على الواقع والتمكن منه.

سيكون علينا أن نعترف أن الشيخة مي انتصرت في كل معاركها لا لأنها ابنة الحسب والنسب، بل لأنها تمتلك مشروعا حضاريا اندحرت أمامه أجندات الأصوليين الذين عجزوا عن رؤية البحرين كما هي، بلدا مقيما في تمرده الخلاق وشغبه الذي يضع العالم في دائرة المساءلة.

الباحثة عن الحقيقة

حين أصدر ملك البحرين عام 2008 مرسوما يقضي بتعيين الشيخة مي آل خليفة وزيرة للثقافة والإعلام بعد أن كانت تشغل منذ 2002 منصب وكيلة وزارة الإعلام المساعدة لشؤون الثقافة والتراث أصبحت أول امرأة تتقلد ذلك المنصب. وكانت ناشطة في مجال الثقافة قبل أن تصبح وزيرة حيث قامت بالإشراف على بيوت فنية عديدة منها "بيت الشعر" و"بيت التراث الصحفي"، غير أن الحدث الأهم في ذلك المجال يتلخص في قيامها بتأسيس مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة للثقافة والبحوث الذي يضطلع بدور هام في تطوير الوعي الثقافي من خلال منشوراته والندوات والمعارض التي يقيمها دوريا.

المرأة التي درست التاريخ السياسي وحصلت على شهادة الماجستير من جامعة شيفيلد البريطانية كانت قد أصدرت سبعة كتب في مجال اختصاصها الأكاديمي قبل أن تنهمك في عملها القيادي في مجال الثقافة.

بدأت مسيرتها في التأليف عام 1993 بكتاب "مع شيخ الأدباء في البحرين، إبراهيم بن محمد آل خليفة" ثم توالت إصداراتها "محمد بن خليفة، الأسطورة والتاريخ الموازي" 1996، "سبزاباد ورجال الدولة البهية. قصة السيطرة البريطانية على الخليج" 1998، "من سواد الكوفة إلى البحرين. القرامطة من فكرة إلى دولة" 1999، "مئة عام من التعليم النظامي في البحرين، السنوات الأولى للتأسيس" 1999، "تشارلز بلغريف السيرة والمذكرات" 2000، "عبد بن أحمد، محارب لم يهدأ" 2002.

ولأنها مؤرخة من طراز خاص فقد كانت تتوجه إلى الموضوعات الإشكالية، موضع الاختلاف لكي تضع بصمتها من خلال قول الكلمة الفصل. وهي كلمة الباحثة التي لم تقنعها بداهة المتفق عليه فصارت تنقّب في خبايا المخفي عن الحقيقة.

حصلت الشيخة مي على عدد من الأوسمة والجوائز، منها وسام الشرف الفرنسي الوطني بدرجة فارس وجائزة مؤسسة كولبير لإبداع والتراث وجائزة المرأة العربية المتميزة في مجال القيادة الإدارية من مركز دراسات المرأة بباريس وجائزة السياحة الدولية في مجال الإبداع. وقد اختارتها مجلة فوربس من بين أقوى 50 شخصية في العالم العربي.

تشرف الشيخة مي الآن على إدارة هيئة الثقافة والتراث بعد أن ألغيت وزارة الثقافة والإعلام. وهي الوظيفة التي تقوم من خلالها بالإشراف على المتاحف والآثار والنشاطات الفنية "التشكيلية والمسرحية والشعرية".

> كتابها عن القرامطة يبدو مثيرا للاهتمام بسبب ارتباط تلك الحركة بفكر ثوري مغامر سعى إلى تغيير فلسفة الحكم الذي يكتسب أسباب سطوته من الدين. إلا أن ذلك الكتاب بالرغم من أهميته على مستوى البحث والتحليل فإنه لا يغطي على أهمية كتبها الأخرى

إشراقات خيالها

"كتبي تضيء الحقبات المسكوت عنها في تاريخ البحرين" تلك فكرتها غير أن تلك الفكرة وثيقة الصلة بميزانها البحثي وليس فقط بموضوعاتها التي ذهبت إليها بعزم مَن ترغب في تفكيك البداهات وإعادة كتابة التاريخ على أساس الإنصاف.

وإذا ما كان كتابها عن القرامطة مثيرا للاهتمام بسبب ارتباط تلك الحركة بفكر ثوري مغامر سعى إلى تغيير فلسفة الحكم الذي يكتسب أسباب سطوته من الدين، فإن ذلك الكتاب بالرغم من أهميته على مستوى البحث والتحليل لا يغطّي على أهمية كتبها الأخرى.

لقد حرصت آل خليفة في كل كتاب من كتبها على أن تستجيب لروح المؤرخة المشاغبة التي تحارب بالوثيقة ما كان مستقرا، كما لو أنها قررت أن تعيد كتابة الحكاية وهو قرار يرتبط بطريقتها في التفكير كما ينعكس على طريقتها في النظر إلى العالم.

تصنع أساطيرها، لكن بيقين تاريخي. إنها ابنة الواقع الذي ترتجله، وهي سيدته حين تتخلى عنه معلنة انحيازها لخيالها الذي لا يمكن التنبؤ بإشراقاته. فالسيدة التي خلخلت طريقة النظر السائدة إلى التاريخ قدر لها أن تلعب دورا قياديا في إدارة المشهد الثقافي في بلد ثري بثقافته هو البحرين. لذلك فإنها تعمل مثلما تكتب. الشغب يرافقها أينما حلت. إنها تفعل الشيء نفسه، في الحياة كما في الكتابة.

التقيتها وزيرة غير أن الوزيرة لم تنتصر على الكاتبة ولم تخفها.

هذه امرأة خُلقت من أجل الحقيقة. لذلك فإنها تجهد نفسها من أجل إعادة تركيب المفاهيم وطرق النظر إلى الأشياء. المؤرخة التي تسكنها تزيح من طريقها سبل الاستسلام لما فرضه الواقع من هدنة مع الأخطاء.

مي آل خليفة تصنع واقعا تجريبيا وتراقب أثره على المجتمع. ولأنها تؤمن بالثقافة فإنها تضع نفسها في الخط الأول من جبهات الدفاع عن الحرية باعتبارها هدفا لحياتها.

كلام في الكوميديا

هل هي دائماً ابنة بيئتها

هيثم الزبيدي
كاتب من العراق

❏ لاحظت أن صديقا عربيا يعيش في لندن منذ أكثر من 20 عاما يتجنب الإشارة إلى المسلسلات الكوميدية البريطانية في حين لا يتوقف عن الحديث عن المسلسلات الكوميدية الأميركية. هناك شيء يجذبه إلى الإنتاج الدرامي الأميركي وينفره في نفس الوقت من الدراما البريطانية.

يمكن استيعاب أن تقترب اللهجة منك أو تبتعد، فتحب أن تشاهد الدراما أو الفيلم أو تستمع إلى الأغنية التي تلائم لهجتك، أو ما اعتادت أذنك على سماعه. أن تكون عراقيا مثلا، فأنت تشاهد المسلسلات المصرية والسورية بشكل دائم، وعلى مدى سنوات من على القنوات العراقية، إلى جانب ما تجود به قطرات الدراما العراقية. لكن العراقي سيجد أمامه حاجزا من قلة التعود عندما يتعلق الأمر بدراما تونسية أو فيلم جزائري. بعض الأفلام الجزائرية كانت تعرض في بغداد "بترجمة" عربية مكتوبة أسوة بالأفلام الأجنبية.

لكن صديقي يعيش في بريطانيا، ونظريا فإنه أقرب إلى اللهجة الإنجليزية الدارجة من تلك الأميركية القادمة من هوليوود. كيف تستطيع الكوميديا الأميركية أن تجعله يضحك بهستيريا، بينما الكوميديا البريطانية تبدو لديه ثقيلة الدم؟

إنها البيئة. الكوميديا الأميركية مصنوعة لبيئة عابرة للثقافات. الضحك في مسلسل "أصدقاء" الشهير مبني على مواقف لا تنتمي إلى ثقافة. هي مواقف تعيشها الشخصيات ويكاد يندر في كل حلقة من الحلقات الـ236 في عشرة مواسم أن تتم الإشارة المبطنة إلى حقيقة حياتية أميركية. أكاد أراهن أن أغلب المتابعين المغرمين بالمسلسل لا يعرفون أين تقع أحداث المسلسل، أي في أيّ مدينة أميركية، أو أنهم يفكرون بأنها يمكن أن تقع في أيّ مدينة، لا يهم.

على الضفة الأخرى هناك الكوميديا البريطانية. هي كوميديا غارقة في المحلية، ومبنية بالكامل على أن المشاهد ابن البيئة ويعرف كل مداخلها ومخارجها. في مسلسل "للحمقى والخيل فقط" مثلا، تبدأ أغنية المقدمة بالقول "لا ضريبة فردية ولا ضريبة إضافية." إنهما همّ البريطاني اليومي الذي يدور حول المال، لشخصيات من قاع مجتمع لندن المسحوق. مسلسل من أجزاء من العاصمة البريطانية لا يعرفه السياح بالتأكيد، والعرب منهم بالخصوص. من دون فهم الثقافة المحلية البريطانية، سيكون من الأفضل مشاهدة مسلسل صيني ناطق بالصينية.

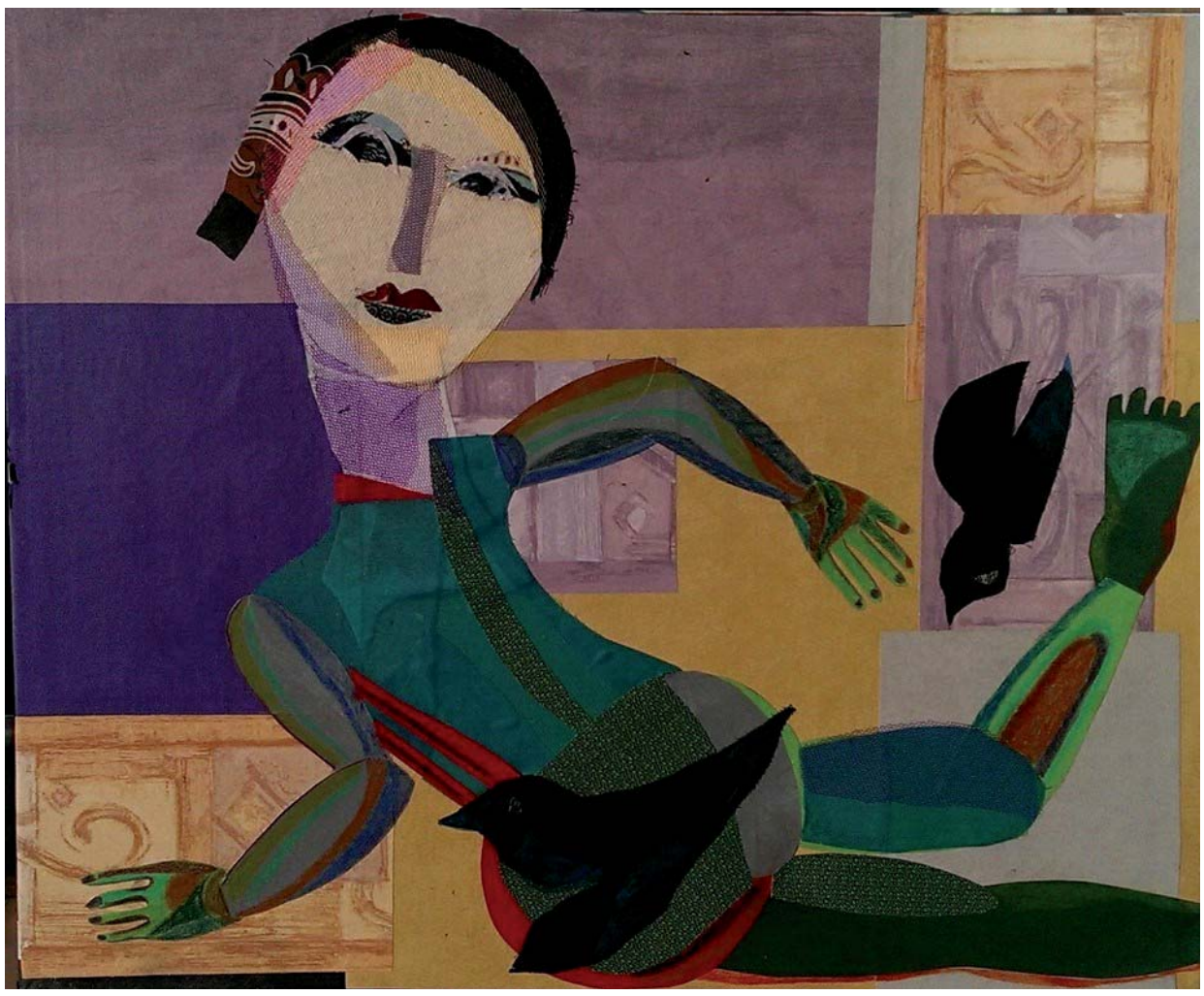

اللوحة للفنانة هبة العقاد

هذا لا يعني أن البريطانيين يفوّتون فرصة الانتشار العالمي. يستطيعون أن ينتجوا حلقات من مسلسل كوميدي، إنجليزي جدا، لكنه عابر للثقافات. أنظر روان إتكينسون وهو يقدم شخصية "مستر بين". هذا مسلسل تستطيع أن تشاهده وكأنه مصنوع من زمن تشارلي تشابلن، أي من دون صوت تقريبا. ستضحك بلا تحفظ.

هناك عدد قليل جدا من المسلسلات الكوميدية ونجوم الكوميديا الأوروبيين ممن استطاعت/استطاعوا تجاوز الحواجز التي تفرضها الثقافات المحلية. الدراما في أوروبا –مثلها مثل بريطانيا– تصنع للبلد، من دون أدنى اعتبار للانتشار العالمي. في فيلم "أنظر من عاد!" الذي يروي قصة عودة الزعيم النازي أدولف هتلر للحياة في ألمانيا اليوم، تعالج الكوميديا تبدّلات اجتماعية وثقافية ما كان هتلر ليحلم بها وهو حيّ: الألمان يشاهدون برامج الطبخ بلا توقف من دون نية لاحتلال العالم. وفيما عدا بضعة مهرجين فرنسيين في الثمانينات، لا أحد يذكر الدراما الفرنسية، كوميديا أو غير كوميدية.

لا أستطيع لوم الصديق العربي. أغلب العرب في الغرب يعيشون بعقليات الغيتو. كثير منهم يكاد لا يفهم لهجة جنوب لندن الشعبية (الكوكني). اللهجة عائق حقيقي، لكنها يجب أن لا تمنع فهم البيئة إلى درجة النفور من الإنتاج الدرامي البريطاني. الأعمال الدرامية الأميركية، بضمنها الكوميديا، تحتل حيزا كبيرا من شاشات القنوات البريطانية. البريطانيون ما نظروا للولايات المتحدة يوما إلا أنها امتداد لناسهم ولغتهم وعقليتهم. البريطاني يحتفظ بحسه الساخر ويضحك، ويشاهد الكوميديا الأميركية ويضحك. في اللاوعي هو ابن بيئتين هما في تقديره بيئة واحدة.

الاشتغال على الكوميديا والدراما في شمال أفريقيا والخليج أشبه بالطريقة الأوروبية. هذه أعمال ابنة بيئتها ولن تستطيع أن تفصلها عنها. الأعمال الدرامية العربية القادمة من مصر وسوريا سبقتها الثقافة المحلية المصرية والسورية إلى عقل المشاهد. هي قاهرية محلية وشامية أيضا وابنة بيئتها، ولكن أيّ عربي يمكن أن يشاهد مسلسلا مصريا من 60 حلقة ولا يحس بالغربة عنه. المشاهد ابن متبنّى للثقافتين المصرية والسورية. هما ثقافتنا "الأميركية" العابرة للثقافات.

خيط الذهب بين التاريخ والديمقراطية والأدب

حسونة المصباحي
كاتب من تونس

❏ انتظمت قبل أيام في كلية الآداب والعالم الاجتماعية بتونس العاصمة، ندوة بعنوان "الأدب والديمقراطية، أو كيف نكتب التاريخ بشكل آخر". وقد اختار المنظمون أن تكون الفقرة التالية لهوارد زين منطلقا للمداخلات: "أحاول أن أكتب من جديد التاريخ لكي أعكس وجهة نظر الناس الذين تمّ إقصاؤهم، إذ أن التاريخ الذي واكبناه إلى حد هذه الساعة كُتب دائما من فوق، أي التاريخ من وجهة نظر رجال السياسة، والجنرالات، والعسكريين، وأهل الصناعة".

وإذن كان الهدف من الندوة هو البحث عن مصادر أخرى غير تلك المعروفة والمتداولة لقراءة التاريخ خصوصا في هذه الفترة العصيبة التي تعيشها البلدان العربية، والعالم برمته في ظل تحولات ومتغيرات مختلفة ومتعددة لا تزال غامضة ومبهمة إلى حد هذه الساعة، وموسومة بأسئلة لا تزال معلقة. وقراءة هذه الفترة التاريخية لا يمكن أن تكون مفيدة إذا ما اقتصرنا على المصادر الرسمية التي غالبا ما تكون مفروضة من فوق، بل علينا أن نغوص عميقا لنكشف ما هو مخفي، ومحرم، ومدفون، ومغيب، ومقصي...

وقد اهتم بالتاريخ كتاب كبار مثل الروسي ليون تولستوي الذي كان يضيق ذرعا بالمؤرخين الذين يتوقفون عند العوامل السياسية أو الاقتصادية أو الدينية لتفسير الأحداث التاريخية. وخلافا لمثقفي عصره، لم يبد تولستوي أي إعجاب بأفكار هيغل حول التاريخ، بل كان يعتبرها "رطانة يعسر فهمها وتوضيحها". والأكثر سوءا بالنسبة له هم أولئك الذين يتربعون على أعلى هرم في السلطة السياسية أو العسكرية وهم على يقين بأنهم قادرون على التحكم في مصير الشعوب. ومعنى ذلك أن التاريخ كان بالنسبة له مجمل الأحداث الملموسة في الزمان والمكان، وحصيلة التجربة الحقيقية لرجال ونساء حقيقيين.

وكان يرى أن المبادئ الفلسفية لا يمكن فهمها إلا عبر التعبير الملموس للتاريخ. لذلك كتب يقول في يومياته بتاريخ 22 سبتمبر 1852 "كتابة التاريخ الأصيل لأوروبا المعاصرة، هذا يمكن أن يكون هدفا لحياة بأكملها". إلاّ أن هذا التاريخ هو ذاك الذي يجيب على الأسئلة التالية: ماذا علينا أن نفعل؟ لماذا نحن هنا على الأرض؟ كيف يمكننا أن نعيش؟ وماذا يمكن أن نكون؟ كما أن هذا التاريخ ليس معركة "بورودينو" في رواية "الحرب والسلم"، ولا طموحات نابليون الإمبراطورية، وإنما هو الأمير أندريه الذي يعي حياته، ومصيرها حالما يسقط على الأرض مضرجا بدمائه، مدركا أن الحقيقة لا يمتلكها أولئك الذين كان يعتقد بأنهم يتحكمون في مصير روسيا. وهو أيضا المثقف بيار بيزوكوف الذي يسعى إلى فهم مأساة تاريخ عصره فلا يجد الحقيقة إلاّ في السير الشاق للأسرى الفرنسيين وهم يعودون مثخنين بجراح إلى بلادهم. والتاريخ يمكن أن يتجسد أيضا في فرد يلعب دورا مهمّا في أحداث معينة لكن من دون أن يفهم مغزاها وأهدافها.

والتاريخ بالنسبة لجيمس جويس عبارة عن "كابوس مرعب يصعب عليه الاستفاقة منه". وعند كتاب آخرين يندرج التاريخ ضمن ما هو ذاتي، وأليف، ومثير للمشاعر، وفاضح لعمليات التزوير التي يلجأ إليها أصحاب السلطة والنفوذ لإخفاء جرائمهم ودسائسهم. وفي روايته "الطريق إلى الفلاندر"، لا يروي كلود سيمون بطولات الجيش الفرنسي في الحرب الكونية الثانية، بل التاريخ "الملطخ بالدم، والمسكون بالوجع .

وفي مجمل رواياته، يكشف الإسباني خافير سيركاس ما كان نظام فرانكو الذي انتصر في الحرب الأهلية في الثلاثينات من القرن الماضي يسعى إلى طمسه، ومحوه من ذاكرة الشعب الإسباني. وفي أعماله، اهتم الكاتب الجزائري رشيد بوجدرة بأوضاع بلاده في فترة الاستعمار الفرنسي، ثم في فترة ما بعد الاستقلال، مدينا الجرائم الاستعمارية، وأيضا دكتاتورية الحزب الواحد، والمجازر التي ارتكبتها الجماعات المتطرفة في التسعينات من القرن الماضي. وقد فعل ذلك لا من خلال شخصيات سياسية أو عسكرية معروفة، ورسمية، بل من خلال أناس بسطاء، يعذبهم الفقر والحرمان، ونساء خاضعات للسيطرة المطلقة للرجل،

> في هذه الفترة التي تتطلع فيها الشعوب العربية إلى الديمقراطية، وإلى الحرية والكرامة، برزت أعمال روائية تدين القمع

لكنهن لا يترددن في خوض المعركة من أجل التحرر من القيود، وأطفال تغسل أدمغتهم في المدارس وفي الشوارع ليتحولوا إلى قنابل يمكن أن تنفجر في أي لحظة لقتل الأبرياء، وربما الأحباب والأقارب. ويرى رشيد بوجدرة أن مهمته ككاتب تتطلب منه أن يولي اهتمامه للمجتمع الجزائري، وأن يعنى بمصير المواطن الجزائري البسيط، والمقصي لتجاوز القراءة الرسمية الخاطئة للتاريخ. وهذا التاريخ غالبا ما يتضمن أطروحات وأيديولوجيات سلبية وقمعية، ولا يحتفظ إلا بما يرضي المنتصرين، والمزورين له.

وفي هذه الفترة التي تتطلع فيها الشعوب العربية إلى الديمقراطية، وإلى الحرية والكرامة، برزت أعمال روائية تدين القمع الذي كانت تسلطه أنظمة أسقطتها انتفاضات ما يسمى بـ"الربيع العربي" على الأفراد والجماعات.

كما صدرت شهادات كتبها أصحابها عن تجاربهم المريرة في السجون، أو في المنافي. وجميع هذه الروايات، وهذه الشهادات الحية تهدف إلى التأكيد أن الديمقراطية الحقيقية لا يمكن أن تتأسس على التزوير والكذب، بل على الكشف عن الحقيقة حتى ولو كانت مرة، وموجعة، وعلى إضاءة ما كان مطموسا ومغيبا في الذاكرة الفردية أو الجماعية.

وما يمكن أن نعيبه على منظمي هذه الندوة الهامة هو أنهم اقتصروا على الاستناد إلى أعمال كتاب أجانب وفرانكفونيين من المغرب العربي، مهملين إهمالا تاما أعمال كتب تونسيين وعرب اهتموا هم أيضا بالتاريخ في بلدانهم.

أوديسا فلسطينية لمخرجة مصرية

سعد القرش
روائي من مصر

❏ ما يظهر من قصص الشتات العائلي أقل بكثير مما يخفى، وكل قصة من هذا الكثير هي خبيئة ثرية تبوح بأسرارها إلى من يعرف قيمة كنوزها.

لقاء قصة الشتات مع الباحث أو الفنان أعمق من مجرد عثور على شيء والفرح باكتشافه؛ ففي اللقاء تتفاعل أرواح عبر شفرة خاصة، نداء خفي، رهان على ردّ الروح إلى القصة المفقودة، على مهل حتى تستوي وتسترد عافيتها باكتمال الصورة. هذا اللقاء يحمل وعدا بتخليد الطرفين، ورائده الشاعر الأسطوري هوميروس بملحمة أعاد فيها الملك أوديسيوس إلى زوجته بينيلوبي وبلده إيثاكا، بعد عشر سنوات على حرب طروادة. وسينمائيا أنجز المخرج العراقي سمير فيلم "الأوديسا العراقية" عام 2014، ومزج الشخصي بالعائلي بالوطني، فروى جانبا من تاريخ العراق، منذ عام 1958، وكيف فجّرت الثورة والانقلابات والانقلابات المضادة طمأنينة العائلة، فاضطرت إلى التماس الأمن في المهجر، ثم انشطرت شظايا في المنافي، من دون التخلي عن حلم بالعودة، ولو في اجتماع عائلي ينجح في تحقيقه المخرج، بعد أن يسافر المئات من الساعات لمقابلة أفراد العائلة في روسيا والولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا ونيوزيلندا، لإنجاز فيلمه، ويجمعهم في بيته السويسري؛ فيشاهدون تفاصيل "الأوديسا العراقية"، ويستعيدون أنفسهم في مشهد بليغ ومؤثر اختاره نهاية للفيلم.

هذا الشغف أصاب المخرجة المصرية أمل رمسيس، وأثمر فيلم "تأتون من بعيد"، حصاد عشر سنوات من البحث والسفر بين ثلاث قارات، انطلاقا من سطور قرأتها في مقالة، وقادتها إلى التورّط في تفاصيل أوديسا فلسطينية بطلها فلسطيني حالم هو نجاتي صدقي (1905-1979)، أحد آباء الحركة الشيوعية في العالم العربي، وقد دفعه إيمانه بالحرية إلى الانخراط في معارك لنصرة إخوته في الإنسانية، فاختار جانب الجمهوريين ضد الجنرال فرانكو في الحرب الأهلية الإسبانية، وكلفته الأممية الشيوعية "الكومنترن"، عام 1933، بإصدار صحيفة موجهة إلى العالم العربي من باريس، وتحرير النشرات الهادفة إلى توعية الجنود المغاربة المنخرطين في صفوف فرانكو، وحثهم على الانضمام إلى الجمهوريين، وكان يوقع تلك النشرات باسم "مصطفى بن جلا" لرنينه المغربي. واستمرت صحيفة "الشرق العربي" حتى عطلها رئيس الحكومة الفرنسية في منتصف عام 1936.

حياة نجاتي صدقي حافلة بأنشطة صحافية وثقافية وسياسية، ومن ثمارها أيضا ثلاثة أبناء (دولت وسعيد وهند)، لم تجمعهم إقامة في بلد، كل منهم يعيش في دولة ويتحدث لغة مختلفة، فلم تغادر دولت روسيا ولم تتكلم إلا الروسية، ويقيم سعيد في البرازيل وهند في اليونان، والاثنان يتحدثان الإنكليزية والعامية اللبنانية. وبين دولت وأخويها فارق كبير في السن يزيد على ربع القرن، والثلاثة من أم أوكرانية يهودية أحبها الأب وآمنت بقضيته.

عاش نجاتي صدقي ملاحقا بالحروب والتهجير والمنافي، فما كاد يستقر في بيروت حتى اشتعلت نيران الحرب الأهلية، وقبل ذلك شغلته الحرب الأهلية الإسبانية عن ابنته دولت، فعاشت طفولتها في ملجأ بموسكو، وتفهم أحيانا "العربية الحمراء"، في وصفها للهجة الفلسطينية، وتتمنى أن يكون مستقر رفاتها في القدس. وتوفيت دولت قبل الانتهاء من إنتاج الفيلم، وربما تحقق لها حفيدتها أمنيتها بأن يضم القدس رفاتها، كما قالت أمل رمسيس، في ندوة عقب عرض الفيلم في الدورة الحادية والعشرين لمهرجان الإسماعيلية الدولي للأفلام التسجيلية والقصيرة (10 ـ 16 أبريل 2019). وفاز الفيلم بجائزتي الفيبريسي والاتحاد الأفريقي.

استلهمت المخرجة عنوان الفيلم من قصيدة "تأتون من بعيد" للشاعر رافائيل ألبيرتي، وانتهت إلى نص ملحمي يتقدم فيه الإنساني على السياسي الذي أتى خلفية للدراما، ووظفته في اللقطات الأرشيفية بما يضيف إلى شاعرية الفيلم.

القصيدة التي جاءت من المستقبل

أورخان ميسّر رائدا للسريالية العربية

أيمن باي
ناقد من تونس

❏ "دعني
أحلم في صمت"
(أورخان ميسّر)

كان النصف الأول من القرن العشرين جريئا في مجالات مختلفة من أمور الثقافة والفن، وهو في الشّعر أكثر جرأة وتمرّدا ومغايرة. فقد أخذت الأصوات الشعرية الحديثة تتكاثر من رحم التجريب أكثر من أيّ وقت مضى بكيفية لم يجد معها حماة الموروث الشعري العربي طريقة يجابهون بها تيّار الحداثة الذي أصبح يعصف بأصوليتهم الشعرية بلا هوادة.

ولئن كانت هذه التجارب الشعرية متفاوتة من حيث ابتعادها عن نواميس القصيدة التقليدية فإن من بينها من ابتعد كثيرا أبعد ممّا بين السّماء والأرض، فتاهت عن القارئ أو تاه عنها، فأصابها اليتم وعضعضها النفور والنسيان، وهي، مع ذلك كله، أولى لبنات الحداثة الشعرية شكلا ومضمونا.

تجربة أورخان ميسّر الشعرية في ديوانه الوحيد مع علي النّاصر "سريال" مؤسسة للسريالية العربية ورائدة للحداثة الشعرية.

أورخان ميسِر والحداثة الشعرية

يقترن الحديث عن بواكير الحداثة الشعرية العربية بالممارسات الشعرية التي قبلها القارئ والناقد والتي وجدت مكانا لها في الخطاب النقدي الذي درسها وبيّن خصائصها ومؤثراتها وقرأ احتمالات بقائها. ونعني بذلك حركة الشعر الحر وروّاده، بدر شاكر السيّاب ونازك الملائكة وعبدالوهّاب البياتي. لقد شغل هؤلاء الروّاد وأعمالهم الأولى، "هل كان حبا؟" 1947 لبدر شاكر السياب وقصيدة " الكوليرا" 1947 لنازك الملائكة إضافة إلى كتابها النقدي "قضايا الشعر المعاصر"، الساحة الثقافية العربية واعتبروا روّادا للحداثة الشعرية العربية، بل وتنازعا (السياب والملائكة) مسألة الريادة، فذهب مجموعة من النقاد مع السياب وذهبت أخرى مع الملائكة. لكن في ظل كل ذلك كانت الريادة منزوية في ركن من عالم الثقافة العربية وهي تجربة أورخان ميسّرمع ديوانه "سريال" 1948، فهي الأكثر مغامرة وجرأة وتمرّدا على القصيدة العربية التقليدية. فقد تخلت عن العروض كليا وعوّلت على معاويل إيقاعية جديدة وأتت ببلاغة حديثة في تكوين الصورة الشعرية تتسم في بنائها بنزعة سريالية واضحة.

إن الحداثة عند أورخان ميسّر تقوم على الهدم والبناء على أنقاض القديم وليس التحديث في صلب الموروث، ولعلها المسألة التي عمّقت من عزلة تجربة أورخان ميسّر أمام تجارب شعرية مزامنة زمنيا لكنها أقل جنونا. ففي الوقت الذي بشّر فيه السياب بكتابة متأثرة بشعر ت.س إليوت وهو شعر يقترن بمشاكل الإنسان وشواغله ويحاكي همومهم بلغة بسيطة تقترب من لغة اليومي، كان أورخان ميسّر يبشر بكتابة سريالية غريبة تحاكي غرابة الواقع العربي زمن التحولات السياسية والاجتماعية والفكرية، كتابة مستلهمة من أندري بريتون وأنطونان آرتو ولويس آراغون وأرنست موريس.

> إن أول ما يلفت انتباه قارئ ما عندما يتصفح مجموعة «سريال» تلك العناصر الشعرية المتداخلة والمتفجرة في حيز مكاني وجيز والتي تحقق قدرا كبيرا من توهج شعري غريب ورؤية فنية شاذة. فالمعجم فيها مأخوذ من أعماق اللاشعور للشاعر ومن أكثر الأماكن بعدا وظلاما في ذاته لا يستحي أورخان ميسّر من استدعائها في نصوصه الموجزة استدعاء عفويا يعكس ما يختلج في ذاته من اضطرابات ووعي فني مغاير

قصيدة أورخان ميسّر قصيدة غريبة، تجيء من المستقبل، كتبت لقارئ لم يوجد بعد. إنها الوجه الآخر المنسيّ للحداثة الشعرية العربية.

حتى نفتح
بابا
في الغياب..

الكتابة الآلية: كتابة خارج المنطق

تقوم الكتابة السريالية عند أورخان ميسّر على الكتابة الآلية التلقائية التي يعوزها تدخل أيّ رقيب ذوقي أو أخلاقي فيها، فهي كتابة حرة لا تخضع لأيّ منطق سوى منطق اللاوعي ذلك المعين الغابر في النفس حيث ترسب فيه كل شواذ الذات والرغبات المطرودة من عرف المجتمع، الكتابة السريالية تحررها، تعيدها إلى الحياة، بغبارها، بفوضويتها، كتابة دون أقنعة، مكبوتات اجتماعية وجنسية وأحلام مبتورة وأضغاث أحلام وكوابيس تؤرق ومخاوف تنخر النفس، كلها تمتزج في عفوية كما يتمثلها العقل.. فتكوّن قصيدة سريالية.

فعند تحرير اللاوعي وإدماجه بالوعي وعندما تتحرر الكلمة من أيّ رقيب وتصل ذروة الحرية، حينها، تبلغ مرحلة الأداء السريالي الحقيقي. الأمر الذي يجعل القصيدة السريالية غريبة، الصور فيها لا تلتزم بالبلاغة العربية التقليدية وبأدبيات الكتابة الشعرية. والمعجم فيها موحش مظلم يأتي من أقصى أقاصي النفس.

القصيدة السريالية عندما تتكور على نفسها
في العالم
رجع صدى
من بعيد..

الإدهاش والغريب: بلاغة شعرية مغايرة

يتسكّع في الظلمة بقدم واحدة وبنصف عين
(أورخان ميسّر) "يقظة".

يتجسد الغريب في شعر أورخان ميسّر في مستويات عدة سنقف على اثنين منها: المعجم والصورة.

المعجم

إن أول ما يلفت انتباه قارئ ما عندما يتصفح مجموعة "سريال" تلك العناصر الشعرية المتداخلة والمتفجرة في حيز مكاني وجيز والتي تحقق قدرا كبيرا من توهج شعري غريب ورؤية فنية شاذة. فالمعجم فيها مأخوذ من أعماق اللاشعور للشاعر ومن أكثر الأماكن بعدا وظلاما في ذاته لا يستحي أورخان ميسّر من استدعائها في نصوصه الموجزة استدعاء عفويا يعكس ما يختلج في ذاته من اضطرابات ووعي فني مغاير. يقول الشاعر:

هنا، في قعر كأسي رؤى لا تنضب
رؤى يحيلها فراغ الكأس، أحيانا، إلى مآتم شفافة
تولول فيها غصات
من زمن مبتور، وتعربد حولها بقايا صلوات مجّت التحنّط
والالتصاق بجدران هياكل دأب لبناتها التثاؤب.

ليس من الصعب تحديد هوية هذا المقطع الشعري السريالي من خلال تردّد مجموعة من الكلمات ذات الدلالة السلبية والتي كونت معا معجما أو حقلا دلاليا سرياليا يمكن أن نسمه بمعجم الموت والذي يتمثّل في الكلمات التالية (فراغ، مآتم، غصّات، مبتور، تحنّط). إذ يلحّ أورخان ميسّر على استعمال كلمات تحقق معنى الموت والفراغ وما يحفّ به من طقوس فهو معجم يعكس الحالة الشعورية للشاعر وقد استدعى هذه الكلمات من أعمق مكان في اللاوعي دون حذف أو تعديل، وهي آلية سريالية أساسية، الأمر الذي سيتواصل في تكوين الصورة الشعرية.

الصورة السريالية

لعل أكثر ما يلفت الانتباه في الشعر السريالي عموما وعند أورخان ميسّر على وجه التحديد طبيعة الصورة التي تؤسس لبلاغة جديدة ومستحدثة تقوم على الإخلال بالتناسب والتشابه بين عناصرها مما يجعلها صادمة ومنفرة وتنحو منحى غرائبيا يدل على الفوضى الشعورية التي يعيشها الشاعر وعلى اتزانه النفسي المفقود الذي يعبّر عنه بشكل تلقائي، ويظهر ذلك في مستويات عدّة من آليات تكوين الصورة مثل الصورة القائمة على التشخيص والصورة القائمة على التشبيه:

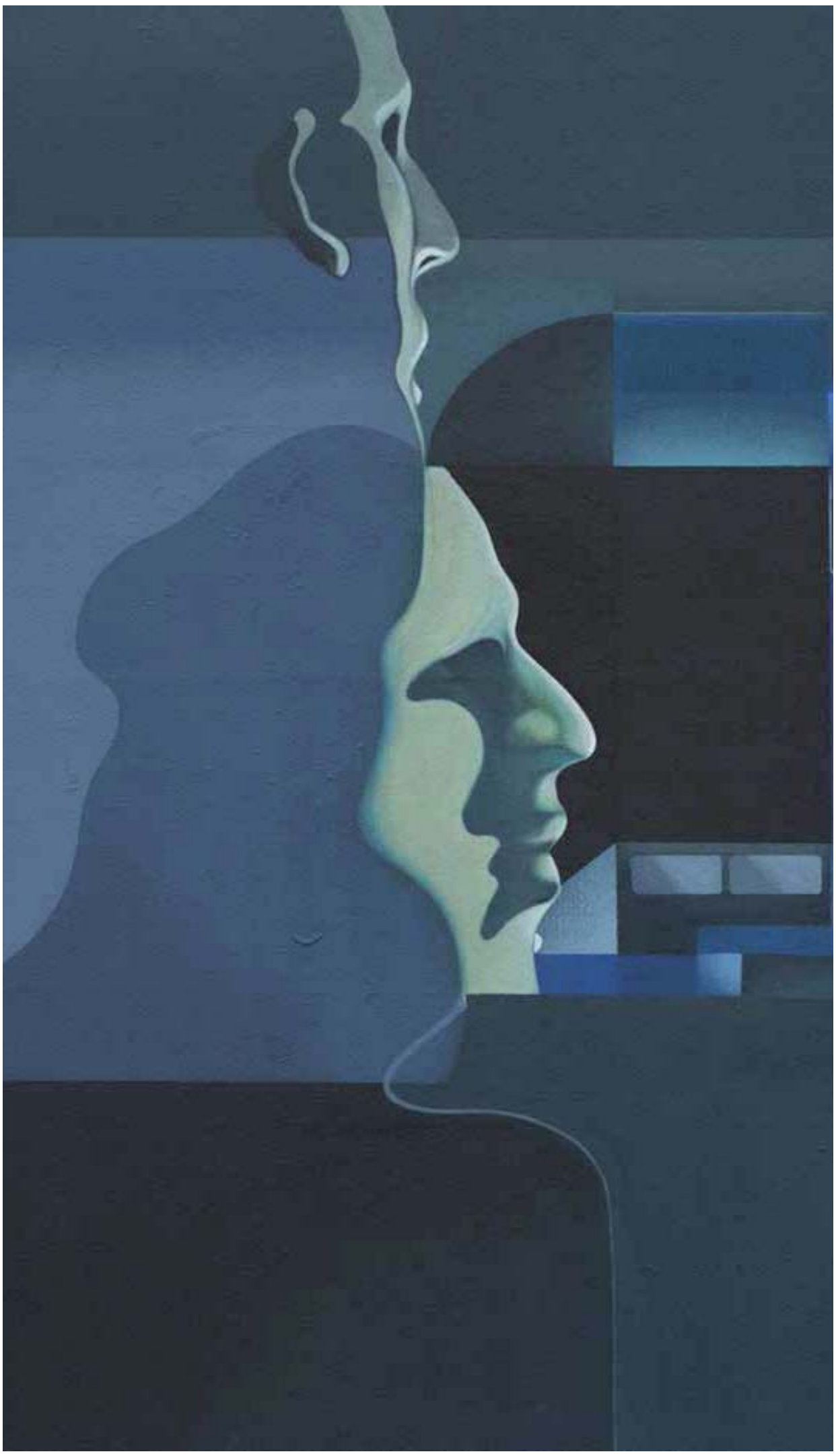

لوحة محمد ظاظا

الصورة التشخيصية

يقول أورخان ميسّر في قصيدته "الطريق":
أما الغبار الذي يكاد يفقأ عيني الآن
فسيرتد عند الفجر
ليتقمص أسطورة ضامرة البدن
ذات شفتين ضخمتين شفافتين.

يجعل الشاعر من الغبار كائنا متحركا عنيفا له ملامح غريبة تقوم على المفارقة التي تعمق الدلالة السّريالية للمشهد، فهو أسطورة ضامرة البدن لكنها ذات شفتين ضخمتين وشفافتين وهي صورة غريبة ومنفّرة للغبار تذهب بالغريب إلى أقصى حدود التطرّف حيث يتطلب بلوغ دلالاتها اجتهادا في القراءة والتأويل.

يقول أورخان ميسّر في قصيدة "طين":
أما الغبار، أنا المجرد من الظلال والألوان
وخفقة الدّم
فأمضي كبحة وتر مقطوع غمر في الطين.

تبدو عناصر الصورة في هذا المقطع مفككة عبر التشبيه الذي يقوم على مشبّه به غريب غير متواضع عليه في اللغة والثقافة، وهو اختيار مقصود من الشاعر حتّى يعدل بالصورة عن النمطية إلى الغريب والمدهش الأمر الذي يستفز القارئ ويحرك لديه حالة شعورية غريبة يقصد إليها أورخان ميسّر قصدا، فهو بذلك يحفّز القارئ على التفاعل مع القصيدة ويدعوه إلى لملمة شتات الفكرة المبعثرة في الكلمات.

وميض متفرّط
في
الغسق.

إنّ تجربة أورخان ميسّر على أهميتها من حيث الريادة في التأسيس للسريالية العربية التي أسست للحداثة الأدبية في مفهومها القائم على التغيير الجذري في الموروث الشعري، فهي، رغم ذلك، تجربة منسية، ملقاة في ركن بعيد من الذاكرة الإبداعية العربية، مليئة بالغبار ومحاطة بركام من أضغاث إبداع، ومن هنا، وجب إعادة النظر في هذه التجربة نظرة إجرائية موضوعية تنتشلها من الظلام إلى النور. نور القارئ يكتشف كنه التجربة ويعي ديدن تكوينها، نور جرح القصيدة يعرّي ويفضح اللاوعي ويصوّر غرابته دون قناع او تجميل.

دم يخضّب الحلم، نفس أثقلها المكبوت فأدماها، واقع يئن، نزيفه يفيض من القلب إلى القصيدة.. إلى العالم.

أورخان ميسّر.. شمعة منسيّة تضيء العتمة بالأحمر.

الاعتراف ممنوع حتى إشعار آخر

سجال عربي حول أدب إشكالي

طرحت مجلة "الجديد" في عددها الماضي الصادر في مستهل شهر فبراير 2019 ملفًا غاية في الأهمية بعنوان "أدب الاعتراف". الملف يأتي استكمالاً لجملة الملفات الحيوية التي بدأتها المجلة منذ عددها الأول. يسعى الملف بما طرحه من رؤى جديدة مغايرة إلى استكشاف الذات والكتابة في الثقافة العربيّة. ومن هنا لم تُوْقف المجلة مفهومها الذي طرحته عند السيرة الذاتيّة كجنس أدبيّ يلجأ إليه الكثيرون عند الكتابة عن الذّات. بل يتخذ –هنا– الاعتراف مفهومًا أوسع "يتسع لكل كتابة ذات طابع ذاتي تتحدّث عن الأنا في علاقتها بعالمها. ولكن من موقع الجرأة في التصريح، بل وحتى نقد الذات وكشف عيوبها قبل محاسنها" كما جاء في كلمة التحرير.

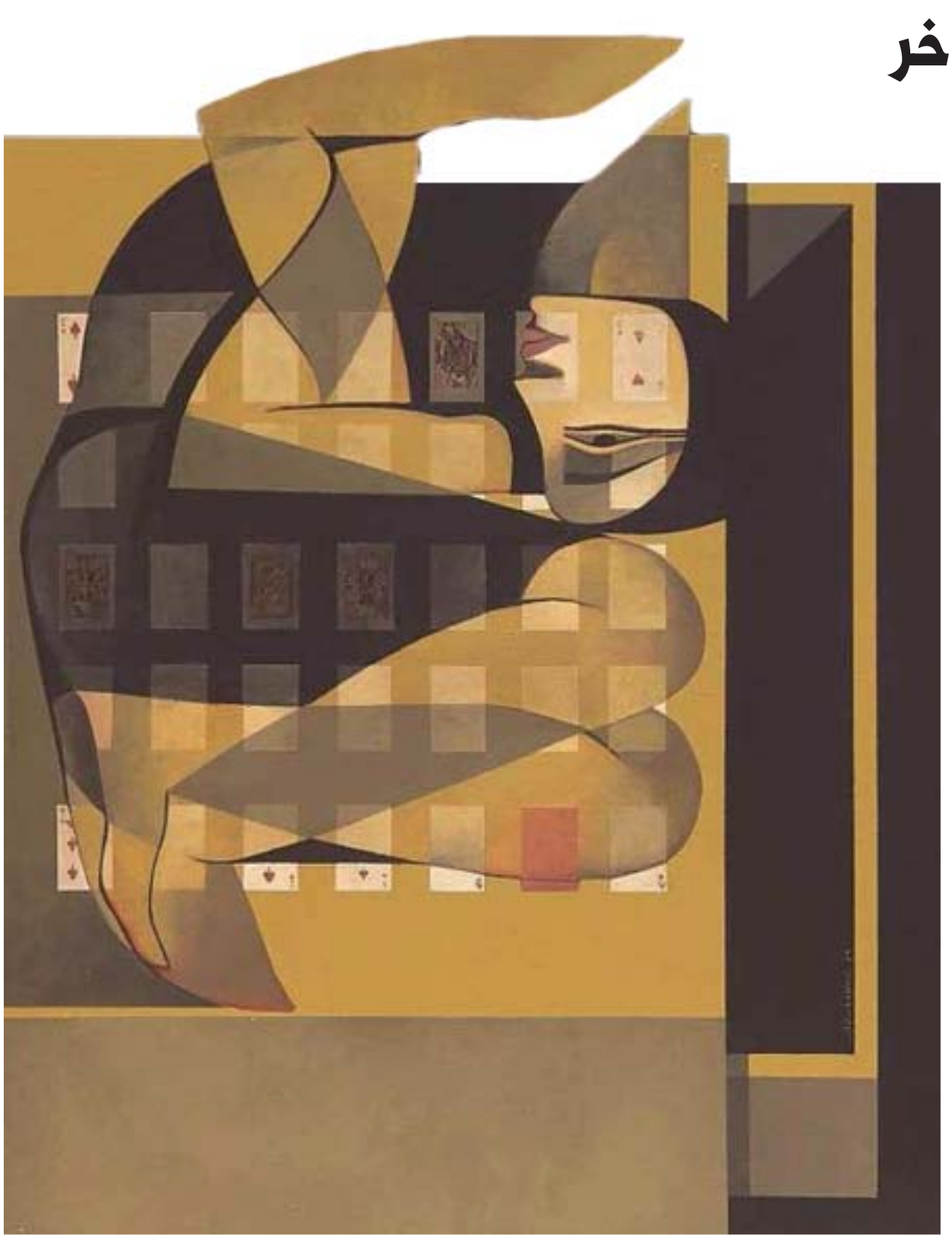

لوحة: صفوان داحول

ممدوح فراج النابي
كاتب من مصر

❑ الأسئلة الجوهرية التي دار حولها الملف بزوايا مختلفة جاءت كالتالي:

• هل أدب الاعتراف حاضرٌ في الثقافة العربيّة؟ وما نسبة هذا الحضور في كتابات الذات مقارنة بكتابات الغرب؟

• ما هي مراوغات الكُتّاب لتمرير ما يعدّ تابوهات في مجتمعات منغلقة في أخبية تميل إلى التستر والتخفي أكثر من الفضح والإعلان؟

• هل الأنساق الثقافيّة المهمينة هي العائق الحقيقي دون كتابة سيرة ذاتية صريحة، أم أنّ ثمة عوامل أخرى تقف حائلاً دون تحقق سيرة ذاتية عربيّة خالصة؟

بداءة يجب الاعتراف بأن كثيرًا ممن تناولوا الموضوع في مقالات أو شهادات أقرّوا في يقين وحسم بأن الثقافة العربيّة لم تعرف أدب الاعتراف على عكس أدب التراجم أو كتابة النفس التي كانت سائدة كما يقول عامر درويش، أو "يعدُّ من الممنوعات أو المحرّمات"، كما وصفه جيلاني عمراني. أو "يتطلب مسؤولية مشتركة بين الأنا والآخر" كما تقول حنان مصطفى. بل هناك مَن تخوّف من كتابة اعترافاته في الأصل، على نحو ما اعترفت رحاب أبوزيد في تساؤلها الاستنكاري: كيف أعترف؟ خاصة أنها تقرّ بنقصانها الجرأة لكتابة مثل هذا الكتابة.

وإن كان سعيد الكفراوي يرجع الغياب إلى الشرائط الناقصة التي يحتاجها الأديب لكي يبوح باعترافاته وهي تتمثّل في "حرية التعبير وحرية الثقافة وحرية التلقي والحريات المجتمعية عمومًا، كما يحتاج الكاتب إلى امتلاك ذات شجاعة لمواجهة كل المناطق السّلبيّة داخله وخارجه. ولذلك كله فإن النصوص العربيّة التي أنجزت تلك المغامرة قليلة للغاية بل نادرة، وتبدو عادة خجولة ومرتعشة تلامس أسطح الأشياء دون أن تتورط في كشف الجروح".

وإن كان ثمة رأي له وجاهة يرى أن الاعتراف لا يعني "إماطة اللثام عن بعض الأسرار، كما نقرأ في مذكّرات الزعماء وسير المشاهير، بقدر ما هو مُسارَةٌ بالذنوب والأخطاء، وتفريج عن النّفس من عبء ثقيل" على نحو ما ذهب أبوبكر العيادي.

> في معظم التحقيقات والشهادات عن سؤال هل أدب الاعتراف موجود في الثقافة العربية؟ كان الجواب بالطبع لا. وهو ما يعني غياب أدب الاعتراف عن الثقافة العربية

الملاحظة الأساسيّة أنه على تنوعّ المقالات والشهادات عن الاعتراف وداوفعه فإن ثمة مشتركات أهمها أن معظم المقالات تبدأ بنفي قطعي لغياب أدب الاعتراف، ثم تورد الأسباب والعوامل وجميعها تكاد تكون واحدة متمثلة في عدم تقبل الثقافة العربية لمثل هذه الاعترافات التي تكون ضد الثالوث المحرّم: الدين والجنس والسياسة. وإلى طبيعة الثقافة العربيّة التي تحتكم للأنساق بكافة صورها دينيّة وسياسيّة وأخلاقيّة مجتمعيّة.

الشيء الثاني أن الجميع أجمعوا على استحالة كتابة المرأة لمثل هذه الكتابة التي تتحدى الأنساق الثقافيّة والمجتمعيّة كما ذهبت زينب العسال وعامر درويش وحنان مصطفى.

أوّل إشكاليات هذه المقاربات أن الجميع يضعون الاعترافات في الغرب مقياسًا للحُكْم والنفي بعدم وجود اعترافات في الثقافة العربية! وهذه مغالاة في حدّ ذاتها، مُتناسين أنّ لكل ثقافة طبيعتها الخاصّة، والأهم أن هذه المجتمعات الغربيّة التي كانت حاضنة لهذه الاعترافات على جرأتها كانت ترفع شعار الحرية وهو الشعار الأهم الذي كان حافزًا للكتابة دون مواربة أو خشية سُلْطة. ورغم هذه الحرية فإنّ بعض الكتابات صودرت بسبب جرأتها أو لأنها خاضت في مسائل عقدية وغيرها، والأمثلة التي تدل على ممارسات محاكم التفتيش كثيرة والتي أغلبها كان نتاج سلطة دينيّة متشدّدة أو عنصرية. وهذا ما يشير إلى أن خصوصية كل ثقافة عامل مؤثّر في شيوع أجناس أدبية وغياب أخرى. وهو ما يظهر بصورة جلية عند الحديث عن غياب أجناس أدبيّة وظهور أخرى.

أضف إلى ذلك أن الكُتّاب الذين يعتدّون باعترافاتهم بأنها النموذج المثال في أدب الاعتراف، على نحو ما ذكرت أدبيات السّيرة الذاتيّة عن اعترافات القديس أوغسطين واعترافات جان جاك روسو، في الأصل اعتراهما النقص حيث أغفل الكاتبان الحقيقة، وإن كان ثمّة تعلّلا لما فعلا على نحو ما أشار أبوبكر العيادي، حيث "غفلا عن بعض المسائل لتعجّل الأوّل ملاقاةَ رحاب دين ربّه، وتعلل الثاني بخلل شاب ذاكرته، ولكن وقائع التاريخ تثبت أنهما غفلا قصدًا عن أحداث تسيء كثيرا إلى الصّورة التي حرص كلاهما على تقديمها للقارئ، وتركها للأجيال اللاحقة، وأن ذاكرة كل منهما كانت انتقائية".

وهذه الإشارة بالغة الأهمية في موضعها حيث تؤكد على "أن الاعترافات في الغرب أغفلت عن عمد الحقيقة، وهي المجتمعات المفتوحة، وسقف حريتها عال؟ وهو ما يجعل ما كتب في الأدبيات العربيّة، بجرأته التي رفضها البعض، مقبولاً ومُسْتَحْسَنًا في ظل هذه السياقات التي نُتِجَ فيها.

ثمة دوافع أخرى ذكرها الكُتّاب كانت حائلاً لعدم شيوع مثل هذا الجنس في كتابتنا، خاصة أن فيها ما يتناقض مع طبيعة البيئة العربية. وهو ما أتوقف عنده قليلاً.

يسوق عامر درويش أسبابًا جديدة لغياب كتابة الاعترافات في أدبنا. فهو يعتمد ثنائية الشرق والغرب التي ينقسم إليها الأدب كأساس لهذا الغياب، فمن وجهة نظره أنّ "المشرق لم يستطع أن يعرّي نفسه تمامًا كما فعل مثيله المغرب" ويرجع هذا الفارق إلى عدة أسباب يذكر منها "تأثر أدباء المغرب بالإرث الاستعماري الثقافي أكثر مما هو حال نظرائهم في المشرق".

ووفقًا لهذا السبب يرى أن بلاد المغرب باستثناء ليبيا اكتسبتْ هذه الثقافة. وإن كان في نفس الوقت يجيب عن تساؤل بأن لبنان وسوريا كانتا خاضعتيْن للانتداب الفرنسي، إلا أنه يجد مخرجًا بأن فترة الانتداب في المشرق كانت أقل من المغرب، والتبرير الثاني الذي يسوقه مفاده أن "قوة الهُوية في المشرق العربي كانت أكثر صلابة من المغرب". وأعتقد أن الكاتب نفسه توقف عند ما يمكن أن يوجه لكلامه من انتقاد، دون أن يقنعنا بتبريره. أما سبب تأخر المشرق في أدب الاعتراف فهو أن معظم المشرق كان محتلاً من قبل بريطانيا صاحبة تقاليد المحافظة على ما هو قائم. وهذا أيضًا يحتاج إلى ردّ، فمصر التي كانت خاضعة للانتداب الإنكليزي لأكثر من سبعين عامًا لم تتأثر بالثقافة الإنكليزية، ومن ثم لم تكتسب من ثقافتها المحافظة التي كانت رائجة في تقاليد التاج البريطاني، ومع هذا فمالت الكتابة عن الذات إلى المحافظة نوعًا ما.

ربما ما ذكره الكاتب عن وقوف الهُوية الدينيّة في بلاد الخليج كحاجز لشيوع مثل هذا النوع، مثلما تقف التقاليد أمام كتابات المرأة، مقبول إلى حد بعيد، وإن كان يضاف إليه طبيعة هذه المجتمعات المغلقة التي ما زالت تحتكم لثقافة الخيمة، وإن بدأت بعض البلاد في التحرر نوعًا ما بفضل البعثات إلى الخارج، والرغبة الداخلية في التحرّر من تقاليد مجتمع القبيلة.

وإن كان جيلاني عمراني يردّ هذا الغياب إلى التخلّف الذي كانت تعيش فيه مجتمعاتنا، وهو ما يتفق فيه معه الحبيب السائح، مع اختلاف المُسمّى، حيث وسمها بالقيود التي حسب وصفه "تمثّل قوة ردع قاهرة لكل تفكير لدى كل مُبدع وتتمثّل في "قيد المَغْفور بيد العائلي القبلي والإتني والأخلاقي والدينيّ والتاريخيّ والسياسيّ والقانوني."ومن ثمّ يُقرّ بيقين إلى أن أدباء الجزائر لن يكتبوا هذا النوع، فالتخوّف أيضًا أحد العوامل التي تحول دون تحقّق مثل هذه الكتابات، فالجميع يصفه بأنه "جملة أسرار" أو "مدونة فضائح"، وهو ما انعكس كما يقول محمد الحجيري "سلبًا على الكتّاب فراحوا يتحاشون ذكر الوقائع النافرة أو الفاضحة وغير المُستساغة لدى القرّاء. وهذا يتعارض مع مهمّة أدب الاعتراف، وثمة بعض الشواهد الحسيّة، تدل على مدى الرقابة الذاتية في أدب البوح والاعتراف".

التواطؤ مع الكذب

تذهب زينب العسال إلى منطقة أخرى في أسباب غياب أدب الاعتراف حيث ترى أننا نشأنا في مجتمعات تتواطأ مع الكذب، وهو ما يعني السعي إلى فكرة تجميل ذواتنا وتاريخنا وسيرتنا، وهو الأمر الذي يتنافى مع مواثيق كتابة الذات التي تستلزم تعرية الذات. فحسب قولها الاعتراف بالحقيقة يعدُّ صدمة للمجتمع ولعاداته ومعتقداته، ومن ثم فلا يُقبل الأدباء على كتابة أدب الاعتراف لأن ذلك يتسبّب في جُرسة وكسر للحدود والتابوهات وانتقاص من هيبة الأديب ومكانته وفقده احترام الآخرين.

تقرّ العسال بأنّ كتابات الاعترافات وزّعها الكُتّاب العرب في صيغتين الأولى في أعمال روائيّة والثانية في السيرة الذاتيّة. في حين أن المرأة العربية تُغرّد خارج هذه الكتابات فكما تقول من الصعبَ "أن نجد كاتبة تهبنا أدب الاعتراف، سنظل لسنوات ندور في فلك كتابة السيرة الذاتية"، وإن كانت تستثني بعض الكتابات مثل مذكرات الأميرة العمانية "وليم" –باللغة الألمانية– التي تتأرجّح بين السيرة الذاتية والاعتراف، والكتاب الثاني "هو لا حشومة في الجنسانيّة النسائيّة في المغرب"، الكتاب من تأليف سمية نعمان جسوس، وترجمة وتحقيق عبدالرحيم خزعل، وهو الكتاب الذي يتحدّث عن اعترافات نساء مارسنَ الجنس خارج مؤسسة الزواج وكيف واجهتهن مشكلات مثل فقدان العذرية والحمل ورفض الأب الاعتراف بابنه وغيرها.

وتنتهي إلى أنها لا تتصوّر أن الكاتبة العربيّة سيُتاح لها أن تكتب أدب الاعتراف، أن تكتب عن حياتها بصدق، فهي تعاني من ضغوط شديدة، السطوة الذكورية تمنعها من البوح والكشف وتعرية المستور، فالمجتمع لا يبيح للرجل أن يعترف، لقد تندّر البعض من زواج لطيفة الزيات برشاد رشدي، وكان السؤال لماذا؟ وحين جاءت إجابتها عبر أوراق شخصية "الجنس أسقط روما" كانت صادقة في ما قالته. هذه هي الحقيقة دون تجميل أو تزويق.

نفس هذا التصوّر تميل إليه حنان مصطفى فترى أن ذات المرأة في الكتابة مُعرّضة للانتهاك على مستوى النص، حيث التلصص الذكوري على ما تكتبه المرأة "باحثًا عمّا يمكّنه من اختراق خصوصيتها، محقّقًا لذة ذكورية من شأنها أن تحوّل العَلاقة بين النص والقارئ إلى شكل من أشكال الممارسة الجنسيّة على مستوى الخيال". وقد يكون هذا التلصص وإن لم تصرّح به مباشرة رحاب أبو زيد سببًا لعدم الكتابة، وهو ما يضطرها أثناء الكتابة لأن تلوذ "إلى غرفة موصدة النوافذ ومبطّنة الجدران بطبقات سميكة من الفلين والإسفنج حتى أتيقن أن لا أحد يسمعني".

السؤال الذي لم تقربه هذه المقاربات وهي تتحدّث عن صعوبة كتابة المرأة ذاتها بجرأة مفاده: هل هذه الدوافع والمبررات التي سيقت حقيقية، أم ثمة تمويه وتخفٍ خلف هذه القناعات، من عدم الكتابة؟! فالشعور بالاستقلالية هو الحافز الأساسي للتحرّر من الخوف، وعندما يتحقق لا تخاف المرأة هذا المتلصص الذي اخترعته لتهرب من فكرة الكتابة، كما فعلت لطيفة الزيات في "حملة تفتيش أوراق شخصية"، وهي تجلد ذاتها وذات رشاد رشدي، ما فعلت هذا إلا بعد شعورها بالتحرّر، وبالمثل فعلت الكاتبة الكويتية ليلى العثمان في جلدها لرجال الدين، وقتل الأب ليس في الأحلام كما ادعى فرويد وإنما عبر الكتابة، فكتبت سيرة جريئة بعنوان "لا قيود.. دعوني أتكلّم"، دون أن تعتدّ بالسلطات القامعة.

وهم القناع السيري

في ظل هذه المعوّقات التي حالت دون ظهور اعترافات عربيّة مُقارنة بما كتب في الغرب هناك من ذهب إلى بديل يستطيع من خلاله أن يُمرّر الكاتب ما يودُّ قوله دون أن يصطدم مع السّلطات الرادعة، والحل يتمثّل في تقنية القناع على نحو ما ذهب محمد آيت ميهوب حيث اعتبر القناع "سبيلا إلى البوح" وهو ما يتوافق مع ما طرحته العسال من كون الاعترافات تمرّر عبر صيغتين الرواية والسيرة الذاتية.

فمن وظائف القناع كما يقول توفير الحمايّة لمن يكتب قصة حياته وحياة ذويه. ويبرّر اللجوء إلى القناع، بقوله "إن تاريخ الرواية العربية والغربية من فلوبير إلى نجيب محفوظ وحيدر حيدر مليء بأمثلة قاسية ممّا قد يتعرّض له الروائيّ بسبب ما يكتب من المحاصرة والمحاكمة وحتّى التحريض على القتل".

> في ظل هذه المعوّقات التي حالت دون ظهور اعترافات عربيّة مُقارنة بما كتب في الغرب هناك من ذهب إلى بديل يستطيع من خلاله أن يُمرّر الكاتب ما يودُّ قوله دون أن يصطدم مع السلطات الرادعة، والحل يتمثّل في تقنية القناع على نحو ما ذهب محمد آيت ميهوب حيث اعتبر القناع «سبيلا إلى البوح» وهو ما يتوافق مع ما طرحته العسال من كون الاعترافات تمرّر عبر صيغتين الرواية والسيرة الذاتية

فالقناع هو السبيل الوحيد للانفلات من حصار الرقابة بكافة أشكالها الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة بما تمثّله من عداء للكُتّاب، فيظل المتخيّل الروائيّ هو القادر على أن "يضمن مسافة فاصلة بين النص والواقع التاريخي، وبين الشخصية الروائيّة وخالقها الكاتب"، لذا يرى أن تضمين الكاتب أجزاء من سيرة حياته يُعدُّ جزءًا من التقنّع والاختفاء.

في الحقيقة أختلف مع هذا الطرح كليًا لسببين الأوّل أن ليس كل رواية سيرة ذاتية، وليست كل سيرة ذاتية تمثل اعترافًا بالحقائق كاملة، فالذات تعتمد على الذاكرة في استدعاء الماضي، وأكّد الكثيرون صعوبة الاعتماد على الذاكرة لما يعتريها من الضعف والنسيان بسبب عوامل الزمن، علاوة على أن الذاكرة دومًا تعتمد على مبدأ الانتقاء والاختيار، وهو ما يعني أن طبيعتها تُنحّي كل ما يُشين هذه الذات ويدينها، وتتخيّر من سيرتها ما يرضيها.

ينشر المقال بالاتفاق مع مجلة الجديد والنص كاملا على الموقع الإلكتروني

فنان يرى النساء زهورا وفراشات وفواكه

حلمي التوني يفك شفرة الأنوثة بألوان الربيع

شريف الشافعي
كاتب من مصر

❏ خصص التشكيلي المخضرم حلمي التوني معرضه الأخير في القاهرة للمرأة، ليس فقط بوصفها شريكة للرجل في مسيرته، وإنما باعتبارها صانعة للحياة، ومكتشفة للوجود، و"بالتة" للألوان كلها. وواصل في لوحات "للنساء وجوه" رحلته التفاؤلية نحو ربيع يكسو الأرض جمالا ووضاءة وإشراقا.

يحيا الفنان كي يرسم، وبإمكانه أيضا أن يرسم كي يحيا ويضخّ أوكسجين الحياة في من حوله من بشر وكائنات وموجودات وعناصر. وإذا كان الواقع يبدو مجدبا تعيسا متجمدا، فمن مسؤوليات الفن تغييره، أو خلق واقع آخر موازٍ تحلّق فيه الأرواح نشوة وائتلاقا.

هذا ما يؤمن به التشكيلي حلمي التوني (85 عاما)، وسعى إلى إنجازه في معرضه الذي اختتم بغاليري بيكاسو في حي الزمالك بالقاهرة في 21 مارس الماضي، حيث تحوّل الفن إلى أسطوانات إنعاش، وشحنات إيجابية للمقاومة.

> تمكن حلمي التوني ببساطة من فك شفرة الأنوثة بألوان الربيع، ومن سبر أغوار الربيع بألوان الأنوثة، فالمرأة هي التفتّح والميلاد والتخليق والبكارة والصفو، والنساء لسن بعيدات الصلة في تكوينهنّ الملموس وأرواحهنّ الزاهية عن الزهور والفراشات والفواكه والطيور

واللافت أن المعرض انتهى يوم ميلاد فصل الربيع، وهي دلالة عفوية على أن التوني تمكن من زرع ربيعه في الوجود مستبقا حضوره الموسمي، ولولا أنه معرض مخصص بالكامل للمرأة لما تمكن الفنان من رسم ربيعه بهذا القدر من الوهج والخصوبة والإشعاع.

تأتي لوحات "للنساء وجوه" استكمالا لتجربة حلمي التوني خلال السنوات الأخيرة، التي يمكن وضع عنوان عريض لها هو "البهجة"، فالفنان لا يتجاهل حالة الاكتئاب السائدة، ولا ينفصل عن حاضره ومجتمعه، لكنه يتوسم في الفن طاقة سحرية، ويجد في الألوان المتفجرة قدرة عجائبية على زرع بذور الأمل في خارطة الأرض القاحلة، وثنايا القلوب البائسة.

الفن، من هذا المنظور الذي ينتهجه التوني، حيوية خلاقة، وكبسولات مدهشة لإزالة الألم من خلال المتعة والجمال والإحساس بخصوبة الحياة وعنفوانها، ومثل هذه الحالات المكثفة قد تتجاوز وظيفة المهدئات والمسكنات، لتقود إلى المعالجة والتغيير والتحفيز على مواصلة السير فوق دروب الجراح والمآسي والإحباطات.

إذا كان السير فوق الأشواك حقيقة مريرة مفروضة، فإن استنشاق الأزهار أيضا فعل ممكن ومتاح، وبهذا التوازن يستقيم معنى الحياة، فإذا طغى الوجع على إحدى كفتي الميزان في الواقع المعيش، فإن الفن بإمكانه زيادة جرعة الأمل والبهجة في عالمه الفانتازي لمحاصرة الاكتئاب وإعادة الإنسان إلى اتزانه.

هذه المنظومة التي يعتنقها التوني واسعة المفردات، ممتدة الآفاق، فمرة يستقي خميرة النشاط والسعادة من رحيق البنفسج الآسر "ليه يا بنفسج بتبهج؟"، وتارة يقتنص من الأنغام والألحان الموسيقية الراقصة إيقاعات جديدة طازجة تصلح كدقات للقلوب المتشبثة بالأمل، كما أنه قد يلجأ إلى المرأة، لتفتح له كل البوابات والفضاءات الممكنة.

تمكن حلمي التوني ببساطة من فك شفرة الأنوثة بألوان الربيع، ومن سبر أغوار الربيع بألوان الأنوثة، فالمرأة هي التفتّح والميلاد والتخليق والبكارة والصفو، والنساء لسن بعيدات الصلة في تكوينهنّ الملموس وأرواحهنّ الزاهية عن الزهور والفراشات والفواكه والطيور.

لم يقدم المرأة منفردة، وإنما كعنصر حي من عناصر الطبيعة، فهي مشتبكة دائما مع الأغصان والورود والثمار، منسجمة ومتفاعلة مع الطيور والفراشات، وأيضا مع الأسماك في غوصها في زرقة البحار، مكتسية رداء السماء، وعقد النجوم.

المرأة هي العطر المعسول الذي يحوّل الصبّارات بدورها إلى رايات فرح ومرح وبشارات بالارتواء، وهي كذلك في علاقتها بالرجل تأتي بحلتها الحمراء المشتعلة كصهللة نغمية صاخبة أو ضحكة مجنّحة، تجلس إلى جواره، أو تذوب في حضنه، وتمنحه التحقق والاحتواء، ككائن بشري في أحد وجوهها، وكأسطورة (سندريلا) أو ربة جمال في وجهها الآخر.

هذه الإشعاعات والتمثلات الأنثوية متعددة الأوجه ازدادت قوة وتأثيرا بفعل الألوان المنتقاة بعناية، كأنها أضواء، فهي "بالتة" الربيع المكتملة، باخضرارها النابض وأصفرها الدافئ وأحمرها المتدفق فورانا وجنونا، وملابس المرأة وأكسسواراتها كذلك مثل وجوهها وعطورها، بالغة الصراحة والصرامة والوضوح، لتحدث الصدمة كاملة، ويتحقق التأثير العنيف بخلق الواقع الموازي، الذي يعمل كممحاة لإزالة أثر الأحزان والآلام واجتثاث الكآبات من المنبع.

الحركة أيضا أحد أسرار نضج المرأة الاستثنائي في معرض التوني، فلا مجال للتخليق والتغيير بغير دينامية وتفجر، فالمرأة أيقونة الرشاقة في مشيها وقفزها ورقصها التعبيري، وتبخترها وخيلائها ودلالها، وطيرانها بأجنحة الفراشات وفساتين الأفراح والمناسبات السعيدة، وألعابها الطفولية بمشاركة كائنات الطبيعة المشحونة بالتطلع والإقدام.

نون النسوة.. منبع الأمل في الطبيعة

تكتسب لوحات المعرض أبعادا تخييلية إضافية من امتزاج أبعادها البصرية المباشرة بتجليات فنون أخرى، من شعر وموسيقى وغناء وباليه، فضلا عن ثرائها وعمقها الباعثين على التأمل وإيقاظ الذهن وشحذ الشعور، فوجوه النساء وملامحهن المصوّرة بؤر مشتعلة بالأحاسيس والفيوضات النفسية والإيحاءات الفائرة.

لقد أفاد التوني كثيرا في معرضه الجديد من خبراته السابقة في تقديم ثيمات بصرية معادلة، مستمدة من أنساق تعبيرية متعَددة في الشعر والغناء والموسيقى والرقص والموروثات الشعبية، فالتشكيل لديه هو ذلك الفن الهاضم الشامل، القادر على التقاط كافة التفاصيل واستيعاب جُملة الفنون وخيوط الحياة بالكامل.

وتمكن من تجاوز عتبته الأولية "إشاعة البهجة والتفاؤل" صوب فلسفة كاملة، مصوغة من البراءة والتلقائية، فالفن هو تلك الهزة المخلخلة أو ذلك الانخطاف المفاجئ الذي ينتاب المتلقي بمجرد تجوله في أروقة المعرض، إذ يجد ذاته منفتحا على أنفاس جديدة تتخلل مسامه وتتوغل في عروقه، وتدفعه إلى إعادة النظر إلى داخله وإلى الفضاء المحيط بعيون باسمة، واثقة، راضية.

تجاوز التوني كذلك المفهوم البدائي للانتصار للمرأة، بمعنى المساواة بالرجل وقضايا النسوية وما إلى ذلك، فجاء معرضه "للنساء وجوه" إثباتا لجوهر الأنثى كمعنى أصلي للوجود، وانتصارا أوسع نطاقا للإنسان الساعي إلى استرداد بهجته وبراءته ودهشته وصفائه.

المرأة واهبة الحياة للرجل وللكائنات

خارطة الأنوثة الممتدة من أعلى سماء إلى أعماق البحر

أنوثة الفراشة

أن تصنع نافذة لمخيّلتك

معرض باريسي يستعيد ست لوحات تجريدية للأميركي إليسورث كيلي

عمار المأمون
كاتب من سوريا

تحاول بعض تجارب الفن التشكيلي، المفاهيميّة والتجريديّة، أن تعيد العالم إلى عناصره الأولى، تلك المكونات التي تشكل الوحدات الرئيسيّة لما يحيط بنا، كالخط والنقطة واللون، لنرى أنفسنا أمام أشكال بصريّة تعكس الأشكال الصرفة التي تتحرك ضمنها المعاني الفنية والثقافية والدينية، لتبدو الخطوط التجريدية معالم ودلائل تضبط شكل العالم وحركة مكوناته، ما يجعل الفنان أقرب لباحث أحفوري ينبش في أصل الخطوط وتحولاتها، بحثا عن الأثر/ الشكل الأول.

يقيم مركز بومبيدو في العاصمة الفرنسية باريس معرضا بعنوان "نوافذ" للفنان الأميركي الذي رحل عنا مؤخرا إليسورث كيلي (1923–2015)، ونشاهد فيه 6 لوحات أو نوافذ أنجزها كيلي بين عامي 1949 و1950 وعرضت للمرة الأولى في باريس حينها، ثم تبرّع بها للمركز قبل وفاته، كهدية أخيرة للمدينة التي ألهمته هذه المجموعة.

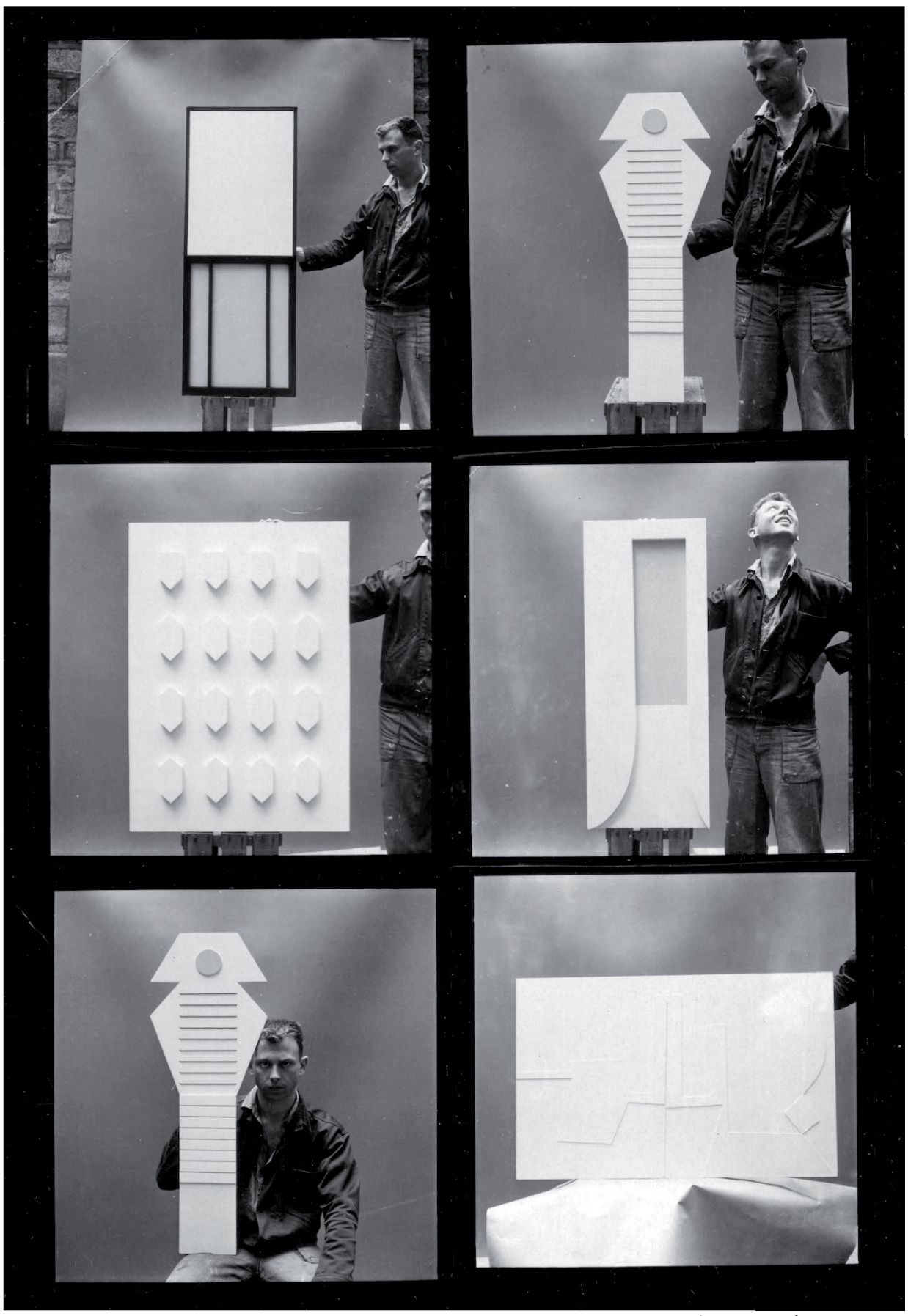

صور لكيلي من الأربعينات مع نوافذه

تخطيطات وتمرينات كيلي لصناعة نوافذه

> قراءة هذه «النوافذ» تتطلب الاطلاع على سيرة كيلي نفسه وتكوينه الشخصي والفني، فهو عسكري شارك في إنزال النورماندي وتحرير فرنسا، وكان عضوا في فرقة مختصّة بعمليات التمويه والتضليل العسكري

قراءة هذه "النوافذ" تتطلب الاطلاع على سيرة كيلي نفسه وتكوينه الشخصي والفني، فهو عسكري شارك في إنزال النورماندي وتحرير فرنسا، وكان عضوا في فرقة مختصّة بعمليات التمويه والتضليل العسكري، إذ كان يعمل على تصميم دبابات وعتاد أرضي قابل للنفخ لتضليل صواريخ الألمان، كما أنه قدّم تعريفا جديدا لمفهوم "جاهز الصنع"، إذ يرى أن كل شيء حوله مصنوع ومُنتهي التصميم، وعلى العمل الفنيّ أن يكون غرضا، غير موقع، فكل الاحتمالات موجودة في العالم من حولنا، وعلى الفنان فقط الاختيار منها، إذ لا داعي للبحث عن "التكوين" وجمالياته، بل تكفي المراقبة، ما جعل أعماله حسب تعبيره أشبه بتعبير غير شخصي عن "الشكل" ذاك الموجود في كلّ مكان دون أن يتم الانتباه إليه.

النافذة الأولى التي أنجزها كيلي مستوحاة من الخطوط الرئيسية لنوافذ خزائن المطبخ التقليدية، إذ يحرر "الشكل" والخطوط من وظيفتها ويجعلها أشبه بعلامة على الكانفس تتجاوز التصميم الأصلي الذي يتيح رؤية داخل "الخزانة"، نحو شكل يتكرر في العديد من الأماكن كما في النافذتين الثانية والثالثة اللتين تحاكيان أعمدة أسلاك التلغراف التي كانت منتشرة في الشوارع والتي أسرت كيلي أثناء رحلاته حول فرنسا.

اللوحة الرابعة هي الأكثر إثارة للاهتمام في المجموعة، والتي تحمل اسم "نافذة، متحف الفن المعاصر، باريس" ويبلغ طولها المتر والنصف، و"مصنوعة" من خشب وكانفس لمحاكاة نافذة حقيقية لمتحف الفن المعاصر الذي تحول الآن إلى "قصر طوكيو"، وتكمن أهميتها في أنها علامة فارقة في مسيرة كيلي، لأنها تمثل مفهوم "الجاهز" الذي يتبناه، ذاك الذي لا يقوم على أخذ "الغرض" من سياقه دون أي تعديل، ووضعه في المتحف كما الأعمال "جاهزة الصنع" التي تبناها مارسيل دوشامب، بل تركه في سياقه الطبيعي واقتباس شكله وإضافة تغييرات على الحجم والمواد المستخدمة، ليتحول إلى مخطط أولي، يمكن توظيفه في سياقات جديدة.

النافذة السابقة تعكس مهارات التخفيّ التي يتقنها كيلي، إذ يحاول التقاط المعالم الرئيسيّة لـ"شكل" حاضر في العالم ثم ضبط خطوطه الرئيسيّة، تلك التي تكسبه هويته وتجعله مختلفا عن غيره، وهذا ما يرتبط بتكوين الموضوعة الفنيّة نفسها التي "يصغرها" كيلي للأقصى، محافظا على حدودها التي تضبط "جوهرها" وتجعلها لا تشبه إلا نفسها، فالتصغير هنا تجريديّ يسعى نحو جوهر للشكل لا يمكن الاستغناء عن خط أو نقطة منه وإلا يتلاشى.

النافذتان الخامسة والسادسة في المجموعة مستمدتان من أشهر مباني باريس وتعكسان ذات الموقف السابق، لنرى أنفسنا في النهاية أمام "النوافذ" لا بوصفها منحوتات، بل لوحات "مصنوعة" حسب تعبير كيلي، فهو لا يرسمها، بل يبني الخطوط من مواد مختلفة (خشب، قماش..) ليؤكد أن اللوحة ذاتها بشكلها المادي هي الموضوعة الفنية لا ما تمثله داخلها، والفراغ بين الخطوط ليس مساحة سلبية، بل هو مكون أساسي يكشف المعنى الحقيقي الذي يخفيه الشكل، والذي لا يحضر أمامنا مباشرة، بل يُترك للمخيّلة التي تتحرك حرة ضمن الخطوط.

نشاهد في المعرض أيضا مجموعة من السكيتشات التي أنجزها كيلي للنوافذ السابقة، وصورا له في مرسمه، إلى جانب آخر لوحة كان يعمل عليها بعنوان "أبيض فوق أسود 3"، والتي لم تنته بعد، ولا يمكن إلا توقع شكلها النهائي، لكنها حسب القائمين على المعرض تظهر للعلن للمرة الأولى، وأضيفت لمجموعة "نوافذ" دون أي مبرر.

السينما سؤال وفضاء للمغامرة

أحمد فوزي صالح: نحاول الاشتباك مع تاريخ مُهيمن للسينما المصرية

أحمد فوزي صالح.. مغامرة جديدة في السينما العربية

منذ ما يقرب من عام ونصف العام، مع الانطلاقة الأولى لفيلم "ورد مسموم"، استطاع المخرج المصري الشاب أحمد فوزي صالح، في فيلمه الروائي الأول "ورد مسموم"، أن يلفت الأنظار إلى سينما جديدة تمتلك حساسية خاصة وأسلوبا مُتفرّدا قادرا على أن يشتبك بنظرته الخاصة مع قضايا المجتمع المصري. "العرب" حاورت صالح حول أسلوبه وتوجهه السينمائي انطلاقًا من فيلمه "ورد مسموم".

حنان عقيل
كاتبة من مصر

❑ في جُعبة المخرج الشاب فيلمان؛ الأول تسجيلي بعنوان "جلد حي"، والآخر فيلمه الروائي "ورد مسموم". يُبين صالح أنه بدأ في العمل السينمائي أثناء دراسته بالمعهد العالي للسينما في القاهرة، إذ أخرج فيلمين بعنوان "موكا" وهو فيلم روائي قصير، و"كل يوم" وهو فيلم تسجيلي عن الأطفال في منطقة عزبة الهجانة. وقد كان لأستاذه الناقد السينمائي السيد سعيد الفضل الأكبر عليه؛ فقد فتح أمامه آفاق الفنون وساعده على تكوين أسلوبه الخاص، من هنا بدأ اهتمامه بعالم المهمشين والفقراء والحياة السُفليّة في القاهرة، وتبلور أسلوبه الخاص في طريقة التصوير المعتمدة على الواقعية في الإضاءة والاعتماد على شخوص من الواقع وممثلين محترفين وهواة، وبفضل توجيهات السيد سعيد تنبّه صالح لدقائق صناعة الفيلم، وبعدها جاء مشروع فيلمه التسجيلي "جلد حي".

الحياة السفلية

يشترك الفيلم التسجيلي "جلد حي" مع الفيلم الروائي "ورد مسموم" في المكان "منطقة المدابغ"، وهو واحد من الأحياء الشعبيّة العشوائية في القاهرة، مع ذلك يرى صالح أن فلسفة المكان في الفيلمين لا تتشابه؛ فالفيلمان مختلفان في الرؤية الفنية. يُركز الفيلم الأول على الأوضاع التي يعاني منها الأطفال في المكان، أما "ورد مسموم" فيأتي المكان كشخصية روائية شأنه في ذلك شأن الأخ والأخت في الفيلم، فالمكان يفرض سطوته هنا على شخصيات الفيلم ومصائرهم وقراراتهم، ولا مجال للحديث عن تكرار بعدما حقق الفيلم التسجيلي نجاحات على المستوى النقدي ومستوى المهرجانات والتوزيع كواحد من الأفلام التسجيلية التي تم تداولها على نطاق واسع، كما أن "ورد مسموم" حصد ما يربو عن 15 جائزة، وقد يكون العملان مكتملين؛ فالفيلم الأول يصور حياة الأطفال في هذا المكان، والفيلم الثاني قد يطرح تصورا عن مستقبل هؤلاء الأطفال في مثل هذا المكان.

يطمح صالح إلى أن يستكمل مسيرته في التوجّه ذاتها، قائلا "اخترت هذا النمط من السينما، وسأدافع عن هذه الطرق في التفكير والإنتاج السينمائي لأنها تُمثّل قناعاتي الفنيّة. فأنا أعتقد أن الصورة هي اللغة الإنسانية الأولى التي نتشارك فيها وفي فهم الشعور الذي تولّده، فمتعتي في الحياة أن أكون صانعا للصور".

حساسية جديدة

رغم النجاحات التي حققها فيلم "ورد مسموم" على المستوى النقدي، فإن ثمة انتقادات وُجهت له من أبرزها هيمنة الغموض على أحداثه ومعناه منذ بدايته وحتى نهايته، يوضح صالح "لكل شخص رؤيته وقراءته، بالنسبة إليّ لا أرى غموضا، هناك قصة واضحة وقد أشارت العشرات من القراءات لها، لكن الفيلم به مساحة لإدخال المتفرج داخل الفيلم، إنه يطرح أسئلة أكثر مما يصل إلى يقين. من الأسئلة التي يطرحها الفيلم لماذا تحب الأخت أخيها هذا الحب؟ فالفيلم لا يقدم إجابة لكنه يطلب من المشاهد أن يجد إجابته، وهذه طبيعة الفنون في الزمن الحالي".

يتابع: الفن مهموم بطرح الأسئلة وتفجيرها وليس بتقديم الإجابات واليقين أو تقديم رسالة مجتمعية أو أخلاقية، الفيلم يطرح مجموعة من الأسئلة عن الفن والمجتمع، عن هيمنة العقل الذكوري على تفكير المرأة ومشاعرها، فالمهم أن نطرح الأسئلة لا أن نقدم إجابات، فالسينما المصرية قدّمت الكثير من الأعمال التي تطرح إجابات حول العديد من القضايا، لكن تقديم الاجابات لا يعني بالضرورة تقديم عمل جيد، وبالتالي نحن جيل جديد نُقدِّم سينما جديدة ونمتلك حساسية جديدة ونحاول الاشتباك مع تاريخ مهيمن للسينما المصرية من خلال تقديم أطروحاتنا وأسئلتنا عن المجتمع والسينما.

مشهد من فيلم ورد مسموم حيث السينما ترتاد عوالم البؤس

يؤمن صالح أنه من الطبيعي أن تتراوح الآراء حول الفيلم إيجابا وسلبا، فقد كان صناع العمل مدركين أن الفيلم صادم على مستوى الصورة وطريقة السرد، فهو لا يعتمد على قصة ضخمة أو منحنيات تتراوح صعودا وهبوطا أو حبكات تُدغدغ مشاعر المتفرج، فالفيلم مشغول بطرح أسئلة حول الفن نفسه والنفس البشرية والمجتمع الذي ننتمي إليه، الفيلم يستغني عن الخطابية ويحمل القضايا والأفكار والصور وليس الكلام، الفيلم ينتهج نهجا راديكاليا على مستوى السينما، ويحكي قصته من خلال الصور.

الرواية والفيلم

اقتبس فيلم "ورد مسموم" قصته من رواية "ورود سامة لصقر" للكاتب المصري أحمد زغلول الشيطي، ويشير صالح إلى أن السيناريو الأخير الذي توصلوا إليه بعيد تماما عن رواية "ورود سامة لصقر"، لكنهم حافظوا على اسم الكاتب أحمد زغلول الشيطي على لوحات الفيلم كتقدير أدبي، فلا يوجد ما هو مشترك بين الفيلم والرواية سوى شخصية تحية وصقر، لكن الرواية تدور أحداثها في مدينة دمياط في الثمانينات، بينما تدور أحداث الفيلم في منطقة المدابغ في الألفينات. بالتالي على مستوى الزمن والمكان والعلاقة بين الشخصيات لا يوجد تشابه سوى هذا الخط الرفيع عن الأخت التي تحاول أن تُبقي أخيها بجوارها.

ويستطرد: فكرة الحذف مهمة جدا في الفن، فلو تصوّر الفنان أنه وصل إلى الكمال لن ينجح، والسبب الأهم في عملية الحذف أن الفيلم له شكل وفي النهاية عمل متكامل، فالحذف ضروري كي يخرج العمل متماسكا، وقد اعتمدنا في الإطار العام للفيلم على فكرة "أقل القليل" أو "التقشف"، أن يصير الاعتماد الأكبر على الصمت، وأن تتضمن الصورة أقل العناصر الممكنة، ويمكن اعتبار فيلم "ورد مسموم" ابنا شرعيا للأدب، فكبار الروائيين والشعراء يكتبون أعمالهم بالاعتماد على الحذف لخلق مساحة للقارئ يمكنه فيها تأويل وقراءة العمل، وأثناء عملنا على الفيلم كان في وعينا مُتفرج شريك لا مُتلق، فالعالم والواقع بهما الكثير من أوجه النقص، والمهم كيف نراها، لأن الفن لا يمتلك يقينا أو حقيقة كاملة يقدمها للناس، وتعجبني دائما كلمة المخرج الفرنسي جان لوك غودار إن اللقطة سؤال أخلاقي.

> يرى صالح أن من حق كل فرد أن يرى الفيلم كما يعتقد، وفقا لثقافته وخبراته في التعامل مع الأفلام، البعض قد يراه مأساويا أو ينقل بصدق حياة امرأة مقهورة في عالمنا المعاصر، شخص آخر قد يراه فيلما واقعيا ينقل الواقع، لا يُجمّله ولا يزيده سوءا، ذلك التنوع صحي ودليل على قوة الفيلم، في تعدد مستوى الإحساس به وفُهمه

ويرى صالح أن من حق كل فرد أن يرى الفيلم كما يعتقد، وفقا لثقافته وخبراته في التعامل مع الأفلام، البعض قد يراه مأساويا أو ينقل بصدق حياة امرأة مقهورة في عالمنا المعاصر، شخص آخر قد يراه فيلما واقعيا ينقل الواقع، لا يُجمّله ولا يزيده سوءا، ذلك التنوع صحي ودليل على قوة الفيلم، في تعدد مستوى الإحساس به وفهمه، وأظن أن هذه قيمة كبيرة يبحث عنها أي عمل فني، أن يعاد تأويله بأكثر من شكل أو أكثر من رؤية، الاختلاف سُنّة الكون وتقبُل الاختلاف هو ما يجعل الحياة تستمر ويضفي عليها المتعة.

هل يعود السياح إلى سوريا من بوابة تدمر

وفد متعدد الجنسيات الغربية يزور دمشق وحمص واللاذقية

الحرب تسعى دائما لقطع شريان العيش وتفسد نبض الفرح والمعرفة، تماما كما حصل في سوريا طيلة السنوات الماضية، لكن الحياة تنتصر دائما والدليل المواقع الأثرية في كل الدنيا التي تتعرض دائما لمحاولات الهدم لكنها تبقى قادرة على نفض غبار الدمار، مثلما تفعل مدينة تدمر في سوريا التي ستظل شاهدة على تعلق البشرية بالجمال والحب.

آثار شامخة تنتظر من يزورها

❑ **دمشق** – يعرف المغرمون من العرب والغرب بالسياحة ما تتمتع به سوريا من طبيعة وشلالات وغابات كما يعرف هؤلاء آثارها الموغلة في القدم من مسارح وكنائس ومساجد شاهدة على مرور مختلف الحضارات، فهي الحاضنة لمختلف الأديان والثقافات، لذلك كان عشاق التاريخ والطبيعة والترفيه يأتون إلى دمشق واللاذقية وحمص وحلب باستمرار، لكن الحرب منعت تدفقهم في السنوات الأخيرة.

مع بداية الموسم السياحي الحالي، استقبلت سوريا وفدا سياحيا متعدد الجنسيات جاء فيه كنديون وفرنسيون وألمان وإسبان وسويسريون، منهم من يعرف البلاد وزارها سابقا مرة أو مرات، ومنهم من يأتي لأول مرة في مغامرة لاكتشاف الكنوز الأثرية قبل أن يداهمها الاندثار، كما زارت وفود إعلامية مدينة تدمر التاريخية التي لحقها الكثير من الدمار لتعاين جمالها الذي لا يندثر.

وبعيدا عن الجدل حول قدوم هؤلاء السياح بمحض إرادتهم أو استدعتهم السلطات السورية في إطار إعادة تنشيط الحركة السياحية، فإن تصريحات هؤلاء السياح وما اشتغل عليه الإعلاميون من ريبورتاجات وأفلام وثائقية سيروجان لسوريا كوجهة سياحية مازالت تستحق الزيارة.

المجموعة السياحية تضم 35 زائرا ذهبوا إلى مدينة تدمر واطلعوا على معبد بل الشهير وقوس النصر وشارع الأعمدة والترابيل، وهي أعمدة تسمى أيضا "المصلبّة" وتوجد في الطريق المستقيم عند تقاطعه مع الشارع المعاكس.

وتتألف الترابيل من أربع مجموعات، كل واحدة مؤلفة من أربعة أعمدة، تيجانها كورنثية، وكانت غرانيتية زهرية اللون جلبت من أسوان في وادي النيل لم يبق منها سوى واحد، والبقية رممت بأعمدة غرانيتية عادية، مبنية على قاعدة، سقوفها وأفاريزها مزخرفة.

وزار هؤلاء السياح المسرح الأثري والأغورا واطلعوا على أبرز المواقع الأثرية الأخرى في المدينة القديمة، وأجمعوا في تصريحاتهم التي أوردتها وكالة الأنباء السورية (سانا) على أن سوريا وجهة سياحية متنوعة، كما أثنوا على أن تدمر مدينة أثرية يحتاج كل من يهتم بالإنجازات البشرية عبر التاريخ أن يزورها.

وأكد السائح الفرنسي آلاند لوبينيه أن زيارته إلى سوريا بمثابة رسالة محبة وسلام لبلد التاريخ والإرث الإنساني والتي تشكل بداية الحضارة من الشرق إلى الغرب.

ولفت إلى أن تدمر تزخر بالمواقع الأثرية رغم ما أصابها من دمار، داعيا المنظمات الدولية المختصة بالآثار إلى المساهمة في إعادة ترميم تلك المعالم التاريخية لتعود إلى ما كانت عليه في السابق.

وأشارت الفرنسية جيزيل فلو المختصة في طب الأعصاب إلى أن تدمر مدينة جميلة للغاية ومكان يستحق الزيارة، لافتة إلى عزمها على تكرار زيارتها ونقل مشاهداتها عن المدينة التاريخية وسوريا البلد الآمن والحضاري وشعبها الراقي والمضياف إلى الشعب الفرنسي.

مدير سياحة تدمر جميل القيم، أكد أن زيارة المجموعة السياحية الأوروبية تشكل رسالة سلام وثقافة وإعلان عن بداية عودة قاطرة السياحة إلى ألقها بعد عودة الأمن والاستقرار إلى الكثير من المناطق في سوريا.

وتعتبر مدينة تدمر الأثرية من أقدم المدن التاريخية في العالم، تنتشر أوابدها على مساحة كبيرة ومدرجة منذ عام 1980 على لائحة اليونسكو للأماكن التاريخية المحمية دوليا.

وقال الكندي ولتر باترك "كنت في البداية خائفا ومترددا في الذهاب إلى سوريا، لكن مخاوفي تبددت حين وطأت أرض هذا البلد الذي يشكل مهد الحضارات، واجتزت الطريق الصحراوي الطويل بين دمشق وتدمر، وفرحت بتحقيق حلمي في زيارة هذه المدينة الأعجوبة".

وأشار البروفيسور الكندي إلى أنه سوف يعمل عند عودته إلى بلاده على إعطاء الصورة الصحيحة حول انطباعه عن الشعب السوري المضياف واستقباله للزوار، مؤكدا أنه سيعمل على تشجيع أصدقائه وزملائه وطلابه على زيارة البلاد التي تستحق شد الرحال إليها والاطلاع عليها عن قرب. واستعدادا للموسم السياحي، تولي وزارة السياحة أهمية لمهنة الدلالة السياحية من خلال إقامة دورات يشارك فيها أدلاء من مختلف المحافظات، ولاسيما بعد تزايد أعداد السياح والزوار مقارنة بالأعوام السابقة وضرورة تأمين جميع الخدمات ومقومات المنتج السياحي.

130

شابا وشابة يقومون بدورات لإعادة تجديد ترخيص وتصنيف الأدلاء السياحيين

وأقامت الوزارة مؤخرا دورة لإعادة تجديد ترخيص وتصنيف الأدلاء السياحيين بمشاركة 130 دليلا من مختلف المحافظات لاطلاعهم على مستجدات العمل السياحي ومتطلبات المرحلة.

وأشارت لجين الناصر إحدى المشاركات في دورة تدريبية أثناء زيارة علمية إلى تدمر، إلى أهمية تطوير معلومات وخبرات الأدلاء لتسويق المواقع السياحية والأثرية بطريقة صحيحة.

أما المتدربة ضحى الداحوري، فنوهت بعظمة مدينة تدمر وغناها وتنوع آثارها، مؤكدة أن سوريا تمتلك إرثا حضاريا كبيرا لا يمكن للإرهاب أن يطمسه.

وباشرت ورشات مديرية آثار تدمر بأعمال تنظيف المدينة ورفع الأنقاض المتراكمة على المعالم الثقافية والتاريخية.

وقالت السائحة الإسبانية كريستينا إن تدمر تزخر بالأماكن التاريخية التي تعتبر متحفا مفتوحا في الهواء الطلق.

ومن جانبها لفتت مواطنتها آستير إلى أنها زارت سوريا منذ 20 عاما، وعادت مرة أخرى لعشقها الكبير لها، معربة عن تأثرها وحزنها لما شاهدته من تدمير لهذا الإرث الحضاري الذي يعد قبلة للسياحة الثقافية من كل أنحاء العالم.

أما أكينيا وهي أيضا إسبانية، فأشارت إلى أن حلمها تحقق بزيارة مدينة تدمر، قائلة "سأنقل مشاهداتي لجميع أصدقائي ومعارفي لتشجيعهم على زيارة سوريا ومشاهدة حضارتها النادرة في العالم ومقابلة شعبها الطيب المضياف".

وتعمل مجموعة من الإعلاميين الأجانب على إعداد ريبورتاجات وأفلام وثائقية حول الإمكانيات السياحية لمدينة تدمر، وأمن الطريق المؤدي إليها، حيث قالت الصحافية الإسبانية أخيلا رويديسو إنها أعدت فيلما وثائقيا إلى جانب ريبورتاج لبرنامج التقرير الأسبوعي في التلفزيون الإسباني عن مدينة تدمر وأهميتها التاريخية التي تعد إرثا إنسانيا يهم كل البشرية.

وأشارت رويديسو إلى أن مدينة تدمر التي تصدت أيضا قديما للرومان ستبقى رمزا للحرب بين الهمجية والحضارة، مؤكدة أن الهدف من أعمال التصوير تغيير وجهة نظر الرأي العام تجاه ما يحدث في سوريا وأن تكون نظرته أوسع مما كانت تروج له وسائل إعلام عالمية.

وقام المخرج الإيطالي ماركو بوتوكا بتصوير وتسجيل فيلم وثائقي عن المواقع التاريخية والحضارية في سوريا، وخاصة مدينة تدمر، ودور طريق الحرير الدولي في ازدهار المدينة في القرون الميلادية الأولى، وإبراز حضارة الملكة العربية زنوبيا وانتصاراتها التي قدمت للعالم ثقافة حضارية وإرثا إنسانيا.

وأكد مقدم الفيلم الصحافي الإيطالي سيبستيان كيتو أنه تم التركيز في هذا الفيلم على مدينة تدمر ودورها في نشر الثقافة الإنسانية في أنحاء العالم كافة، فضلا عن امتياز تدمر بأجواء تصويرية رائعة، كونها تمتلك كل مقومات المشاهد المطلوبة والتي تعطي نقاء للصورة بطبيعتها وسمائها الصافية.

أما الإعلامية الألمانية آن أولميلينغ، فوثقت عبر حلقات لبرنامج إذاعي ما طال آثار المدينة من دمار معتمدة على التجوال والاطلاع الشخصي في أرجاء المدينة، فضلا عن شهادات حية لأهالي تدمر.

وزار الوفد السياحي بالإضافة إلى مدينة تدمر كلا من دمشق ومعلولا وصيدنايا ودير مارموسى ومدينة بصرى الأثرية، قبل أن يحط السياح رحالهم في اللاذقية حيث زاروا طرطوس وجزيرة أرواد وعمريت، ثم قلعة المرقب في بانياس ليغادروا مجددا إلى بلدانهم من دمشق.

ومن الوفد السياحي الإسباني الذي زار اللاذقية تقول أليكتا التي تعمل طبيبة تجميل، إنها تزور سوريا للمرة الأولى وهي مولعة بمعالم المنطقة والتعرف على إرثها العريق، ولاسيما بعد إدراج مدينتي تدمر وبصرى الأثريتين ضمن قائمة اليونسكو للتراث العالمي، لافتة إلى أن سوريا بلد جميل وتتمتع بطبيعة ساحرة وأن الشعب السوري طيب جدا ويستحق الأفضل.

وتحدثت عن جمال مدينة اللاذقية، داعية أصدقاءها للقدوم إلى سوريا والتجول في معالمها السياحية الساحرة، لأنها بلد رائع وشعبها كريم ومضياف، مؤكدة أنها ستزورها مرة ثانية لأنها وجهة سياحية تستحق الزيارة.

وليست مجاملة من السياح الذين أثنوا على جمال المعالم السياحية في سوريا وخاصة منها المواقع الأثرية، فالسائح الإسباني خابيير أستاذ مادة الرياضيات ومهتم بعلم الفيزياء والفلك، يؤكد أن زيارة مدينة أوغاريت حيث تم اكتشاف أولى المخطوطات حول القمر وحركة الكواكب مكسب معرفي هام.

وأوغاريت مدينة تقع على تلة مرتفعة حيث يمكن للزائر أن يشاهد شاطئ المتوسط من بين أطلالها، وهي عاصمة لمملكة امتدت لتشمل عددا من الممالك والمواقع والمدن الصغيرة على امتداد الساحل السوري في القرنين الثاني عشر والخامس عشر قبل الميلاد.

وتبقى سوريا بمعالمها الأثرية وطبيعتها المتنوعة وجهة سياحية للكثير من عشاق الترحال والاطلاع على ثقافات الشعوب الأخرى، لكن تبقى المشكلة الأمنية هي الحاجز بينها وبين السياح.

مواقع أثرية عربية في البال

أسرار العباسيين في سامراء العراق

❑ سامراء عاصمة الخلافة العباسية وإلى الآن لم يتم الكشف عن كافة آثارها، حيث امتلأت بالكثير من القصور والحمامات الملكية، بالإضافة إلى الحدائق وساحات سباق الخيل كما تضم أشهر جامع هناك dw تميز بمعمار المئذنة اللولبية الذي لم يسبق أن بُني مثله في أي مكان في العالم.

ويتحدث مسؤولون حكوميون عن مخطط جديد لسامراء المدينة إضافة إلى المدينة الأثرية فيها، يتضمن بناء فنادق عصرية تستوعب الزائرين، لكن يبدو أن الحديث يذهب مع كل هبة ريح.

قلعة بعلبك معابد ومهرجانات صيفية

❑ قلعة بعلبك تتربع على أعلى مرتفعات سهل البقاع، هي من روائع العالم القديم ومن أكثر الآثار الرومانية عظمة، يعود تاريخها إلى أكثر من خمسة آلاف سنة، وتحتوي في داخلها على معبدي جوبيتر وباخوس وإلى جانبها معبد فينوسز.

وعلى معبدي جوبيتر وباخوس في مدينة الشمس تقام مهرجانات بعلبك الدولية سنويا، وتجذب العدد الأكبر من السياح العرب والأجانب، حيث تستقطب أهم الأعمال المسرحية والموسيقية وأبرز الفنانين العرب والأجانب.

مسرح الجم من الصراعات إلى السيمفونيات

❑ هو مسرح أثري في مدينة الجم التابعة لمحافظة المهدية في تونس، أدرج عام 1979 على قائمة التراث العالمي من قبل اليونسكو. يعد ثاني أكبر المسارح الأثرية في العالم بعد مسرح كولوسيوم روما وأضخم المباني الأثرية الرومانية في أفريقيا ويتسع لنحو 35 ألف متفرج.

في عهد الرومان كان المسرح حلبة مصارعات وسباقات، أما اليوم فيعد وجهة للكثير من الفنانين والفرق الموسيقية العالمية إذ تقام فيه سنويا الحفلات والمهرجانات وعروض الأوبرا والسيمفونيات.

قصبة الجزائر متاهة فينيقية ومعقل الثوار

❑ تعود هذه المدينة إلى الحضارة الفينيقية في القرن الرابع قبل الميلاد حيث تعتبر من أجمل مدن البحر المتوسط، وتضم مجموعة من المنازل القديمة الأثرية بالإضافة إلى القصور والمساجد التاريخية والحمامات بعيون المياه الدافئة.

تصميم المدينة عبارة عن متاهة ولا يمكن الوصول إليها بسهولة، كما ترجع أهمية هذه المدينة أيضا إلى المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي حيث كانت بها بطلتا الثورة جميلة بوحيرد وحسيبة بن بوعلي.

مدائن صالح تقف منفردة بين رمال السعودية

❑ مدائن صالح الواقعة في محافظة العلا السعودية تعرف قديما بـ"مدينة الحجر"، تحتوي على 131 مدفنا، تم بناؤها في الفترة بين العام الأول قبل الميلاد وحتى العام 75 ميلادي، وسط صخور ضخمة تقف منفردة بين الرمال المتموجة، وتخصص كل مقبرة لصاحبها الذي بناها وللأجيال المتعاقبة. وكانت مدائن صالح مغلقة طوال العقود الماضية أمام الزوار بناء على فتوى دينية تحرم دخولها، لكن في سنة 2012 قررت السلطات فتحها أمام الناس وحثتهم على زيارتها.

كيف يتم استخدامنا بواسطة تقنيات التعرف على الوجوه

الشركات والسلطات تتسابق لجمع صورنا من مواقع الإنترنت وكاميرات المراقبة

سلام سرحان
صحافي عراقي

❏ تزايدت التقارير العالمية التي تحذر من خطورة استخدام تقنيات التعرف على الوجوه في رصد جميع تحركاتنا على الإنترنت بل وحتى في الشوارع والمقاهي والمكاتب من قبل الحكومات وشركات التكنولوجيا وربما أطراف خفية أخرى كثيرة.

الأخطر أن جميع تلك التقارير قد لا تعرف سوى القمة الطافية من جبل الجليد وقد يكون خزين المعلومات التي تحصي أنفاسنا ودقات قلوبنا أكبر بكثير من التقديرات التي يمكن رصدها من قبل تلك التقارير.

لا يمكن لجميع الخبراء والمتخصصين معرفة كم المعلومات المتراكمة وقواعد بيانات الحكومات والشركات، إلا حين تطفو على السطع حالة معينة. وحتى في هذه الحالة فإننا لن نصل إلى جميع البيانات.

استخدامنا كفئران تجارب

يذكر تقرير في صحيفة فايننشال تايمز الأسبوع الماضي أن الناشطة الأميركية وهي جيليان يورك فوجئت في فبراير بصديق لها يعمل في برلين، يخبرها باكتشافه صورا لها في قاعدة بيانات تابعة للحكومة الأميركية تستخدم لتدريب خوارزميات التعرف على الوجوه.

وعند التعمق في تلك الحالة تبين أن وجهها ساعد في بناء أنظمة تستخدمها الحكومة الاتحادية للتعرف على الوجوه، تستهدف متابعة المجرمين المشتبه بهم والإرهابيين والأجانب غير الشرعيين.

الغريب أن اللقطات ومقاطع الفيديو، التي تغطي أكثر من 10 سنوات، بينها قاسم مشترك هو أنها كانت تتحدث خلالها في موضوعات تشمل حرية التعبير والخصوصية الرقمية والأمن. والأغرب أن بعضها كان من جلسات خاصة وأحاديث مع أصدقاء وليست على منصة قاعة عامة.

ويكشف وجود تحرير للقطات أنها تمت بدراية وبحث مقصود عن لقطات وأحاديث محددة من خلال الذكاء الاصطناعي الذي اختارها من كم هائل من البيانات والصور والتسجيلات.

يقول الخبراء إن تعليم الآلة التعرف على الوجوه يتطلب تدريبها باستخدام مئات الآلاف من الوجوه. وكلما كانت الوجوه متنوعة وغير واضحة، كانت من الأفضل محاكاة سيناريوهات الواقع التي تجري فيها مراقبة الأشخاص، أي في المطارات والشوارع وغيرهما من الأماكن العامة.

تلك الحالة مجرد نموذج صغير لما يجري لأن التجربة التي قامت بها شركة خاصة لحساب الحكومة الأميركية شملت 3500 شخص فقط من أجل اختبار تلك التقنية وتقييم فعاليتها.

وتبين أن من بين الأشخاص الذين شملتهم التجربة صحافي قناة الجزيرة وأحد خبراء التكنولوجيا المستقبلية وثلاثة نشطاء سياسيين من الشرق الأوسط، أحدهم عالم مصري شارك في احتجاجات ميدان التحرير في انتفاضة يناير 2011.

لم يكن أي من أولئك الأشخاص يعلم بمراقبته في تلك التجربة وتم جمع صورهم دون موافقتهم الصريحة. وتم ذلك بموجب شروط تراخيص العمل الإبداعي، وهي اتفاقية حقوق طبع ونشر عبر الإنترنت تسمح بنسخ الصور وإعادة استخدامها للأغراض الأكاديمية والتجارية من قبل أي شخص.

قمة طافية من جبل جليد

من الصعب تخيل استخدام ولو جزء ضئيل من الصور في التعرف على الوجوه، لكن كمية الصور والبيانات الهائلة يجري تخزينها وحين تتطور التكنولوجيا أكثر سوف يمكن العودة إليها وفك جميع الأسرار.

أكبر عقبة فنية أمام تطوير التعرف الدقيق على الوجه هي عدم قدرة الآلات على تحديد الوجوه عندما تكون مرئية جزئيا أو مغطاة بالظل أو الملابس، على عكس الصور عالية الدقة.

حتى الآن يمكن حصر استخدام تكنولوجيا التعرف على الوجوه في قضايا الأمن، سواء من قبل المتاجر والفعاليات أو من قبل الأجهزة الأمنية لتعقب المجرمين وتحديد هوية الأفراد من أجل الأمن القومي والحدودي.

ولإطعام هذا النظام الجائع ظهرت مجموعة كبيرة من مستودعات الوجوه تحتوي على صور تم جمعها من مصادر متنوعة مثل الجامعات والأسواق والمقاهي ومن مواقع التواصل الاجتماعي.

ولفهم ما يحدث وكيف تعمل أنظمة التعرف على الوجوه تواصلت فايننشال تايمز مع آدم هارفي، الباحث الذي اكتشف وجه جيليان يورك في بينات التجربة التي ذكرناها، وهو أميركي يعمل في برلين، وقد رصد آلاف البحوث في هذا المجال.

وتبين أن تقنية التعرف على الوجوه مستخدمة في عشرات الأغراض، بينها مراقبة الجوازات ومراقبة التجمعات والتظاهرات والقيادة الآلية وصناعة الروبوتات وحتى تحليل العواطف لخدمة صناعة الإعلانات.

تعزيز القبضة الأمنية

وتم رصد تلك التجارب لدى شركات التكنولوجيا الكبرى مثل فيسبوك ومايكروسوفت وبايدو وسنس تايم وآي. بي.آم، وكذلك من قبل الأكاديميين من جميع أنحاء العالم.

وقد استخدمتها شركات مثل سنس تايم التي تبيع تقنيات التعرف على الوجوه للشرطة الصينية وشركة تكنولوجيا المعلومات اليابانية أن.إي.سي، التي زودت وكالات إنفاذ القانون في الولايات المتحدة وبريطانيا والهند بتلك التقنية.

في الصين لعبت برامج التعرف على الوجوه دورا كبيرا في المراقبة الجماعية للحكومة واحتجازها للمسلمين الإيغور في أقصى غرب البلاد، فيما وصفه نشطاء حقوق الإنسان ذلك الدور بأنه القمع المنهجي لملايين الأشخاص.

يحاول هارفي الذي يرصد كل هذه الخارطة أن يبقى خارج الرصد، فهو لا يدفع إلا نقدا ويستخدم متصفح "تور" المجهول ويتواصل من تطبيق مشفر يمسح الرسائل خلال ساعات قليلة.

> التعرف على الوجوه ليس سوى الخطوة الأولى من المراقبة والدخول إلى عالم أوسع للتوغل في البيانات الشخصية للأفراد

وهو يعمل لتطوير أداة بحث تسمح للأشخاص بمعرفة ما إذا كانت وجوههم قد استخدمت لتدريب أنظمة الذكاء الاصطناعي في أي جزء من العالم.

تشير التقديرات إلى أن سوق التعرف على الوجه نما بنسبة 20 بالمئة سنويا خلال الأعوام الثلاثة الماضية، وسيبلغ حجمه 9 مليارات دولار بحلول عام 2022. لكن حجم نشاطه تضاعف عدة مرات بسبب سرعة تطور دقة البرنامج بفضل الذكاء الاصطناعي.

هيمنة فيسبوك وغوغل

يقول هارفي بأسف إنه لم يتوقف أحد مطلقا عند ما إذا كان من الأخلاقي جمع صور لحفلات الزفاف الخاصة وألبومات الصور العائلية مع أطفال أو من الأسواق أو الجامعات دون إذن صريح.

يشير الباحثون إلى أن تقنيات تحليل الوجه ليست للمراقبة فقط. على سبيل المثال يمكن استخدامها للمتابعة الصحية حيث تسمح بمعرفة ما إذا كان شخص ما يعاني من الزهايمر أو للتحقق من عدم القدرة على قيادة السيارة بسبب الإرهاق.

إذا لم تكن بالإمكان مشاركة خزين البيانات، فإن فيسبوك وغوغل، تملكان كميات هائلة من صور المستخدمين ومقاطع الفيديو التي يتم تحميلها على مواقعهما كل يوم. وستنفردان بأكبر بيانات الوجوه عالية الجودة وبالتالي ستكون لديهما أفضل خوارزميات التعرف على الوجوه.

يقول كارل ريكانيك الأستاذ بجامعة نورث كارولينا ويلمنغتون، الذي أنشأ مجموعة بيانات للوجوه متاحة للجميع "لست قلقا من الحكومة، أنا قلق من غوغل وفيسبوك لأن لديهما معلومات حول المستخدمين أكثر من الحكومات ولا يمكننا التأثير على إدارتيهما".

ويضيف أنه يعتقد أن الحكومة الأميركية لديها مهمة جيدة على الأقل وهي تحاول حل المشكلات التي تعتقد أنها ستجعل الحياة أفضل في عالمنا.

هل ينجح التنكر للهروب من الرقابة

وهي لا تستخدم هذه التقنية لكسب المال. وتجري فيسبوك تجارب على الصور ويقول باحثوها إنه رغم التقدم الكبير الذي تم إحرازه مؤخرا في التعرف الأمامي على الوجه، إلا أن المشاهدات غير الأمامية هي أكثر شيوعا في ألبومات الصور مما كانوا يعتقدون.

وتعتمد الخوارزميات على محاولة تحديد الأشخاص في ظل لقطات من زوايا مختلفة وفي ظل مستويات وضوح وإضاءة متباينة. ويقول باحثو فيسبوك إن برامجهم أصبحت قادرة على التعرف على الوجوه المخفية جزئيا بدقة عالية.

وخلص الباحثون إلى أن تجاربهم تقترب من حل مشكلة التعرف على الوجوه خلال انهماكها في الحياة اليومية.

وقد تم استخدام ما توصلت إليه فيسبوك في أنحاء العالم، بما في ذلك من قبل الجامعة الوطنية لتكنولوجيا الدفاع في الصين لتحسين تكنولوجيا المراقبة بالفيديو.

وقال متحدث باسم فيسبوك "نحن لا نتعاون مع الحكومة الصينية على التعرف على الوجوه". لكن سيكون هناك دائما سؤال حول ما إذا كان ينبغي مشاركة التطورات التكنولوجية على نطاق واسع أم إخفاؤها.

وتعتقد فيسبوك وشركات التكنولوجيا الرائدة الأخرى أن الأوساط العلمية ينبغي عليها أن تتبادل الخبرات من أجل تطوير التكنولوجيا، إلى جانب بذل الجهود لمنع إساءة استخدامها.

في الخلاصة يعتقد الخبراء أنه لم يعد بالإمكان الوقوف بوجه تقنيات التعرف على الوجوه أو تقييد انتشارها عبر الحدود الجغرافية.

مخاطر كبيرة

ويقول آدم غرينفيلد الكاتب المتخصص في مجال التكنولوجيا "قد نثق في الجهة التي تجمع المعلومات وربما نكون قد وافقنا على التقاط الصور، لكن تلك البيانات يمكن أن تتسرب إلى جهات أخرى لا نريدها أن تحصل على بياناتنا".

ويضيف أنها "يمكن أن تتسرب من خلال القرصنة والاستحواذ على الشركات أو ارتكاب خطأ، ويمكن أن تتسرب من خلال تغير النظام في بلد ما... ليست هناك طريقة لمنع وصول البيانات إلى أيدي الدولة الإسرائيلية أو الأميركية أو الصينية، أو أي شخص يريد تدريب خوارزميات التعرف على الوجوه".

أما هارفي الذي قضى 10 سنوات في محاولة توضيح حجم المشكلة فلا يعتقد بوجود ضوء في نهاية النفق. ويقول "هناك الكثير من الأمثلة الفظيعة في مجموعات بيانات الصور التي تعتبر ببساطة انتهاكات صارخة للخصوصية".

ويقول "إن بعض بياناتها يأتي من كاميرات عامة في الشوارع، بل وهناك كاميرات في المقاهي. وعند مرورك من أمامها لن تدري ما إذا كنت ستصبح جزءا من مجموعة البيانات التدريبية". ويؤكد هارفي أن التعرف على الوجوه ليس سوى الخطوة الأولى من المراقبة البايومترية. ويقول إنها في الواقع مجرد عتبة الدخول إلى عالم أوسع للتوغل في البيانات الشخصية للأفراد.

ويشير على سبيل المثال إلى ما تقوم به شركات مثل إفكتيفا الأميركية التي تجري أبحاثا تحلل الوجوه في الوقت الفعلي داخل المتاجر، لتحديد ما إذا كان الشخص سيشتري شيئا ما في المتجر من خلال كاميرا مراقبة.

وهناك تجارب أخرى يمكن استخدامها لتحديد درجة تعب الأشخاص ومعدل ضربات القلب أو حتى قراءة الشفاه لمعرفة ما يقولونه. ويرى هارفي أن "مصطلح التعرف على الوجوه مصطلح خادع للغاية من الناحية الفنية، لأنه لا يوجد سقف لهذه التقنية التي قد تصل في النهاية إلى معرفة الحمض النووي الخاص بك".

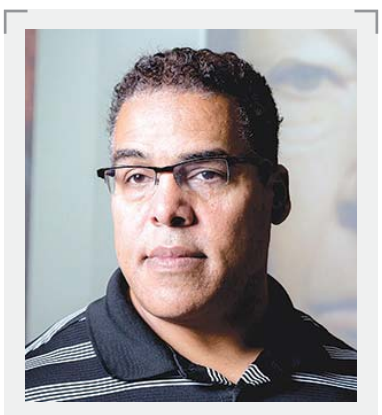

كارل ريكانيك:
أنا قلق من غوغل وفيسبوك أكثر من قلقي من الحكومات لأن لديهما معلومات عن المستخدمين أكثر بكثير من الحكومات

آدم غرينفيلد:
قد نثق في الجهة التي تجمع البيانات والصور لكنها يمكن أن تتسرب إلى جهات أخرى لا نريدها أن تحصل على بياناتنا

«الحافز الافتراضي» أقصر طريق للحصول على «جسم مثالي»

مواقع التواصل الاجتماعي تجعل الكثيرين يعملون بجِد للبقاء دائما على المسار الصحيح

توفر مواقع التواصل الاجتماعي شبكة من الأصدقاء، من الممكن أن تشجع الناس على ممارسة الرياضة أو الحفاظ على اللياقة البدنية، واتباع أنظمة غذائية صحية، لكنها قد تخلق أيضا خللا في الصورة التي يكونها البعض عن أجسادهم.

محمد اليعقوبي

❏ يختلف الناس في عاداتهم وتقاليدهم وأيضا في أسلوب حياتهم وسماتهم الجسدية، ولكن معايير الجسم العصري والرشيق، جعلت الكثير من الأشخاص يتبعون حميات غذائية للحصول على "الجسم المثالي"، وتكمن المشكلة دوما في أن البعض يضعون نصب أعينهم نظام حمية معيّن، ويبدأون باتخاذ الخطوات اللازمة للوصول إلى الهدف المنشود، ولكن بعد مرور بضعة أسابيع يصابون بنوع من الفتور وتتراجع همتهم، ليعودوا شيئا فشيئا لعاداتهم السابقة، وذلك بسبب غياب الحافز والدعم المعنوي الذي يحثهم على مواصلة ما يصبون إليه، ومثل هذا الأمر يطرح التساؤل التالي: ما الطريقة التي تجعل الأشخاص يلتزمون بالنظام الغذائي الذي نصحهم به الخبراء، ليسيرون بثبات نحو تحقيق هدفهم؟

تبدو عملية فقدان الوزن من الأمور الصعبة، حتى في ظل وجود النية الحسنة للقيام بذلك، وخاصة إذا ما عزم المرء على خوض تجربة الحمية بمفرده، ومن دون وجود شبكة من الأشخاص يدعمونه ويشجعونه على المضيّ قدما في نظامه الغذائي المعتمد من أجل تخفيض الوزن.

> عملية إنقاص الوزن تبدو صعبة لمن عزم على خوض تجربة الحمية بمفرده، ومن دون وجود شبكة من الأشخاص يدعمونه

غير أن الكثير من الأبحاث ترجح أن يعمل الأشخاص البدناء على تعديل نمطهم الغذائي لتصبح أوزانهم أكثر صحة، إذا وجدوا بيئات تشجعهم باطراد على التقيّد بنظام غذائي صحي، ويسمى هذا السلوك بالتعلم الاجتماعي من خلال الملاحظة والمحاكاة.

ويشجع أخصائيو الحميات على ضرورة خوض تجربة الحمية مع الأشخاص الذين يعانون من نفس المشكل داخل الأسرة أو شبكة الأصدقاء، بهدف خلق نوع من التنافس أو التحفيز الذي يجعل الأشخاص أكثر التزاما بأنظمتهم الغذائية ووعيا بسلوكياتهم أثناء تناول الطعام، وأكثر حذرا في اختياراتهم لأصناف الأطعمة.

وتعدّ وسائل الإعلام الاجتماعية اليوم عنصرا رئيسيا في خلق نوع من المحفزات الخارجية المساعدة على بلوغ الوزن المثالي بفضل ما أصبح متاحا على فضاءاتها من استراتيجيات لتخفيف الوزن ومنشورات حول أنظمة غذائية صحية، والأهم من هذا كله أنها تساهم في خلق شبكات اجتماعية تشترك في نفس الهدف وتعمل سوية من أجل الوصول إليه والمحافظة عليه.

وتؤكد راشيل ميلتزر واريـن، أخصائية التغذية في نيويورك أن التواصل بين الأشخاص الذين يتشاركون في نفس الأهداف على مواقع التواصل الاجتماعي، يفضي إلى جعل الكثيرين يعملون بجد للبقاء دائما على المسار الصحيح، مشددةً على أن القصص الشخصية أكدت أن التكنولوجيا، وخصوصا الشبكات الاجتماعية يمكن أن تكون عاملا مساعدا للشباب على تحقيق أوزان صحية، فالدراسات تشير إلى أن الكثيرين تمكّنوا من تخفيف أوزانهم بفضل المنشورات التي تهدف إلى الحثّ على ممارسة الرياضة واتباع أنظمة غذائية صحية.

وترى مارجوري نولان المتحدثة باسم جمعية الحمية الأميركية أن التدوين حول جميع الصعاب ومراحل الهبوط والصعود أثناء خوض رحلة إنقاص الوزن، وما يرافقها من نضالات شخصية وإحباطات ونجاحات، ومشاركة تلك التجارب مع عدة أشخاص آخرين، سيجعل الكثيرين يشعرون بنوع من الالتزام والإصرار على بلوغ الهدف.

واستشهدت نولان بقصة فتاة تسمى تينا هوبرت من مدينة ساوث شور الأميركية أنشأت مدونة خاصة بها سمتها "الجزر لا الكعك" (كاروتز ان كايك)، لتنشر فيها تدريبات اللياقة البدنية والوصفات الغذائية البسيطة والفعالة، وتستعرض من خلالها تجربتها في إنقاص وزنها، وكيف استطاعت أن تفقد 20 رطلا في ثلاث سنوات بعد أن كانت من عشاق الأطعمة اللذيذة والمشروبات الكحولية، وكل ذلك بفضل دعم القراء وتشجيعهم، الذي ساعدها كثيرا للبقاء على المسار الصحيح.

تقول هوبرت "في كل وقت كنت أصارع فيه من أجل بلوغ هدفي في إنقاص وزني، كنتُ أتحدث عنه بصراحة على مدوّنتي، وأتساءل فيه ما إذا كنت قد اكتسبت بضعة أرطال أو تناولت جرعة زائدة من السكريات، وكانت التعليقات والنصائح التي أحصل عليها من أشخاص أعرف أنهم يعيشون نفس تجربتي تساعدني كثيرا".

وتضيف "لديّ اعتقاد راسخ أنه إذا كانت هناك إرادة قوية، فإنه لا بد من وجود طريقة ما نحو تحقيق نمط حياة أكثر صحية والمحافظة على هذا المكسب". وأظهرت نتائج الأبحاث التي أجريت في هذا الصدد أن 50 في المئة من الأشخاص الذين تلقوا الدعم والتشجيع من أقاربهم أو أصدقائهم، استطاعوا بالفعل فقدان الوزن وتغيير عاداتهم الغذائية.

ولاحظ باحثون في جامعة كاليفورنيا في دراسة سابقة أن مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وإنستغرام وسناب شات يمكن أن تساعد من يحاولون تخفيف الوزن على تحقيق أهدافهم.

وأكد الباحثون أن التفاعل مع الأصدقاء عبر العالم الافتراضي يوفر للأشخاص الذين يرغبون في تخفيف أوزانهم الدعم الذي من شأنه أن يساعدهم على تحقيق وزن صحي، كما يمكن أن يقدّم الأصدقاء نصائح مهمة عن تجاربهم تيسر الطريق لبلوغ هذا الهدف.

لكن من الواضح أن هناك حاجةً لإجراء المزيد من الدراسات حول مثل هذا الأمر، نظرا إلى أن الأبحاث التي أجريت إلى حد الآن لم تقدّم سوى رؤية محدودة على عيّنات قليلة من البشر، ولذلك ليس بوسع الباحثين الجزم على ما إذا كان هناك لوسائل التواصل الاجتماعي تأثير على الناس يجعلهم يكافحون لكي يحصلوا على وزن صحي.

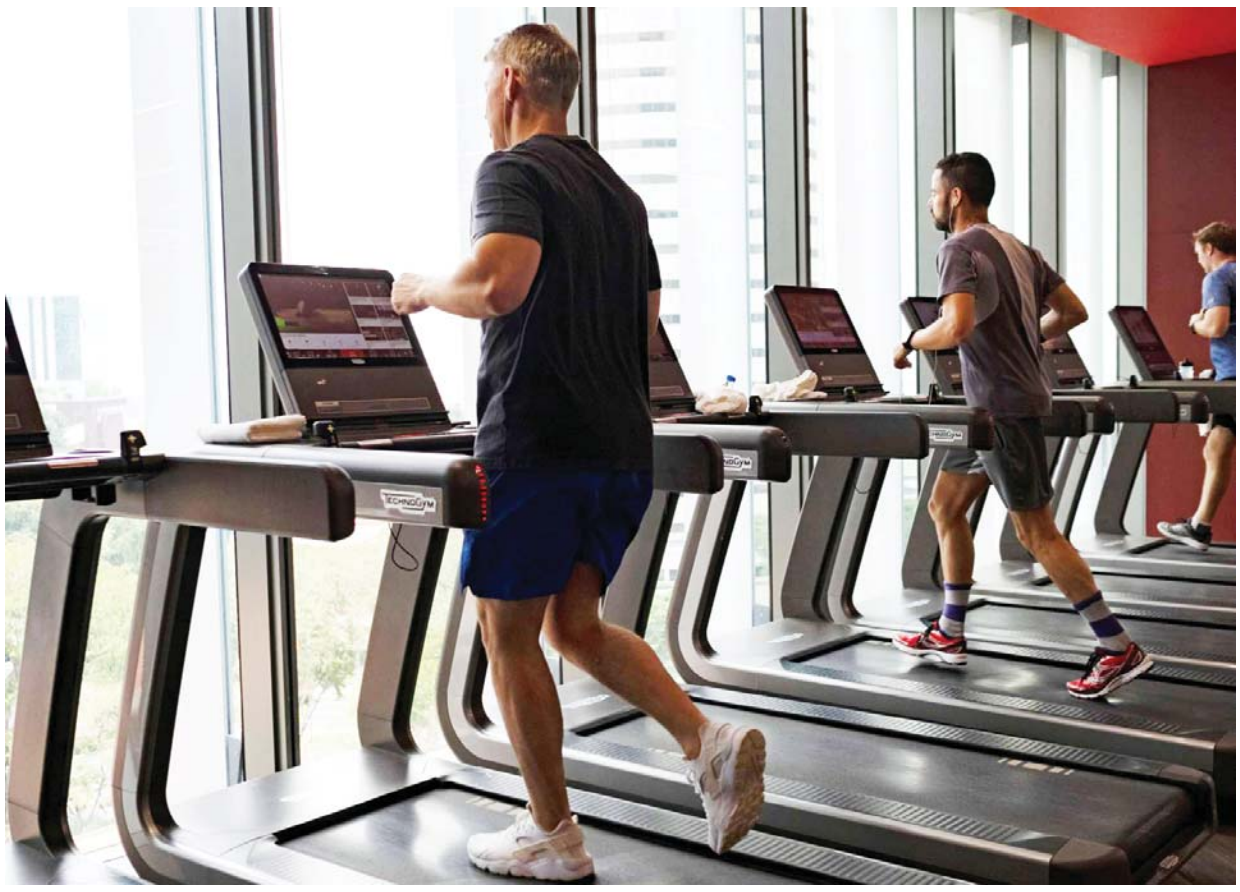

التفاعل مع الأصدقاء يساعد المتدرب على مقاومة الإحباط

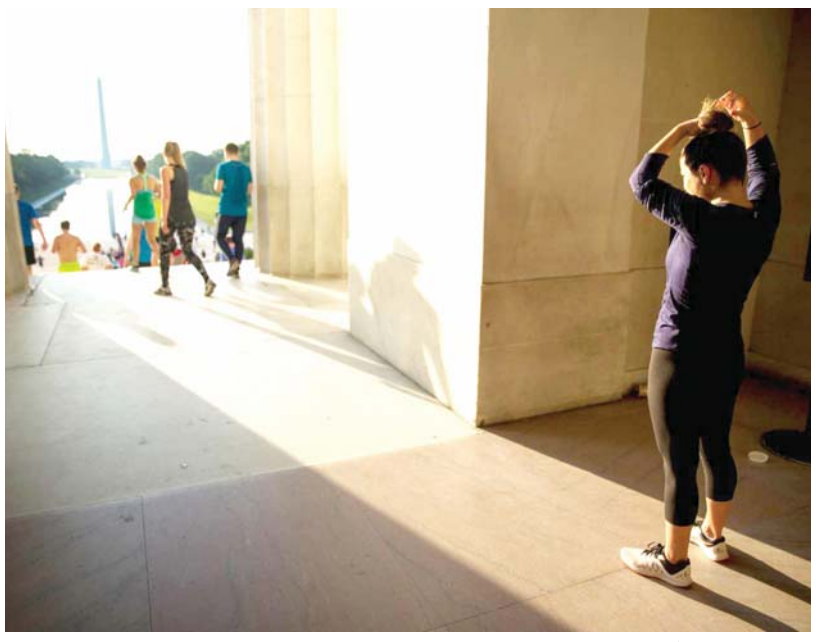

التنافس محفز قوي للاستمرار رغم التعب

تدريب العضلات الفردية قد يأتي بنتائج عكسية

❏ **برلين** – يقتصر بعض الرياضيين على تقوية عضلات بعينها أكثر من بقية عضلات الجسم للحصول على شكل مميز مثل الذراعين القويين أو البطن المشدود، لكنهم لا يدركون أن في ذلك خطرا على النسيج العضلي والمفاصل والأربطة التي تحيط بالعضلة. وقد يتسبب ذلك أيضا في إخلال توازن القوى والتحمّل لبقية الجسم.

يمكن أن ينصبّ اهتمام المرء أثناء ممارسة التمارين الرياضية على بعض المجموعات العضلية الفردية، مثل البطن أو الساقين أو الظهر. وفي هذه الحالة يتعيّن على المرء مراعاة أن هذه التمارين قد تأتي بنتائج عكسية في بعض الأحيان أو أنها قد تكون ضارّة بالجسم.

وأوضح البروفيسور الألماني لارس دونات أنه من الممكن توجيه التمارين الرياضية نحو مجموعات عضلية فردية، والتركيز على عضلات البطن أو الساقين أو الأرداف.

وأضاف الأستاذ بجامعة كولن الرياضية أنه كلما كانت العضلة أصغر حجما، وكانت الحركة أكثر تعقيدا، ازدادت صعوبة تدريب العضلات بمفردها وبمعزل عن العضلات الأخرى.

ويرتبط مدى أهمية تدريب المجموعات العضلية الفردية بالأهداف والدوافع الفردية لكل رياضي؛ حيث يتعيّن على عدّاء المسافات الطويلة تدريب العضلات الكبيرة في مناطق مختلفة من جسمه، في حين يحتاج لاعب القوس والسهم إلى تدريب عضلات فردية في الذراع بدرجة أكبر.

ومع ذلك فإن تدريب المجموعات العضلية الفردية له حدود؛ حيث يتعيّن على الرياضي تجنّب الاختلالات القوية أثناء التمرين. ومن المهم أيضا تدريب العضلات المقابلة بنفس القدر؛ حيث يجب تدريب عضلات أسفل الظهر مع تدريب عضلات البطن، بالإضافة إلى تدريب عضلات الصدر عند إجراء التمارين، التي تستهدف الجزء العلوي من الظهر.

ومن جانبها أوضحت نينا كيرستنج، المدربة الشخصية بمدينة دورتموند الألمانية، أن الاختلالات الناشئة قد تؤدي إلى حدوث شدّ عضلي أو تقصير العضلات المعنية، وهو ما قد يؤدي إلى تلف في المفاصل ويتسبب في حدوث إصابات على المدى البعيد. وفي حال تدريب العضلات بشكل فردي، فإنه يتعيّن على المرء التحكم في الحمل بشكل معقول، وعند إجراء تمارين البطن يمكن تحديد مراكز ثقل مختلفة أثناء التمرين، وذلك من خلال الاعتماد على تدريبات مختلفة، كما أن نوع التحميل يعتبر من الأمور المهمة أيضا؛ حيث يجب إجراء التمارين بوعي وبدقة؛ إذ تعدّ هذه الطريقة أكثر أهمية من التكرارات الكثيرة والسريعة، وخاصة في مجال الرياضة المتعلقة بالصحة والترفيه.

وبدوره أشار فيليكس بينسكر، المدرب الشخصي بمدينة دورتموند، إلى أنه يتعيّن على المرء القيام بتنشيط العديد من العضلات في الجسم، إذا لم يكن مضطرا لتدريب مجموعة عضلية معيّنة. وأضافت كيرستنج أنه يمكن الوصول إلى الكثير من النتائج بواسطة تمارين قليلة، وخاصة في حال عدم توفر الكثير من الوقت، علاوة على أنه يتم حرق المزيد من السعرات الحرارية كلما تم تنشيط العضلات في نفس الوقت.

ولكن إذا رغب المرء في الحصول على مظهر مميز وقوام ممشوق بحيث تظهر عضلات البطن بوضوح، فإنه يحتاج في هذه الحالة إلى أكثر من مجرد القيام بتمارين البطن؛ حيث يجب عليه تخفيض نسبة الدهون في الجسم من خلال حرق الكثير من السعرات الحرارية.

وبغض النظر عن طريقة التدريب، فإنه يتعيّن على المرء تغيير الحمل قليلا؛ نظرا إلى أن الجسم سرعان ما يعتاد على التمرين، وبالتالي لا يتم الوصول إلى التأثير المطلوب، وتختلف طريقة استجابة الجسم للمحفزات من شخص إلى آخر، وقد يستغرق الأمر بعض الوقت إلى أن يزداد حجم العضلات وتصبح ظاهرة بوضوح، حتى مع التدريب الفردي المتسق للبطن والذراع.

وعادة ما تحدث مواءمات عصبية في الجسم خلال أول 4 إلى 6 أسابيع، ولا تظهر النتائج الجادة إلا بدءا من الأسبوع السادس، ولذلك دائما ما ينصح الخبراء بتطبيق خطة تدريب في بادئ الأمر تضم 24 حصة تدريبية على الأقل، مع تسجيل الأحمال والنتائج.

كما أفادت دراسة دولية سابقة بأن ممارسة التمارين الرياضية لمدة ساعة واحدة يوميا يساعد على إزالة البروتينات السامة من العضلات، ويسهم في علاج ضعف العضلات وضمورها.

الدراسة أجراها باحثون بجامعة ساو باولو البرازيلية بالتعاون مع باحثين من الولايات المتحدة والنرويج، ونشروا نتائجها في أحد أعداد دورية "ساينتفيك ريبورتس" العلمية. وأوضح الباحثون أن نمط الحياة المستقرة وما يصاحبه من الجلوس لفترات طويلة، ينجم عنه تراكم البروتينات السامة وغير المعالجة بشكل كاف في خلايا العضلات، وبالتالي فهو يؤدي إلى ضعف العضلات أو الوهن. وأضافوا أن هذه الحالة هي عبارة عن خلل وظيفي عضلي يؤثر على كبار السن أو الأفراد الذين يعانون من الإصابة بالعصب الوركي، الذي يصيب المرضى الذين يظلون لفترات طويلة طريحي الفراش، أو العمال الذين يقضون ساعات طويلة جالسين.

ولرصد تأثير التمارين الرياضية على المصابين بالعصب الوركي، أجرى الفريق دراسته على مجموعة من الفئران المصابة بهذه الحالة، وقسموها إلى مجموعتين. وانخرطت المجموعة الأولى في التمارين الرياضية لمدة ساعة واحدة يوميا 5 مرات أسبوعيا، فيما لم تشارك المجموعة الثانية في التمارين.

وبإجراء فحوصات على الفئران المصابة، وجد الباحثون أن الإصابة بالعصب الوركي تأتي بسبب ضعف الجهاز الخلوي المسؤول عن تحديد وإزالة البروتينات والسموم التالفة من العضلات.

وبعد أربعة أسابيع من التمارين الرياضية، وجد الباحثون أن ضعف العضلات الناجم عن إصابة العصب الوركي أقل شدة في المجموعة التي مارست التمارين الرياضية، مقارنة مع المجموعة الأخرى.

التركيز على العضلات الفردية قد يتسبب في تلف المفاصل

نوادي المعجبين الشباب تجمع بين الهوس بالنجوم والمبادرات الخيرية

التأثير الإيجابي للمشاهير يدفع الشباب للاهتمام بالجانب الإنساني والتطوعي

ترتبط ظاهرة نوادي "فانزات" المشاهير عموما بالنموذج السلبي بسبب هوس الشباب بنجومهم وفرط حماسهم وتقليدهم لهم ومتابعتهم بأدق تفاصيل حياتهم ومحاربة منافسيهم على مواقع التواصل الاجتماعي، إلا أن الظاهرة لا تقتصر على ذلك إذ تبرز مجموعات أخرى ترفض أن يكون الإعجاب هوسا وتركز على الاقتداء بهم في المظاهر الإيجابية والمشاريع الخيرية والإنسانية.

نماذج إيجابية

لندن - تضخمت ظاهرة معجبي المشاهير "الفانز" وتحولت صفحات مواقع التواصل الاجتماعي إلى ساحة صراع بين الشباب والمراهقين وهوس بتقليدهم وبمثابة قضية شخصية لمجموعات الشباب المحتشدين وراء فنانيهم المفضلين، بينما حولها آخرون إلى نماذج إيجابية ومبادرات خيرية أطلقوها باسم نجومهم.

وتبدو واضحة رغبة الفنانين بالشهرة والأضواء واكتساب أكبر عدد من المتابعين والجمهور، لكن ما يستنكره اختصاصيو علم النفس والاجتماع هو هوس الشباب المبالغ به بفنانيهم والتماهي مع أدق تفاصيل حياتهم الشخصية والدخول في صراعات مع معجبي منافسيهم.

ويتفاقم الأمر لدى بعض المراهقين فيتابعون نجما محددا سواء كان فنانا أو لاعبا بشكل مبالغ به حيث يشتركون في كل شيء يخصه عبر شبكات التواصل، ويصبح شغلهم الشاغل يكتبون عن جميع أخباره ويتحدثون عنه طوال اليوم ويقضون الساعات في البحث عن كل ما يتعلق به، وإذا وقع نجمهم في مشكلة أو أزمة اعتبروها قضيتهم الشخصية ومن واجبهم الدفاع عنه بشدة ومن الممكن الدخول مع أي شخص ينتقده في عراك.

> الظاهرة تتمركز عند الشباب والمراهقين حيث تكون فيها الشخصية ميالة إلى حب الظهور ولفت الانتباه

ويصل الأمر أحيانا إلى المطاردة الشخصية بمراقبة الشخص المشهور والوقوف تحت منزله والسير خلفه.

ويلاحظ الأمر في المهرجانات والحفلات العامة، حيث يشاهد جموع الشباب وهم يبكون ويتقربون من فنانيهم، وقد يغمى على أحدهم لفرط الحماس، أو يلقي بنفسه على النجم، يحملون الورود والقلوب والصور، ويهتفون بأسمائهم بطريقة هستيرية، يتألمون لآلامهم ويأملون مع آمالهم ويفرحون لفرحهم، ويضجرون لضجرهم، يمنون النفس ويتعاطون مع شؤون الحياة بوجهات نظرهم وشخصياتهم ويتأثرون بقيمهم ومقاربتهم، ولا يكتفون بالتعبير عن "المشاعر" من خلال التقليد والتقرب بل يعيشون الأدوار ويتقمصون النبرة والمشي.

حب الظهور

ويرى علماء النفس والاجتماع أن ظاهرة الهوس بالمشاهير ترجع لطبيعة الشخص نفسه والتي قد تميزها عدم الثقة بالنفس وهذا يبرز في حب البعض بتقليد شكل المشاهير وطريقة كلامهم وحركاتهم واستخدام بعض مفرداتهم، على اعتبار أن الظاهرة تتمركز عادة عند الشباب والمراهقين أكثر من غيرهم، معتبرين أن هذه المرحلة العمرية التي تتكون فيها شخصية الأفراد تكون فيها الشخصية ميالة إلى حب الظهور ولفت الانتباه.

وظاهرة الإعجاب بالفنانين معروفة على مستوى العالم، إذ تتمحور عواطف المعجب تجاه فنان معيّن، ويمكنها أن تتفاقم لتصبح حالة مرضية يمكن أن تسيطر على صاحبها، وقد يبلغ به الأمر في بعض الأحيان حدّ إيذاء نفسه. ويتجلّى الهوس بالرغبة في حب التملّك ومطاردة المشاهير وملاحقتهم أملا في الحصول على صور معهم أو الارتباط بهم، وهذا التعلق الجنوني قد يؤدي بالإنسان إلى القيام بأي تصرف قد يكلفه حياته وحياة من يحب.

ويؤكد الاختصاصي اللبناني في علم النفس الاجتماعي كمال بطرس، أن الإعجاب بالمشاهير له جوانب إيجابيّة وأخرى سلبيّة، "فالإيجابيات تكمن في التعزيز من تقدير الذات عندما يقوم المعجبون بتقليد الصفات الإيجابية التي يتمتع بها المشاهير، مما يعزّز شعورهم بالرضا عن أنفسهم. كما أن الإعجاب بمهارات أحد الرياضيين أو الموسيقيين وربما الممثلين قد ينمي مواهب الـ'فانز" الخاصة، وإذا كان أحد المشاهير متحدثا بارعا في قضية مهمة، فقد يزيد ذلك من وعي المعجب الاجتماعي".

سد الفراغ

لكن الإعجاب قد يصبح مضرا بصاحبه في حال استهلك حياة المعجب، "إذ قد يصل به الأمر حدّ إهمال العلاقات الواقعيّة في حياته، مما يجعله في عزلة عن الأصدقاء والأقارب. والإفراط في الإعجاب يأتي بأسوأ النتائج، وكذلك الاشتياق المبالغ فيه إلى علاقة لن تتم، يمكن أن يؤدي بالمعجب إلى الاكتئاب. وقد تشعر المراهقات بالنقص نتيجة اعتقادهن بأنهن لسن جميلات كالشهيرات من النساء، وهذا ينتهي بالإضراب عن الطعام أو الإفراط في استخدام الماكياج والرغبة في الجراحة التجميليّة".

ويفسر باحثو علم الاجتماع أسباب هذا الهوس والرغبة في تتبع أخبار المشاهير؛ بوقت الفراغ الذي يملأ حياة الشباب وحب الاستطلاع والفضول الذي يرغم الشخص على متابعة تفاصيل الشخصية المهووس بها، كما أنّ الآباء يلعبون دورا في هذا الجانب من خلال تعويد أبنائهم منذ نعومة أظفارهم على التعلق بالمشاهير.

ويحذرون من أن هذا الهوس بالمشاهير خصوصا ممن لا يقدمون محتوى هادفا ومؤثرا قد أدى إلى تراجع منظومة القيم والمبادئ نتيجة التقليد السلبي واللاواعي لهذه الفئة.

وقد ساهمت وسائل الإعلام بشكل كبير في تكريس هذه الظاهرة مع قيام بعض المؤسسات باستقطابهم ودعمهم، في حين أنّ هناك نخبة من أهل الابتكار والإبداع والعلوم ممن لا يحظون بهذا الاهتمام. لذلك لا بد من صناعة مؤثرين حقيقيين في الساحة الإعلامية حتى يرتقي الجيل الجديد بمستواه الفكري، حيث يمكن أن يكون المشاهير نموذجا إيجابيا يُقتدى به.

واعتبر يحيى اليحياوي الباحث المغربي في الإعلام أن هذا الأمر رهان وسائل الإعلام التي أصبحت كلها في خدمة ما يسمى بـ"المشاهير والنجوم" رغم أن الكثير منهم لا علاقة له بالشهرة ولا علاقة له بالفن أصلا.

وأضاف أن دور الإعلام في صناعة النجوم ورسم صورة يتحول الارتباط بها لحد الهوس، وهو ما يشمل النجوم في شتى الميادين سواء في الفن أو الكرة أو الموضة وحتى السياسة، موضحا أن الإعلام نفسه لم يسلم من صنيعته في إشارة إلى مشاهير الصحافة والإعلام الذين لا يمتلكون ثقافة كافية أو تمكنا من اللغة الإعلامية.

وأشار اليحياوي إلى أن مظاهر الهوس كالإغماء والتقليد والتقمص كانت عبارة عن مظاهر مرتبطة بالغرب وبعيدة شيئا ما عن مجتمعاتنا، لكنها انتقلت إلينا عبر الإعلام والصورة.

ويقول الباحثون إن الظاهرة النجومية صناعة إعلامية واقتصادية لها خبراؤها ومؤسساتها وسياساتها التسويقية الهادفة إلى إعادة تشكيل الأذواق الجماعية وخلق الرغبات واختلاق الحاجات الاستهلاكية؛ وأن الآلة الإعلامية أصبحت قائمة على سياسات الترفيه بدل الحرص على استراتيجيات التثقيف، وعلى بعد الإثارة عوض خط الإنارة الفكرية والثقافية، فتتلاعب بالعقول وتسطح الوعي وتصنع قدوة مزيفة تنطلق من نموذج استهلاكي هدفه تحقيق المصلحة الشخصية والربح السريع وتعظيم المتعة وزيادة اللذة فيصبح معيار الترقي الاجتماعي عند الشباب هو: أحسن صوت أو أفضل موهبة أو أجمل جسد أو أنجح مقلد أو أضخم أكلة...الخ. وفي المقابل يعتبر الكثير من هؤلاء المعجبين الشباب أنهم لا يشكلون ظاهرة سلبية ويرفضون أن يعتبر إعجابهم هوسا، ويقولون إنهم يستلهمون من الشخصيات المشهورة المعجبين بها الدافع للنجاح والاستمرار والوصول إلى الأهداف في ظل الظروف الصعبة، ويقول إن طريق الشهرة ليس سهلا ونجومهم سلكوا دربا شاقا للوصول إلى ما هم عليه لذلك يستحقون كل الدعم.

وفي السنوات الأخيرة لقيت الفرق الكورية الجنوبية مثل فرقة "سوبر جونيور" جماهيرية شعبية بين الشباب العرب الذين نظموا نوادي خاصة يتبادلون فيها أخبارا وإنتاجات فنية.

ويقول المشاركون في نادي "سوجو وينجز" الذي يجمع معجبين فرقة "سوبر جونيور" "إن سوبر جونيور بالنسبة لنا هم أشخاص عرفناهم بالصغر، عرفنا الكثير عنهم. تابعنا حياتهم عن قرب وقضينا معهم سنين حتى أصبح كل ما يخصهم يخصنا، بل كشغف بالنسبة لنا، فقط هذا الشغف ما يدفعنا دوما لفعل كل ما يمكن من أجل رؤيتهم يتألقون. كنوع من رد الجميل لهم لكونهم منذ عرفناهم هم مصدر سعادة وراحة، كجزء من عائلة كبيرة. سوبر جونيور يعنون لنا السعادة والأخوة والاحترام والعمل الجاد والموسيقى الراقية".

وأضافوا "سبب دعمنا وكوننا قاعدة معجبين حصريين لهم بغض النظر عن أعمالهم الفنية، فهم لديهم التأثير الإيجابي خصوصا في اهتمامهم بالجانب الإنساني ودعمهم للكثير من المنظمات الخيرية الدولية على سبيل المثال تشوي شيون هو سفير النوايا الحسنة لليونيسيف والذي يقوم بأعمال تطوعية عديدة في مجال الأطفال.

ففي هذه المرحلة من حياتنا خصوصا أننا طالبات جامعيات أو خريجات أو موظفات فقد تشجعنا وأقدمنا على هذه الخطوة لنؤثر بإيجابية في هذه الحياة. أما العلاقة المتينة فهي لم تُبن في يوم واحد بل هي جهود نمت بين الطرفين خلال هذه السنوات، فعلاقتنا بهم علاقة مبنية على الحب والاحترام والدعم والامتنان".

> وقت الفراغ الذي يملأ حياة الشباب وحب الاستطلاع والفضول يدفعهم إلى متابعة تفاصيل المشاهير

وقرر نادي المعجبين العام الماضي أن يركز 90 بالمئة من نشاطهم على مشاريع نحو الأعمال الخيرية. وتم إطلاق "حملة__ياقوت" على جميع المشاريع الخيرية الخاصة بها. وسُميت الحملة باسم "ياقوت" تيمُنا بلون الألف الأزرق الياقوتي الذي يُعبر عن أصدقاء سوبر جونيور الأبديين، وعلى حد قولهم، الياقوت الأزرق حجر كريم يُشير إلى نقاء الروح والولاء والسعادة، وهو من الأحجار التي لها القدرة على تحسين صحة الجسم والمساعدة على مُحاربة الأمراض.

وأكدوا أنه لا يوجد شيء يدعو للاستغراب، "فنحن مثل الأشخاص المتابعين المخلصين لكرة القدم أو المسلسلات التركية والأجنبية وغيرها. اهتماماتنا وحبنا هما متابعة الفن الكوري وشغفنا هو فرقة سوبر جونيور. ومن خلال هذا الشغف والدعم نتج هذا العمل الإيجابي الذي نتمنى أن يكون أول خطوة نحو أعمال إيجابية مؤثرة في الحياة والمجتمع العربي".

الأمومة تحرم النساء من الأمان الوظيفي

العنف الاقتصادي ضد المرأة يدمر مستقبل الأجيال

النســاء يقعــن ضحايا لأشــكال مختلفة من العنــف الاقتصادي الــذي يمكن أن يطال ضــرره أجيــالا بأكملها، إلا أن المفهــوم العام حول ماهية العنــف الاقتصادي ما زال ضبابيا في عدة مجتمعات، كما لا تتخذ بشــأنه معظم الحكومات العربية إجراءات ردعية تنصف الضحايا.

يمينة حمدي
صحافية تونسية مقيمة في لندن

❏ تشكّل النســاء ما يزيد عن نصف سكان العالم، لكن مساهمتهن في النشاط الاقتصادي، لا تــزال أقلّ بكثير من المستوى المطلــوب، وهو ما ينطــوي على عواقب اقتصادية واجتماعيــة وخيمة على الأسر والمجتمعات.

ويقول البنــك الدولــي إن "التكافؤ التام" يحدث فقط في ســت دول، من بيــن 187 دولة، شــملها تقرير أصدره حديثا، بعنوان "المرأة والأعمال والقانون".

ودرســت المؤسســة الدوليــة، ومقرهــا واشــنطن، بيانات 10 ســنوات، في ما يتعلق بعــدم المســاواة القانونيــة والاقتصاديــة، وعوامــل أخرى مثــل حرية التنقــل والأمومة والعنــف المنزلــي والحق فــي إدارة الأصول وغيرها.

وأفادت الدراســة بأن بلجيــكا والدنمارك وفرنســا ولاتفيا ولوكسمبورغ والسويد فقط، هــي الدول التي اعتبرهــا البنك الدولي تطبّق المساواة التامة بين الرجال والنساء، في هذه المجالات.

ويختلف مســتوى التفاوت بين الجنسين بشكل واضح، حسب المناطق في العالم، حيث تتمتّع النســاء بنحو 84.7 بالمئة من الحقوق، مقارنة بالرجال في أوروبا ووســط آسيا، لكن الرقــم ينخفض إلــى 47.3 بالمئة، في الشــرق الأوسط وشمال أفريقيا.

وتذيّلــت الســعودية، قائمــة الــدول التي شملتها الدراسة، وسجلت 25.6 بالمئة.

وعلى مســتوى العالم، تتمتّع النساء بـ75 بالمئة فقط من نفس الحقوق، مقارنة بالرجال.

وحلّل تقرير البنك لدولي مؤشــرات، تشمل كل الحياة العملية للنساء، بدءا من السعي إلى الحصول على عمل، إلى إدارة مشروع تجاري، والحصول على معاش تقاعدي.

وأبرز التقرير حقيقــة أن 33 دولة، عبر كل مناطق العالم، فعّلت إجــازة الأبوة، و47 دولة أقرّت تشريعات، بشأن العنف المنزلي.

وتفترض دراســة حديثة أن وصول النساء إلى المساواة مع الرجال قد يُسهم في تحصين الاقتصــاد العالمــي ضد كســاد عالمي جديد. وكذلك سيكون مســاويا في ضخامته وتأثيره لإضافة صيــن أخرى وولايــات متحدة أخرى لإجمالي الناتج المحلي للاقتصاد العالمي.

التمييز في سوق الشغل

غيــر أن معظم دول العالم برغم أنها تمتلك دســاتير تمنع التمييز بين الجنسين، ما زالت أسواق الشــغل فيهــا مقسّمة على أساس نوع الجنس.

وأشــار المنتــدى الاقتصــادي العالمــي (دافــوس) إلى أن دول العالــم تعود للوراء في مســألة التكافــؤ بين الجنســين فــي مجالات الصحة والتعليم والسياســة، ومــكان العمل، وذلك للمرة الأولى منذ عام 2006.

وطبقــا لبيانــات المنتــدى الاقتصــادي العالمــي لعــام 2018، هناك فجــوة بمعدل 32 بالمئــة بين الجنســين، وســبب الزيــادة هو تراجع المساواة بين الجنسين في مكان العمل بالتحديد.

ويقــع العــبء الأكبــر لهذه الفجــوة على النســاء المتزوجــات ولديهــن أطفــال، حيث تتأثر فرص توظيفهن بســبب الإنجاب، فتجبر البعــض منهــن على تــرك وظائفهــن نتيجة ضغــوط مســؤولية رعايــة الأبنــاء، وغيــاب ســاعات العمل المرنة، فيمــا تواجه الكثيرات منهــن تحــدي الحصول على وظيفــة، خاصة في ظل المعتقد الســائد لــدى معظم أصحاب المؤسســات بأن الأمهات أقــل إنتاجية، جرّاء ظــروف الحمــل والإنجاب وإجــازات الأمومة والرضاعة.

وأكد تقرير صدر عن منظمة العمل الدولية، أن الفارق في معــدلات توظيف المرأة والرجل لم يتراجع في الســنوات الـ27 الماضية سوى بأقل من نقطتين مئويتين فقط.

وبحســب تقريــر المنظمــة، فــإنّ الفجوة في الأجور بين الجنســين تبلــغ 20 بالمئة في المتوسط على الصعيد العالمي.

وتقول المنظمة إن الأمهات يُعانين بشــكل عــام من "عدم المســاواة في أجرهــن" والذي يــزداد في حياتهن العملية، فيما يحصل الآباء على علاوة في الأجر.

ويشــير تقريرها أيضا إلى "عدم المساواة فــي تعيين الأمهات في مناصب عليا، إذ أن 25 بالمئــة فقط من المديرين الذيــن لديهم أطفال دون سن السادسة هم من النساء".

وبيــن التقريــر أن التعليــم ليس الســبب الرئيســي فــي تدنــي معــدلات عمــل المرأة وانخفاض أجرها، بل إن المرأة لا تحصل على الفوائــد عينها التي يحصــل عليها الرجل ذو المستوى التعليمي نفسه.

وتبدو التفاوتات في هذا الشأن كبيرة بين البلدان العربية، إذ تواجه الملايين من النساء المتزوجات تحــدي الحصول على فرصه عمل فــي مجتمعات تنفق المليــارات من الدولارات علــى تعليــم الإناث، فيمــا يبقــى الرجال هم المسيطرون على سوق العمل.

ورغم أن النســاء أصبحن يشــغلن نســبة أكبر في سوق الشغل في المجتمعات العربية، إلا أن نسبة مشاركتهن ما زالت هي الأدنى في العالــم، بالإضافة إلى أن أنــواع الأعمال التي يمكن أن يحصلن عليها تعتبر أقلّ اســتقرارا؛ كما أنهــن موجودات فــي الغالب فــي أعمال مؤقتة وموســمية، أما الرجال فيحصلون على المناصــب الإداريــة ومراكز القــرار التي هي أساسا من المهن الأعلى أجرا.

وتشير الدراســات المتاحة إلى أن النساء كثيرا ما يجنين مــالا أقلّ من الرجال حتى في حــال أدائهن عملا مســاويا للرجــال، كما أن معظم الأمهات لا يســتطعن الترقــي وظيفيا، ويُلقــى باللائمة فــي ذلك على أعباء الأســرة والأعمال المنزلية.

والبيانــات التي توثق فجــوة الدخل بين الجنســين في الــدول العربية محــدودة، لكن مستوى التفاوت بين الجنسين يختلف بشكل واضح في الشــرق الأوسط وشــمال أفريقيا، بحســب ما أشــار البنــك الدولي فــي تقريره الأخير.

وتقول منظمة الأغذية والزراعة "إن المرأة مســؤولة في غالبيــة المجتمعــات عن معظم الأنشــطة المنزليــة وتربية الأطفــال"، وهذه المجموعة الإضافية من المســؤوليات المُلقاة على عاتق النســاء، والتي قد تشمل مهام جمع الميــاه وتوفير الوقود فــي المناطق الريفية، "تحدّ من قدرة المرأة على الانخراط في أنشطة تدرّ الدخل".

المساواة لم تترجم إلى واقع

تعتبــر تونــس مــن بيــن الــدول العربية الرائــدة في مجال حقــوق المــرأة، وقد نصّ الدســتور الجديد الذي أقرّ فــي عام 2014 على أن "المواطنيــن والمواطنــات متســاوون في الحقوق والواجبات"، غير أن هذه المســاواة لــم تترجم إلى واقع حقيقي في ســوق العمل، فكثيرا ما يتعمّد أرباب العمل كســر القوانين، الأمــر الــذي يضــع عراقيــل كثيرة فــي وجه النســاء ويجعلهن عاجزات عن دعم أســرهن ومجتمعهن.

تغيير السياسات ما هو إلا خطوة البداية لضمان حقوق الأمهات

وتمثل قصة الصحافية التونســية راضية قيزانــي مثالا بــارزا على العنــف الاقتصادي والتمييــز المُمنهــج الذي يمكــن أن تواجهه الأمهــات في ســوق العمل، حتــى عندما يكنّ قادرات على أداء أعمالهن بكفاءة.

تقــول قيزاني، لـ"العــرب"، "الأمومة –رغم أنهــا ســنة الحياة– فهــي من الأســباب التي لا يــزال من المعتــاد أن يرفض أربــاب العمل تشــغيل النســاء بســببها ويســيئون تقدير إمكانــات وقــدرات النســاء لكونهــنّ أمهات، ويفترضــون أنه الصعب عليهــنّ العمل تماما كما الرجال".

وأضافــت "تطــوّر التشــريعات الضامنة لحقــوق المرأة التونســية ســواء فــي مجلة الأحوال الشــخصية أو في مجلة الشغل التي ورد فيهــا العديد من الفصــول لحماية المرأة العاملــة، ســواء في فترة الأمومــة أو لضمان حقوقهــا المهنية، لكن ذلك لم يصاحبه ســوى تطبيق نســبي لبعض القوانيــن، وخاصة في القطاع الخاص".

وشــددت قيزاني علــى أن الأم العاملة في تونس ما زالت تعاني من التمييز وتخســر في بعض الأحيان فرصتهــا في العمل لكونها أمّا لأطفال صغار، وعليها العناية بهم وتخصيص قــدر كبير من الوقــت لرعايتهم، وهــذا يعني بالنســبة إلى أصحاب المؤسســات خســارة كبيرة، نظرا إلى اعتقادهم الراسخ أن مردودها فــي العمــل ســيكون ضعيفــا، لأن مجهودها وتفكيرها ســيوجّهان إلى أطفالها وأســرتها أكثر من عملها.

وترى قيزاني أن أرباب العمل يدركون جيدا وضعية النســاء الأمهات، لذلك هم يتحاشون تشــغيلهن حتى لا يكنّ عبئــا ثقيلا عليهم ولا يدفعــن لهن أجرا طيلة إجازة الأمومة الذي هم ملزمون به قانونيا.

وواصلــت حديثهــا موضحــة "أعتقد أن النظرة السائدة حول الرجل التونسي وسلوكه الذي يتسم بعدم مساعدته لزوجته على تربية الأبناء ومساعدتها في الأعمال المنزلية، هو ما يجعلهم يرجّحون أن تشــغيل النساء الأمهات ســيكون حملا ثقيلا على مؤسساتهم، هم في غنى عنه".

واستشــهدت قيزانــي بتجربتهــا قائلــة "بســبب كوني أمّــا لبنتيــن واحــدة تبلغ من العمر 10 والأخرى 5 ســنوات، لــم أظفر بعمل في مؤسســة محترمة رغم شهادتي الجامعية فــي مجال الإعلام وخبرتي الكبيرة، وقد رفض صاحــب إحدى المؤسســات تشــغيلي، لأنني أجبتــه صراحــة أننــي أمّ لبنتيــن، والأرجح أنــه انتدب شــابا حتــى يتفادى الســيناريو المرســوم في ذهنه عن الأم العاملة والغيابات والإجازات".

غيــر أن قصــة راضيــة قيزانــي لا تبــدو اســتثنائية، بــل هنــاك الكثيــر مــن الأمهات التونســيات يدعمن كلامها، إذ أكدت ســامية مانــي العيونــي أن دور المرأة داخل الأســرة ينظــر إليــه على أنــه يعيقها عــن أداء عملها ويجعلها أقلّ إنتاجية.

وقالت العيوني، لـ"العرب"، "أغلب الأمهات يُحرمن من حقهن في العمل، لا لشيء سوى لأن لديهنّ أطفالا، حتى في ظل وجود القوانين التي تنصّ على حمايــة جميع حقوق الأمّ العاملة". وأضافــت "لا أرى أن إجــازة الأمومــة كافيــة للاعتنــاء بأطفالي، وإن صــادف وأن تجاوزت المدة المحددة لا أحصل على الأجر، حتى وإن كنت مضطرة للتغيب عن العمل بســبب مرض أحد أبنائي، وكأن ليس لــديّ الحق في البقاء إلى جانبه! هذا غير مقبول تماما".

وروت العيونــي تجربتهــا مســتنكرة الأســلوب الــذي تعاملت بــه معهــا صاحبة المؤسســة التي كانت تعمل فيها عندما مرض ابنهــا قائلــة "مــرض ابني واســتدعى الأمر إدخاله إلى المستشــفى لتلقــي العلاج طيلة مــدة معيّنة وكان عليّ البقــاء معه، فمــا راعني إلا وصاحبة المؤسســة تتصل بي ليلا لتســألني عن موعد رجوعي للعمــل، ولتحذرني من قطع راتبي، وكنتُ أتوقع أنها هاتفتني لتســألني عن حــال ابني، وهذا ما أجبرنــي على ترك العمل والبقاء في المنزل للعناية بأطفالي".

33
دولة عبر كل مناطق العالم فعّلت إجازة الأبوة، و47 دولة أقرّت تشريعات بشأن العنف المنزلي

وأشارت العيوني إلى أنها اضطرت للعمل فــي التســويق الشــبكي (نوع من التســويق للمنتجــات أو الخدمــات مقابل الحصول على عمولــة) حتى لا تشــعر بالفــراغ وحتى تجد الوقت للعناية بأطفالها.

القوانين وحدها لا تكفي

أما فــي المملكة العربية الســعودية فقد أصبحت المرأة تشــغل وظائــف كانت حكرا على الرجال في الســابق، سواء في المناصب الإداريــة أو السياســية، فضلا عــن ذلك بات من الممكن للمرأة تولي وظائف مثل رئاســة تحرير الصحــف أو تقديم برامج حوارية في التلفزيــون، وعلــى الرغم من هــذه التغيّرات الاجتماعيــة والاقتصادية الســريعة في ظل حملــة الانفتاح التي تمّ الترويج لها، في عهد ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، مــا زال التغيّر في النظــرة الاجتماعية، التي تميّز على أساس الجنس، بطيئا.

غيــر أن الكاتبــة آمنــة الذروي أشــادت بمــا نالتــه المــرأة الســعودية وخصوصا الأمهــات من حقوق في مجتمعهــا قائلة "في مــا مضى كانــت الأمهــات يعانين مــن عدم التوظيف في الشركات والمؤسسات الخاصة بســبب أن لديهن أطفال صغــارا ويحتاجون إلــى رعايتهــن، أمــا المجــال الحكومي، فلا يســأل النســاء أثناء التوظيف إن كنّ أمهات أم لا".

وأضاف الذروي، لـ"العرب"، "الحال تغير مــع الرؤية الجديــدة للحكومة ومســاندتها الدؤوبــة لحقــوق المــرأة، وبالتالــي لم يعد أرباب العمــل يفرقون بين أم موظفة وموظفة ليست أمّا، بل إن بعض المؤسسات الحكومية والخاصة أنشــأت حضانات بأســعار رمزية بهــدف مســاعدة الموظفــات وأطفالهــن ومنحتهن ساعة يومية لإرضاع أطفالهن".

وشــددت الــذروي علــى أن المؤسســات الســعودية أصبحت أكثر مرونة في التعاطي مــع الأمهــات، إذ بات يســمح لهــن بمرافقة أطفالهــن أثنــاء المعايدات الطبيــة، ويطلق على ذلك "استئذان موعد" ولا يحتسب ضمن الاستئذانات العادية، أما بالنسبة إلى إجازة الــولادة فتنال الأم شــهرين إجــازة مدفوعي الأجر.

واسترســلت الــذروي حديثهــا موضحة "بالنســبة إلــى الإجــازات العاديــة كالمرض العــارض، مثل التســنين والإســهال وغيره، تحصــل الأم على ربع راتبها، كمــا هو معتاد ومعمول به في معظم أنظمة العالم. وأشــارت الذروي إلى أن الوضع الآن تغيّر، فقد أصبحت المؤسســات الخاصة تهتم بحقــوق الأمهات وتحترمها، وذلك بإشــراف وزارة العمل السعودية التي تســاعد وتســاند الشركات الخاصــة بالدعــم المــادي. وصدرت خــلال الســنوات الأخيرة عــدة قرارات أعادت للمــرأة الســعودية بعــض حقوقها وساهمت في ترقية دورها المهني في المجتمع، لكــن الكثير مــن الحقوق ما زالت بعيدة عــن متناولها، بســبب المحاذير الاجتماعيــة التــي تســتمر في منــع الأمهات والنساء بشكل عام من دخول سوق العمل.

ولفتــت المحامية المتدربة أمل عمر إلى أن التغييرات التي حدثت فــي البنية الاقتصادية ســمحت للمرأة بالمشــاركة بشــكل مكثف في الحيــاة العامــة واقتحــام جميــع القطاعات المهنية، لتخلق منها إنســانا جديدا، متحررا من التبعية المالية للرجل ومن الأفكار الرجعية التــي تحصــر دورها علــى الإنجــاب والقيام بالأعمال المنزلية.

وقالت عمر، لـ"العرب"، "النساء السعوديات لم يعــدن اليوم في حاجة إلى قانون عمل يؤكد على المســاواة بين الجنســين، فهذه المرحلة تجاوزناها منذ عقود وقانون العمل السعودي قد ســاوى بين جميع المواطنين ومنح المرأة الحــق للعمــل في جميــع المجــالات، ودعمها علــى مختلــف الأصعــدة بهــدف مســاعدتها علــى التوفيق بين واجباتها الأســرية ودورها المهني".

وأضافت "المشــكلة ليســت فــي القانون بل فــي التطبيق الحقيقــي للقانون على أرض الواقــع، فالبعض مــن أرباب العمــل ما زالوا ينظــرون إلــى الأم علــى أنها غير قــادرة على تحقيق الموازنة بين دورها الأســري وواجبها المهنــي ويرفضــون تشــغيلها لهذا الســبب، ويضربون بالقوانين عرض الحائط".

وتابعــت حديثهــا موضحة "هنــاك أيضا من يرفضون إنشــاء حضانــات خاصة بأطفال الأمهات العاملات، ويتعمدون تشــغيل الذكور فقــط، بدعوى أن المرأة غيــر قادرة على تحمل أعباء بعض المهن أو ليس باستطاعتها التنقل من مكان إلى آخر إذا اشترط العمل ذلك".

وختمــت عمر بقولهــا "الســعودية وفرت للمــرأة مناخــا مشــجعا ومؤمنــا بقدراتهــا الإبداعية، لكــن ما نحتاج إليه اليوم هو تغيير النظرة التقليدية للمرأة حتى يصبح المجتمع المهني أكثر تعاطفا مع حق المرأة في العمل ويؤمــن بقدرتهــا على العطاء تمامــا كالرجل، وأعتقد أن النســاء السعوديات اليوم جديرات بجميع المســؤوليات لما يتمتعن به من كفاءة ومؤهلات علمية".

ولا يبــدو أن هنــاك خاســرا مــن التمكين الاقتصادي للمرأة الذي يعــد من أهم العوامل التــي تســاعد علــى دعــم النمــو الاقتصادي للمجتمعــات وتحقيــق أهــداف التنمية المستدامة.

راضية قيزاني:
أرباب العمل يدركون جيدا وضعية الأمهات، لذلك يتحاشون تشغيلهن حتى لا يكن عبئا ثقيلا عليهم

سامية ماني العيوني:
اضطررت للعمل في التسويق الشبكي حتى أجد حريتي والوقت الكافي للعناية بأطفالي

مدارس خاصة ترهن قبول الطفل بخلفية الأسرة الاجتماعية

سياسات تعليمية تغذي الطبقية والحقد الاجتماعي

كانت انتقائية الأطفال بالمدارس الخاصة والدولية في مصر، تقتصر على طبيعة المؤهل الدراسي للأب والأم وقدرتهما على دفع تكاليف المدرسة، لكن الأمور تطورت، ولم يعد المال فقط هو شرط الالتحاق بالمدارس الخاصة، بل أصبح المستوى الاجتماعي شرطا رئيسيا في بعض المدارس التي تستعيد خطابا طبقيا قديما يفصل بين "أولاد الذوات" و"العامة".

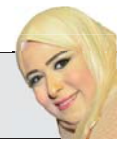

أميرة فكري
كاتبة مصرية

❏ **القاهرة** – اعتقد علاء أحمد، صاحب متجر لبيع اللحوم، أن ثروته ستمكنه من "شراء" تعليم جيد لطفليه وترسيمهما في أي مدرسة، لكنه لم يدرك أن خلفيته الاجتماعية، وهو ابن الحي الشعبي، ستكون العائق الأول أمام التحاق ابنيه بإحدى المدارس التي اختارها، والتي تبيّن أن شرط القبول الأول فيها، أن يكون المنتسب من أبناء الطبقة المرفهة والعائلات من ذوي النفوذ والشهرة والمنصب.

تقدم علاء، خلال شهر أبريل الجاري، بأوراق طفليه في أربع مدارس تقع في أحياء مصر الجديدة والنزهة ومدينة مصر، وهي من المناطق الراقية في العاصمة. لكن مطلبه رُفض، وكُتب على ملف كل منهما بالخط الأحمر "غير لائق، ولا توجد أماكن فارغة بالمدرسة".

انشغل الأب بمعرفة أسباب الرفض أكثر من محاولة البحث عن مدرسة خامسة تقبل ولديه، وتبيّن له أن أسئلة المقابلات التي طرحت على الطفلين كانت تتمحور حول أماكن نزهة الأسرة، واسم النادي الذي تشترك فيه، وماركات الملابس والأحذية والسيارات التي يفضلها، وفي أي شاطئ أو قرية سياحية تقضي الأسرة إجازة الصيف، وأسماء المطاعم والمقاهي المفضلة، وهل لدى الأسرة عاملة بالمنزل أم لا؟

> طموحات الأسر غير المرفهة تصطدم بسياسة قبول للطلاب قائمة على الإقصاء والتمييز وفق مستوى الأسر الاجتماعي والوظيفي والتعليمي

بمثل هذه الأسئلة تختبر الكثير من المدارس الخاصة والدولية في مصر طلابها وفق آلية تقصي أطفال الأسر البسيطة والمتوسطة، وإن كانت تمتلك تكلفة تعليم أبنائها، لكنها غير مرفهة وتمتهن حرفا تبدو لبعض الأسر الميسورة، سيئة السمعة، وبالتالي يبحث الأغنياء دائما لأبنائهم عن مدارس محاطة بسياج يحظر على الآخرين من أبناء الطبقات الأخرى الاقتراب منه. يقول علاء لـ"العرب"، إن معلمة بإحدى

مدارس «أولاد ذوات» تفصل طلابها عن بقية المجتمع وتقاليده

المدارس التي رفضت طفليه أبلغته بأن إدارة المدرسة تحظر قبول الطالب دون التحري عن خلفية أسرته، لأن أكثر أبناء المدرسة "أولاد ذوات"، وهؤلاء أهم مطالبهم أن يكون كل الطلاب قريبين من المستوى الثقافي والفكري والاجتماعي، فلا يمكن قبول طفل والده يعمل حارسا لعقار لمجرد أنه يستطيع دفع المصروفات.

وينتمي الأب إلى طبقة من المجتمع المصري بدأت تغير نظرتها للتعليم، ويتشكل قوامها الأكبر من الأسر البسيطة ومتوسطة الحال، وبدأت تركز على الاستثمار في مستقبل أبنائها، من خلال تعليمهم في أماكن لائقة بعيدا عن المدارس الحكومية المجانية المتهالكة، مهما كانت التكلفة والتضحيات والاستعداد لتحمل المزيد من الأعباء.

تعتبر الأسر البسيطة والمتوسطة التي تكافح لإلحاق أبنائها بمدارس خاصة، أن التعليم أصبح المخرج الوحيد لإنقاذ كل عناصر الأسرة من دوامة الفقر، وتفكر هذه الأسر بمنطق إذا أصبح الابن مهندسا سوف يغيّر مسار حياته وأسرته مستقبلا، وإذا تخرّج طبيبا فالنظرة المجتمعية سوف تتبدل بشكل جذري.

لا تواجه تضحيات الأسر بمرونة من جانب بعض أصحاب المدارس الخاصة، حتى أن المدارس اليابانية والقومية المملوكة للحكومة تدعم إقصاء أبناء البسطاء ممن لا يستطيعون دفع المصروفات الدراسية التي تصل إلى 600 دولار سنويا، وتصطدم طموحات الأسر غير المرفهة بسياسة قبول للطلاب قائمة على الإقصاء والتمييز وفق مستوى الأسر الاجتماعي والوظيفي والتعليمي.

تلجأ الكثير من المدارس إلى اقتصار القبول على الأشقاء وأبناء العم، حتى أصبح هناك ما يعرف بـ"مدارس العائلات". تبحث هذه المدارس من وراء ذلك عن فصل طلابها عن المجتمع المحيط، بحيث تكون لهم ثقافة وعادات وتقاليد ونمط تربية مختلفة عن عامة المجتمع تشجع على نشر الأفكار الداعمة للطبقية والحقد الاجتماعي.

وما يكرس العنصرية الاجتماعية في التعليم أن الكثير من الأسر أصبحت تتعامل مع مكان التعلّم بمنطق الوجاهة الاجتماعية، وتتباهى بأن أولادها يتعلمون في مدرسة بأسماء "كبيرة"، أي ذات شهرة عالية، وبالتالي فإنها (الأسرة) مرفهة ولا تعيش الحرمان والعوز وبإمكانها تعليم أولادها بين أبناء الكبار.

وتكمن الأزمة في نظرة وزارة التعليم لطريقة الانتقائية التي تتعامل بها المدارس مع الأطفال وأسرهم، فهي تعتبر أن "لكل مدرسة الحق في طريقة اختيار من يلتحق بها وفق لوائحها الداخلية"، من منطلق أن التعليم الخاص سوق حرة تسود فيها سياسة العرض والطلب، أيّ أن هناك شرعنة حكومية للتمييز والعنصرية والانتقائية في طريقة اختيار الأطفال المقبولين ببعض المدارس الخاصة.

وترى إنشاد عز، أستاذة علم الاجتماع بمركز البحوث الاجتماعية بالقاهرة، أن انتشار مسمّيات مدارس أبناء الكبار، وأولاد الذوات ظاهرة خطيرة تحمل في طياتها تقسيما طبقيا يهدد القوام المجتمعي، لأنها تدريب مبكر للأطفال على الكراهية والعنصرية.

وتضيف في تصريح لـ"العرب"، أن مشكلة بعض الأسر ميسورة الحال أنها تعتبر عزل أبنائها عن ذويهم من البسطاء يحميهم من السلوكيات والتصرفات والعادات الخاطئة. وهذا خطأ فادح، لأنها بذلك تعلمهم أن الاقتراب من أي شخص غير تابع لطبقتهم الاجتماعية يمثل خطرا عليهم.

ولدى بعض المدارس الخاصة مبررات تبدو مقبولة نسبيا، في مسألة رفض أطفال أسر بعينها، من بينها أن المدرسة ليست وحدها المسؤولة عن تعليم الطفل وتربيته وتقويم سلوكياته، والأسرة شريك رئيسي في ذلك، وبالتالي لا بد أن يكون مستوى وثقافة ووضعية المدرسة بكل تفاصيلها، موازية أو على الأقل متقاربة من الأسرة.

لكن (ع) الخطيب، وهو صاحب مجموعة مدارس خاصة بالقاهرة، قال لـ"العرب"، إن بعض أصحاب المدارس يفضلون اقتصار التعامل مع الأسر الراقية فقط، لعدم إثارة الأزمات في حال رفع المصروفات، واستخدام العلاقات معها كحصانة ونفوذ وإنهاء مصالح شخصية وعائلية، وهذه لغة مقبولة في "البزنس" الذي أصبحت المدارس الخاصة أحد مكوناته.

ديكور

الزهور الورقية أحدث توجهات الديكور البسيط

❏ يصعب التحصل على زهور لأغراض التزيين على مدار العام، وخاصة في أماكن محددة من العالم. لكن، لا ترتبط الزهور الورقية بأي موسم، ولن تذبل مع مرور الوقت. كما يعد صنعها نشاطا أسهل من البحث عن أنواع معينة من الأزهار التي تناسب نمط التزيين المرغوب فيه.

اعتمادا على الألوان والتصميم، يمكن استخدام الزهور التي يصنعها الفرد بنفسه يدويا خصيصا لخلفيات رائعة للحفلات والديكور في المنزل.

إن الإرشادات التي يمكن العثور عليها على شبكة الإنترنت سهلة المتابعة. وتختلف طرق صناعة الأزهار من فيديو إلى آخر.

ينصح بعض التشكيليين بقطع أشكال بسيطة من طبقة مزدوجة من الورق، ثم جمع القيعان معا ولصقها لإنشاء بتلة مزدوجة ليتم تثبيتها على طبق.

يعد موقع "جينيفر ميكر" بمثابة كنز من الإلهام الفريد، خاصة بالنسبة للزهور الورقية المصنوعة من البطاقات. ويحتوي هذا الموقع على تعليمات بشأن صنع أزهار الشتاء وعباد الشمس والفاوانيا وغيرها.

وتتضمن الأساليب التي يروج لها الموقع تقطيع أوراق في شكل بتلات ولصقها في قاعدة بطاقات مستديرة. ثم تشكّل كل بتلة عن طريق لف الحواف بمقبض ملعقة أو أي أداة مشابهة.

موضة

الطبيعة مصدر الإلهام لموضة الأطفال

❏ تتألق موضة ملابس الأطفال في صيف 2019 بأشكال مستوحاة من الطبيعة كعالم الحيوانات والبحر والسماء، كما أنها تتسم بطابع رياضي عملي، فضلا عن محاكاة مظهر الوالدين.

وقالت خبيرة الموضة الألمانية أنيكا فون جاجيرن إن الطبيعة تمثل مصدر إلهام موضة ملابس الأطفال هذا الصيف؛ حيث تزدان الملابس بأشكال مستوحاة من السماء كالنجوم، ومن عالم البحر كأسماك القرش والحيتان والأسماك الصغيرة والقناديل والطحالب والشعاب المرجانية، ومن عالم الحيوانات والطيور والحشرات مثل الحصان والفلامنجو والنحلة والفراشة والخنفساء.

كما تتألق ملابس الأطفال بأشكال مستوحاة من عالم السيارات والأغذية كالآيس كريم والمشروبات المخفوقة، بالإضافة إلى النقوش التقليدية كالتقليمات ونقوش الزهور.

ومن جانبها أشارت خبيرة الموضة الألمانية بولينا أوستروفسكي إلى أن الأزرق البحري يتربع على عرش ألوان ملابس الأطفال بصرف النظر عن جنس الطفل، إلى جانب درجات الباستيل الفاتحة ذات الطابع الحالم والوردي والأصفر.

وبدورها أشارت خبيرة الموضة الألمانية كاتينكا رايسنبرجر إلى أن ملابس الأطفال تتسم أيضا بطابع رياضي تتجسد مفرداته في الفيست والجاكت وحذاء الرياضة.

وأضافت رايسنبرجر أن اتجاه "النسخة المصغرة" "Mini Me Look" يواصل التربع على عرش موضة ملابس الأطفال؛ حيث يرتدي الفتى ملابس مطابقة لملابس والده، في حين ترتدي الفتاة ملابس مطابقة لملابس والدتها.

هل الحياء لا يزال يمثل قطبا رئيسيا في منظومتنا التربوية

محمد خديمي

❏ تعترضنا في حياتنا اليومية بعض السلوكيات التي لا نستسيغها –بقطع النظر عن وجاهة الموقف من عدمه– فنرجع ذلك إلى المنظومة التربوية–السلوكية العامة والتي تمثل المرجع الفكري والقيمي الأخلاقي كمقاييس ومعايير للتقويم والتقييم السلوكي العام، ونسمع في كل مرّة عبارة أضحت شائعة يرددها الجميع "ما عادش ثمة حشمة" (لم يعد هناك حياء).

الحياء مصطلح معياري أخلاقي يتغير باستمرار في تماه مطلق مع تطوّر النسق العام للحياة اليومية بكل مرجعياتها الفكرية والذهنية والدينية والقيمية والمادية، فإذا كان نمط ونسق الحياة متحوّلين غير ثابتين فإن كل المفاهيم الحافة بذلك هي أيضا متحوّلة بالضرورة ومنها مفهوم الحياء.

إن الحياء والحشمة مصطلحان أساسيان في المنظومة التي تتأسس عليها التربية الأسرية، بل لعلّهما يتصدّران قائمة المفاهيم القيمية جميعها، لما لهما من دور في عقد علاقات اجتماعية مبنية على الاحترام من جهة، ثمّ توطيد العلاقات القائمة بين الأفراد سواء على مستوى الأسرة أو المدرسة أو فضاءات العمل أو الترفيه وغيرها.

ولكنّ الأسس التربوية بالمقاييس التقليدية التي تضع مفهوم الحياء في خانة مغلقة من المحرّمات والمحظورات، ألا يمكن أن تحيد بالتربية الأسرية عن مهامها وأهدافها الأساسية المتجسّدة في تنشئة أطفال متشبعين بمفاهيم المواطنة الفاعلة وفق حدود المرجعيات الدينية والأخلاقية والاجتماعية التي تتسم بالاعتدال والتكامل؟ ألا يمكن أيضا أن تشكل عوائق نفسية وذهنية ومادية أيضا تعطّل التطور الطبيعي لشخصية الطفل على جميع المستويات، وبالتالي تسلبه حرية الرأي وحرية الفعل وحرية إبداء الموقف؟ ألا يمكن أن تحدّ في الطفل مواصفات القيادة في المستقبل وبذلك يفقد موقعه الأصلي والطبيعي في قيادة مجتمعه نحو التطوّر والتقدّم؟

هذه الأسئلة وغيرها تجعل الموضوع يطرح بطريقة جدلية لا بد من أن يكون النقاش فيها هادئا ومعمّقا نظرا لأهمية الموضوع في ذاته أو للنتائج التي قد تفضي إليها هذه النقاشات في علاقة مباشرة بأهمية الحياء في المنظومة الأخلاقية التربوية وما لذلك من علاقات وطيدة بالثوابت والأصول الحضارية، ثمّ –وهو أمر شديد الأهمية أيضا– الدفع الإيجابي لتكوين شخصية سوية سليمة خالية من العقد النفسية، قادرة على الفعل الإيجابي في إطار نظرية المجموعة تفاعلا واختلافا وتماهيا أو انصهارا.

نعلّم أطفالنا أن يتمتّعوا بسمة الحياء والحشمة في كل تعاملاتهم داخل العائلة أو خارجها، ونقرن ذلك دائما بالاحترام، ولكننا قد نفشل في تحديد حدود هذا الحياء وهذا الاحترام.

الحياء أن ندعوهم إلى حسن الإنصات دون مقاطعة، وتنفيذ ما يطلب منهم من أعمال دون نقاش، واعتبار كل الخطابات الموجّهة لهم أوامر، وتبجيل كبير السنّ في كل المواقف، والتعفف عن التلفظ بالكلام البذيء والخادش للحياء، واحترام المسنّ والمرأة.. في ما ذكرنا أمور كثيرة جيّدة مثل أن نرسّخ لدى ناشئتنا أن يتعلموا كيف يحفظون المقامات والمواقع الاجتماعية، فالمسنّ والمرأة يجب أن يحظيا بكل احترام وتبجيل وذلك ما تحض عليه التشريعات الوضعية والدينية لدى كل الشعوب والأمم بقطع النظر عن الاختلافات البيئية والاجتماعية والحضارية، والتعفف عن إيذاء مسامع الناس بفاحش الكلام يوطّد العلاقات الاجتماعية العابرة في وسائل النقل أو فضاءات التسوّق أو الترفيه، واحترام المربي في كل المراحل التعليمية ينمي المدارك العقلية والذهنية ويجعل عملية التعليم سلسة يسيرة ومثمرة في صالح الأفراد والمجتمعات عموما.

أمّا ما يعاب بشدّة في هذه المنظومة السائدة الطريقة التي تعتمد التكليف بأسلوب إنشائي طلبي محوره الإجبار والإلزام "افعل كذا.. ولا تفعل كذا"، وثانيا مصادرة آراء الأطفال ومواقفهم، من ذلك مثلا التعبير عن التعب لعدم القدرة الجسدية على إنجاز فعل طلب منهم يعتبر وقاحة وقلة حياء، ومناقشة تفاصيل وحيثيات محتوى طلب ما تعتبر قلة حشمة، وقس على ذلك: الغناء والرقص والحوار بصوت عال ومناقشة العدد في المدرسة والتعبير عن موقف يخص موضوعا أسريا والحضور مع الضيوف والمشاركة في الحوار.. كلها مواقف وأفعال "مشينة" غاب فيها الحياء والحشمة.

المعضلة إذن تكمن في كيفية المواءمة الصحيحة بين الأبعاد التربوية والأخلاقية لمفهوم "الحياء" و"قلة الحياء" وفق النسق التربوي العام في سيرورته المتطوّرة دائما وغير الخاضعة للأطر المتكلّسة الرافضة لأي تغيير، وبين ما يتطلبه تكوين شخصية الطفل وبناؤها وفق أسس علمية تستند إلى علمي النفس والاجتماع خاصة ووفق المتطلبات التقنية للعصر.

بكل بساطة، علينا أن نتعلّم قبل أن نربي ونلزم أطفالنا بقوالب جاهزة نرفض نقاشها شكلا ومضمونا.

تراجع أسهم البديل المنقذ يثير حفيظة النقاد

سولسكاير مقتنع بقدرة مانشستر يونايتد على العودة إلى المسار الصحيح

أرقام مانشستر يونايتد تتهاوى فهل من منقذ

أكد النرويجي أولي غونار سولسكاير، المدير الفني لفريق مانشستر يونايتد، أنه بحاجة كبيرة لبعض الإمكانيات من أجل المنافسة على الألقاب في الفترة المقبلة، مؤكدا أنه كان هناك فارق كبير في الإمكانيات بين "الشياطين الحمر" والسيتي. وتعرض يونايتد للخسارة على يد مانشستر سيتي، بملعب أولد ترافورد، ضمن مؤجلات الجولة الـ31 من الدوري الإنكليزي الممتاز.

❑ **لندن** – أبدى المدرب النرويجي أولي غونار سولسكاير قناعته بقدرة فريقه مانشستر يونايتد على إنهاء الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم هذا الموسم في مركز يؤهله للمشاركة في دوري أبطال أوروبا في الموسم المقبل، على الرغم من أدائه السلبي في الفترة الماضية.

وتلقى يونايتد الأربعاء خسارته السابعة في آخر تسع مباريات في مختلف المسابقات، بسقوطه على أرضه أمام ضيفه وغريمه مانشستر سيتي في مباراة مؤجلة من المرحلة الحادية والثلاثين من الدوري.

ومع تبقي ثلاث مباريات للشياطين الحمر حتى نهاية الموسم، يجد الفريق نفسه سادسا في الترتيب مع 64 نقطة، بفارق ثلاث نقاط خلف تشيلسي صاحب المركز الرابع، آخر المراكز المؤهلة للمسابقة القارية الأم. ويحل تشيلسي ضيفا على يونايتد الأحد في المرحلة السادسة والثلاثين من الدوري الإنكليزي، في مباراة يتوقع أن تكون نتيجتها محورية في سباق الفريقين نحو ضمان مركز مؤهل إلى المسابقة القارية في الموسم المقبل.

وقال سولسكاير في تصريحات صحافية "علينا تقديم أداء أفضل الأحد.. بالطبع نريد أن نكون ضمن الأربعة الأوائل". وتابع "لم أخطط لخوض مباريات مساء الخميس (في إشارة إلى مباريات مسابقة "يوروبا ليغ") بعد. علينا فقط أن نمنح أنفسنا فرصة الأحد"، مضيفا "تتبقى لنا ثلاث مباريات حتى نهاية الموسم، ونبتعد بفارق ثلاث نقاط عن الأربعة الأوائل، وقبل أشهر، لم يكن أحد ليقول إننا نحظى بأي فرصة".

نقلة نوعية

تولى سولسكاير تدريب يونايتد في ديسمبر الماضي بعد إقالة البرتغالي جوزيه مورينيو على خلفية النتائج السيئة. وحقق النرويجي نقلة نوعية في أداء الفريق وأعاده إلى المنافسة على مركز مؤهل لدوري الأبطال في الموسم المقبل، وقاده إلى الدور ربع النهائي للمسابقة القارية هذا الموسم قبل الخروج على يد برشلونة الإسباني، لكن الفريق راكم النتائج السيئة في الفترة الماضية، وتلقى الأربعاء خسارته الثالثة في آخر ست مباريات في الدوري الإنكليزي الممتاز.

واستفاد يونايتد بشكل غير مباشر من تعثر منافسَيه على المركز الرابع، أي أرسنال وتشيلسي، بدورهما في الفترة الأخيرة، لاسيما أرسنال الذي تلقى الأربعاء خسارته الثانية تواليا محليا (أمام ولفرهامبتون 1-3)، وتشيلسي الذي اكتفى بالتعادل 2-2 مع ضيفه بيرنلي الإثنين في المرحلة الـ35.

ويرى النرويجي أن فريقه يحتاج لوقت طويل للوصول إلى مستوى لاعبي مانشستر سيتي. وفي تصريح صحافي، قال سولسكاير "لدينا وقت طويل للوصول إلى مستوى لاعبي مانشستر سيتي، فقد كانوا أفضل منا، وتعرضنا للهزيمة من أقوى فرق الدوري الإنكليزي".

وأضاف "هناك اختلاف في الجودة والإمكانيات بيننا وبينهم، لهذا السبب هم في المقدمة ونحن في مكاننا، لقد وضعوا المعايير التي ساهمت بشكل كبير في تطوير مستواهم". وأوضح "لا يمكننا إلقاء اللوم على اللاعبين فقد قاموا بالمطلوب منهم على أكمل وجه ممكن، يمكن أن يرى الجميع ذلك بوضوح وتركيز، نحن فقط بحاجة إلى مواصلة العمل".

وأشار "كانت النية لدى لاعبي مانشستر سيتي في تحقيق الفوز لمواصلة المنافسة على لقب الدوري، لقد أوقفونا جيدا". وفي ختام تصريحاته، دافع سولسكاير عن حارس مرماه الإسباني ديفيد دي خيا قائلا "قام ديفيد دي خيا بمجهود متميز، لديه معايير عالية، نحتاج إلى التمسك ببعضنا البعض خلال الفترة المقبلة، ويجب أن نعود للقتال مجددا داخل الملعب".

وقال سولسكاير في تصريحاته في الفترة الأخيرة "نحتاج لبناء فريق متكامل العناصر للمنافسة على الألقاب بالفترة المقبلة، إذا نظرنا لمانشستر سيتي أو ليفربول سنجد أنه تم بناء الفريقين من لاعبين مميزين، لذا نشاهد الآن صراعا عظيما بين الثنائي".

وأضاف "هناك فارق في الإمكانيات كبير بيننا وبين السيتي، فهو أصبح متفوقا علينا في كل شيء، وعلينا تقليص الفجوة التي حدثت بيننا وبينه بالفترة الأخيرة". وأتم "حصلنا على الدعم من الإدارة والجماهير، لكن في نهاية المطاف خسرنا أمام الفريق الأفضل، ولا يمكنني قول إن أي لاعب قام بالتقصير في المباراة".

انتقادات عنيفة

للمرة الأولى منذ استلامه تدريب مانشستر يونايتد في ديسمبر الماضي خلفا للبرتغالي جوزيه مورينيو، يتعرض أولي غونار سولسكاير لانتقادات عنيفة، بسبب تردي عروض الفريق في الآونة الأخيرة. وبدا أن مانشستر يونايتد في طريقه للتعافي بعدما حقق الانتصار تلو الآخر، قبل أن يقصي باريس سان جرمان من ثمن نهائي مسابقة دوري أبطال أوروبا، لكن سرعان ما تبددت مشاعر التفاؤل، وهو ما تجلى في المباراة الأخيرة للفريق بالدوري أمام إيفرتون، عندما سقط برباعية. وفي وقت يدافع فيه كثير من النقاد عن سولسكاير في وجه الانتقادات مثل غاري نيفيل، فإن آخرين يعتبرون المدرب النرويجي سببا رئيسيا في هذا التدهور، بسبب قرارات تكتيكية وأخرى متعلقة باختيار التشكيل الأساسي.

ومن أبرز الخطوات التكتيكية المتخذة من قبل المدرب النرويجي في المباريات الأخيرة، والتي جانبها الصواب بشكل لافت، هي المداورة في الهجوم فليس واضحا حتى هذه اللحظة من يحبذ سولسكاير إشراكه في خط هجومه المدجج بالنجوم، رغم أن الكفة تميل نسبيا إلى المهاجم الإنكليزي ماركوس راشفورد.

واستعاد رأس الحربة البلجيكي روميلو لوكاكو جزءا من مستواه بقيادة سولسكاير، لكن لا يمكن قول الأمر ذاته بالنسبة إلى الفرنسي أنتوني مارسيال الذي يبدو تائها على أرض الملعب، أما جيسي لينغارد فيبدو بعيدا بعض الشيء عن مستواه المعهود. الوحيد الذي لا تشمله المداورة في الهجوم هو التشيلي أليكسيس سانشيز الذي يتقاضى حوالي نصف مليون جنيه إسترليني أسبوعيا، وربما آن الأوان لمنحه فرصة جديدة، مع تبقي 4 مباريات على نهاية الموسم.

ومن أكثر الخطوات التي اتخذها سولسكاير إثارة للجدل، كانت عندما أشرك الظهير البرتغالي ديوغو دالوت في مركز متقدم بالخط الأمامي. ربما يرى سولسكاير في دالوت لاعبا صاحب قدرات هجومية فذة، لكن النقاد يعتبرون في الوقت ذاته أنه لا يجوز نقل مركزه فجأة في هذه المرحلة الحساسة من الموسم، خصوصا وأنه لا يزال طري العود ويحتاج لمزيد من الخبرة لترك تأثير فوري عندما يلعب بعيدا عن مركزه الأساسي.

ولا يدري أحد لماذا يصر سولسكاير على إشراك البرازيلي فريد في وسط الملعب، رغم أدائه المتدهور خلال المباريات الأخيرة. اللاعب البرازيلي الدولي لا يقدم المطلوب منه لا دفاعا ولا هجوما، في وقت جلس فيه مواطنه أندرياس بيريرا على مقاعد البدلاء، كما أن الاستمرار في إشراكه أثر على الصربي نيمانيا ماتيتش الذي جلس بديلا لمباريات عدة، قبل أن يقدم أداء مأساويا أمام إيفرتون.

وبات في حكم المؤكد أن يترك الإكوادوري أنتونيو فالنسيا ما نشستر يونايتد بعدما خرج من حسابات سولسكاير، لكن الاستمرار في إشراك أشلي يونغ بهذه الناحية لم يأت بنتائج إيجابية.

وأراد المدرب النرويجي حل هذه المشكلة في المباراتين الأخيرتين عن طريق إشراك السويدي فكتور ليندلوف في هذه الناحية رغم تألقه هذا الموسم في عمق الدفاع، وهو ما أثر على صلابة وتماسك الخط الخلفي، في ظل فشل كل من كريس سمولينج وفيل جونز في الارتقاء لمستوى الآمال المعقودة عليهما.

بات مانشستر يونايتد مهددا بخسارة أكثر من نجم للفريق في الموسم المقبل، إذا لم يتأهل الشياطين الحمر إلى بطولة دوري أبطال أوروبا.

> في وقت يدافع فيه كثير من النقاد عن سولسكاير في وجه الانتقادات مثل غاري نيفيل، فإن آخرين يعتبرون المدرب النرويجي سببا رئيسيا في هذا التدهور، بسبب قرارات تكتيكية

ووفقا لصحيفة "إكسبريس" البريطانية، فإن الثلاثي بول بوغبا ودافيد دي خيا وروميلو لوكاكو سيطلبون الرحيل عن اليونايتد، إذا لم يشارك الفريق في دوري الأبطال بالموسم المقبل.

ويعاني اليونايتد حاليا من تدهور وضعه في جدول البريميرليغ. ويحظى بوغبا باهتمام من قبل ريال مدريد ويوفنتوس في الموسم الحالي، كما أن اللاعب يسعى للتدرب تحت قيادة زين الدين زيدان المدير الفني للميرنغي. أما دي خيا، فسيدخل العام الأخير في عقده مع اليونايتد دون أن يوافق على التجديد، حيث أن اللاعب يسعى لزيادة راتبه عن 350 ألف جنيه إسترليني أسبوعيا.

ويعاني لوكاكو من أنه ليس المهاجم الأول في الشياطين الحمر، حيث أن المدرب النرويجي أولي غونار سولسكاير يفضل ماركوس راشفورد عليه.

ويتذكر عشاق مانشستر يونايتد الفترة التي قضاها "صاحب الوجه الطفولي" كلاعب، إذ أنه لم يبرز كثيرا عندما كان يتواجد في التشكيلة الأساسية، لكنه اكتسب شهرة كبيرة من خلال التواجد على دكة البدلاء، قبل أن ينزل إلى أرض الملعب، ويسجل أهدافا حاسمة. وفي تسعينات القرن الماضي، تعاقد يونايتد مع المهاجم الإنكليزي أندي كول، ثم استقطب الترينيدادي دوايت يورك، فكوّن الاثنان شراكة مثمرة في خط الهجوم، وغالبا مع كان يشارك سولسكاير كبديل لواحد منهما.

فرح يتحدى المشاكل قبل مواجهة كيبتشوج في صراع مثير بماراثون لندن

الكينية كيتاني تسعى لمعادلة رقم النرويجية كريستيانسن بالفوز للمرة الرابعة

وسط موجة من المشاكل تتضمن ادعاءات بالسرقة والاعتداء بالضرب خلال معسكره التدريبي بإثيوبيا، يخوض العداء البريطاني الشهير محمد (مو) فرح، الأحد، فعاليات ماراثون لندن العريق ليكون التحدي الأبرز للعداء الكيني إليود كيبتشوج حامل لقب السباق.

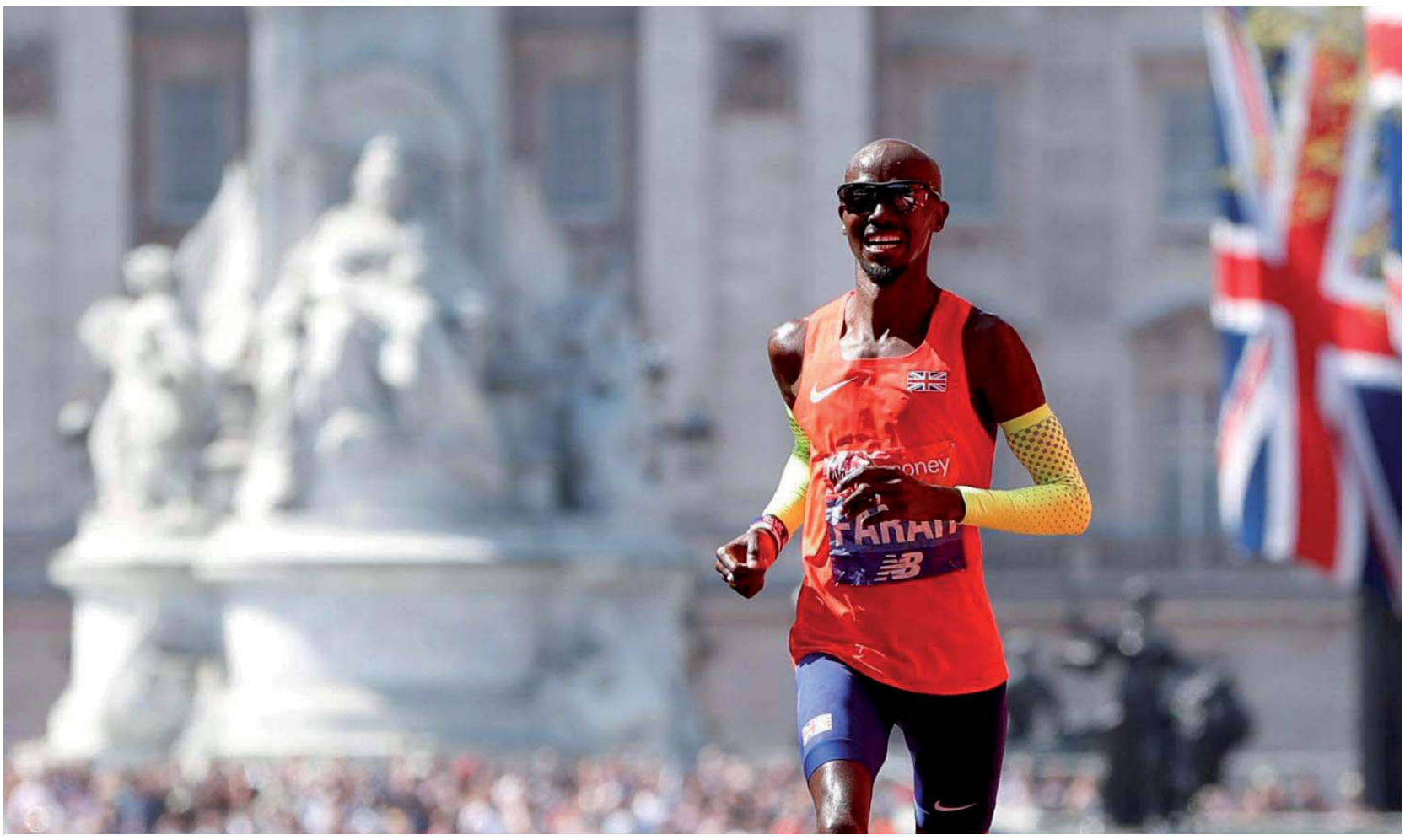

❑ **لندن** – يخوض العداء الكيني إليود كيبتشوج، الأحد، بلندن أول ماراثون له منذ تحطيم الرقم القياسي العالمي للسباق في سبتمبر الماضي، ويصطدم كيبتشوج في هذا السباق بالبريطاني فرح الذي يسعى إلى إثبات جدارته في سباقات الطرق بعدما حقق نجاحا هائلا في الماضي بسباقات المضمار.

ويتطلع كيبتشوج إلى رقم قياسي جديد من خلال إحراز لقب السباق، ليكون الرابع له في تاريخ ماراثون لندن وهو ما لم يتحقق لأي عداء من قبل.

وفي المقابل، يتعطش فرح إلى تحقيق المزيد من النجاح في سباقات الطرق بعدما أحرز لقب سباق ماراثون شيكاغو في أكتوبر الماضي، وقد تمنحه المشاكل التي أحاطت به في إثيوبيا حافزا أكبر على النجاح في ماراثون الأحد.

ومنذ أن حطم الرقم القياسي العالمي لسباق الماراثون في ماراثون برلين خلال سبتمبر الماضي، لم يشارك كيبتشوج في أي سباق من سباقات الماراثون.

ويستحوذ كيبتشوج على الرقم القياسي العالمي (ساعتان ودقيقة واحدة و39 ثانية) حتى الآن حيث تفوق على الرقم القياسي العالمي السابق بفارق أكثر من دقيقة واحدة.

وقال كيبتشوج (34 عاما) حامل اللقب الأولمبي لسباق الماراثون "أحب لندن، إنني جاهز للمشاركة والمنافسة".

وأحرز كيبتشوج اللقب في 11 سباقا من سباقات الماراثون الـ12 التي خاضها حتى الآن، ومنها ماراثون لندن الذي توج بلقبه في 2015 و2016 و2018.

وأوضح "أي شخص من الممكن أن يتعرض للهزيمة، مو فرح يمكنه التفوق عليّ، وآخرون يمكنهم التفوق عليّ، ولكن أفضل شيء هو أن تستطيع تقبل النتائج، هذه هي الطريقة الوحيدة للاستمتاع بالرياضة".

وكان مو فرح حصل على وسام "فارس" من الملكة إليزابيث الثانية في 2017 لخدماته وما قدمه في عالم ألعاب القوى، حيث توج العداء البريطاني الشهير بأربع ميداليات ذهبية في سباقي خمسة آلاف متر وعشرة آلاف متر بالدورات الأولمبية. وحقق فرح انتقالا ناجحا من سباقات المضمار إلى سباقات الطريق، كما حل ثالثا في سباق ماراثون لندن العام الماضي وانتزع لقب ماراثون شيكاغو بزمن ساعتين وخمس دقائق و11 ثانية، ليكون أفضل رقم لعداء أوروبي في هذا الماراثون.

تحد جديد

وقال مو فرح "أتعلم بشكل مستمر.. الماراثون يختلف تماما عن سباقات المضمار، وخوض السباق أمام إليود في لندن العام الماضي بدا وكأنك تسلك الطريق الصعبة، ولكنني أرى أنني تعلمت الكثير".

وفيما يبدو كيبتشوج هو الأقرب إلى لقب الماراثون في مواجهة فرح الذي لا يحظى بنفس الخبرة، أبدى العداء الكيني انبهاره وإعجابه بمنافسه البريطاني.

وقال كيبتشوج "إنني مندهش بالفعل من تعلمه بسرعة فائقة، مثلما هو الحال في سرعته بالسباق، يتعلم مو بسرعة هائلة".

وطغت المشاكل في معسكره التدريبي بأثيوبيا والاتهامات المتبادلة مع العداء الأثيوبي السابق هايلي جبريسلاسي على استعدادات فرح لسباق الأحد، حيث أكد مو أنه تعرض للسرقة في فندق بأثيوبيا يمتلكه جبريسلاسي.

وفي مؤتمر صحافي قبل أيام، أكد فرح أنه تعرض لسرقة ما قيمته 2600 جنيه استرليني (بعملات مختلفة) وساعة قدمتها إليه زوجته هدية في عيد ميلاده وهاتفين من حقيبة مغلقة داخل غرفته بالفندق، وأن جبريسلاسي لم يفعل ما يكفي لمساعدته. ورد جبريسلاسي بتوجيه اتهام إلى العداء البريطاني بالابتزاز و"السلوك المشين" خلال إقامته في الفندق.

ويبدو أن هذه المشكلة ستختفي مع تركيز مو فرح في النسخة التاسعة والثلاثين من ماراثون لندن، الأحد، والتي يشارك فيها نحو 40 ألف عداء.

ويدرك فرح أن كيبتشوج ليس المنافس الوحيد الذي يواجهه في السباق، إذ أن السباق يتضمن العديد من العدائين المتميزين مثل الأثيوبي شورا كيتاتا صاحب المركز الثاني في نسخة العام الماضي والكيني ويلسون كيبسانج الذي تفوق على كيبتشوج في ماراثون برلين عام 2013 محققا رقما قياسيا عاليا في ذلك الوقت، كما توج كيبسانج بلقب ماراثون لندن في 2014.

وتبرز الكينية ماري كيتاني الفائزة باللقب ثلاث مرات سابقة ومواطنتها وصديقتها فيفيان شيريوت حاملة اللقب، بين أقوى المرشحات للمنافسة على اللقب، في ما يصفه المنظمون بـ"أفضل نسخة لماراثون السيدات".

وإذا أحرزت كيتاني اللقب الأحد، ستعادل إنجاز النرويجية إنجريد كريستيانسن التي توجت بلقب ماراثون لندن أربع مرات، وهو رقم قياسي لم تحققه أي عداءة قبلها.

احتفل مثلما شئت

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❑ "أنا ممتن كثيرا لليفربول وسعيد بأنني مررت على هذا النادي، لقد لعبت له كثيرا وفتح أمامي أبواب الشهرة، لكن ذلك لن يمنعني من الاحتفال إذا سجلت في مرماه".

هي كلمات بسيطة وموجزة، لكنها معبّرة صدرت عن نجم برشلونة لويس سواريز قبل أيام من المواجهة المرتقبة التي تنتظر فريقه الحالي ضد ناديه السابق.

مشاعر سواريز كانت صادقة وخالية من كل تزويق، لقد أعلنها صراحة مؤكدا أنه لن يتورّع عن إبداء مشاعره عند اللقاء المرتقب بين الفريق الكاتالوني وضيفه "الليفر" الأربعاء المقبل ضمن ذهاب نصف نهائي دوري الأبطال.

فسواريز لخّص كل شيء وأوجز كل المسيرة في ركن واحد، هو ركن البيت الكاتالوني الذي عاش معه المجد وكتب من خلاله التاريخ الكروي الخاص به.

هو لم يتنكر لتجاربه السابقة، هو لم يضمر العداء لليفربول، بل أثبت فقط الولاء لناديه الحالي، أظهر أن زمن الاحتراف لا يتعاطف مع الماضي بل هو انصهار فقط في ما هو حاضر، ولم لا تطلع إلى ما هو آت.

سواريز، هذا اللاعب البالغ من العمر 32 عاما بدأ مسيرته فتى يافعا متألقا في مسقط رأسه بالأوروغواي، حيث تألق مبكرا فلعب مع نادي ناسيونال قبل أن تلحظه أعين الكشافين من أوروبا لتكون هولندا بوابته إلى القارة العجوز.

بدأت الرحلة نحو أضواء أوروبا من الأبواب الخلفية حيث انضم إلى فريق غرونينغن المغمور، لكنه تمكن بسرعة من خطف الأنظار، فتلقفته أيادي صناع القرار في نادي أياكس أمستردام.

وبما أن الأياكس هو "منجم" الذهب الذي لا ينضب، وهو مصنع النجوم الواعدة، فقد تم صقل جوهرة مدينة مونتيفيديو وأصبحت جاهزة للتصدير، فدفع نادي ليفربول الغالي والنفيس من أجل الظفر بهذا الكسب الثمين.

بدأت رحلة النجومية والشهرة، انطلقت ماكينة الأهداف في العمل الدؤوب، ونجح سواريز في أن يثبت للجميع أنه موهبة نادرة وهداف بارع وماهر، لقد سجل عددا كبيرا من الأهداف، لقد أظهر خلال المواسم الثلاثة التي قضاها بقميص "الريدز" أنه لاعب موهوب.

بيد أن سواريز لم يتمكن من تذوّق حلاوة البطولات والتتويجات في إنكلترا، لقد اكتفى بلقب يتيم لا يساوي شيئا في دفاتر نجم يسعى للهيمنة والتفوق واكتساح البطولات ليس محليا فحسب، بل أوروبيا وعالميا.

ربما يتذكر سواريز تلك الحادثة التي لن ينساها أبدا جمهور ليفربول عندما ضاع لقب الدوري الإنكليزي في آخر جولات موسم 2013 ـ 2014 بطريقة درامية ومبكية بعد السقطة الشهيرة للقائد السابق ستيفن جيرارد.

لقد أيقن أن هذا الفريق تحاصره "لعنة" مزمنة تجعل الألقاب مستعصية عليه في كل مرة، تجعل لقب الدوري الإنكليزي الغائب عن خزائن النادي منذ سنة 1990 أشبه بسراب.

إذًا، فالرحيل أفضل والهروب أسلم واختيار الوجهة القادمة بحكمة أمر ضروري، وسواريز اختار الرحيل إلى درب سالك يجنب المخاطر والمهالك، ويوفر الاستقرار الدائم والغنائم، هو درب برشلونة بقائدها الأسطوري ميسي.

لم ينتظر فتى الأوروغواي كثيرا، حيث تمكن منذ موسمه الأول من تذوّق حلاوة الألقاب محليا وأيضا أوروبيا.

في موسمه الأول مع النادي الإسباني، عاش سواريز على وقع بداية صعبة حيث كان معاقبا من قبل الفيفا بسبب اعتدائه على الإيطالي كيليني في كأس العالم 2014، لكنه لم يتأثر، بل صبر ونال ما أراد.

فبرشلونة كان بمثابة الملاذ الآمن حيث وفر له كل أسباب الراحة والعيشة الهانئة، لقد أنساه سريعا كل تجاربه السابقة وفتح أمامه أبوابا بعرض الآفاق الممتدة كي يمرح وينجح ويفجر كل طاقاته ومواهبه الكروية.

لقد منحه شرف مزاملة لاعبين رائعين للغاية يعتبرون من الصنف الأول عالميا، لقد كان له شرف اللعب مع نيمار وشابي وإينييستا وبوسكيتس، والأكثر من ذلك اللعب مع نجم النجوم ميسي.

فهل ما زال يحنّ إلى الماضي كل من لعب وزامل وأصبح صديقا مقربا لميسي؟ هل من بات يحصل على البطولات في كل موسم وفصل ما زال يتعاطف مع تاريخه السابق؟

بلا شك يبدو الأمر صعبا وغير وارد خاصة مع سواريز الذي وجد راحته في ظل ميسي، وجد النعيم الذي طالما حلم به في السابق.

فكيف لا يحتفل إذا نال من مرمى فريق الأمس خصم اليوم؟ سيحتفل ويفرح ويمرح وإن لزم الأمر فليرقص.

لقد انتهت إلى الأبد مرحلة الحنين إلى الماضي، لا مجال للعواطف والمشاعر الجياشة المفتعلة والكاذبة، فسواريز سقط في هوى فريق واحد فقط، هو برشلونة.

لقد عشقه وكم تمنى أن يرتدي زيه، أما بقية الفرق التي لعب لها فكانت مجرد سلالم كان يتعين عليه أن يتسلقها كي يصل إلى قلب "محبوبته" الكاتالونية.

لكن ماذا لو انقلبت الآية وحصل العكس وتمكن نجوم ليفربول من التلاعب ببرشلونة؟ ماذا لو فشل سواريز مجددا مثلما حصل في السنوات الثلاث الأخيرة ولم يتمكن من مساعدة فريقه على الوصول إلى المباراة النهائية؟

بلا شك فإنه لن يسعد أبدا لو تأهل ليفربول، بكل تأكيد سيصاب بالإحباط وربما لن يساند ليفربول في النهائي، هو لن يحتفل إلاّ إذا فاز برشلونة، فاحتفل مثلما شئت، لكن ليس قبل أن تسجل وتتأهل.

بوتاس ولوكلير يتطلعان إلى مواصلة التألق في أذربيجان

❑ **باكو** – عندما تستأنف منافسات بطولة العالم لسباقات سيارات فورمولا- 1، الأحد، بإقامة سباق الجائزة الكبرى في أذربيجان على مضمار باكو، يتطلع فالتيري بوتاس سائق مرسيدس وشارل لوكلير سائق فيراري إلى مواصلة التألق وخطف الأضواء من زميليهما المتوجين من قبل ببطولة العالم.

وقدم بوتاس ولوكلير خلال السباقات الثلاثة الأولى من بطولة العالم هذا الموسم ما يكفي لتوقع دخولهما في منافسة قوية ومثيرة مع زميليهما، لويس هاميلتون سائق مرسيدس وسيبستيان فيتيل سائق فيراري.

وتوج بوتاس بسباق فورمولا- 1 الأسترالي، ثم أحرز المركز الثاني في كل من سباقي البحرين والصين خلف حامل اللقب هاميلتون.

واعتلى بوتاس المنصة، ضمن أصحاب المراكز الثلاثة الأولى، في مشاركتيه السابقتين بسباق أذربيجان بسيارة مرسيدس، أما لوكلير فيتأخر بفارق نقطة واحدة عن فيتيل في الترتيب العام لفئة السائقين، علما بأنه تقبل تعليمات من الفريق مرتين لصالح زميله الألماني، ويتأهب للمنافسة على المضمار الذي يعتبره من بين ساحات المنافسات المفضلة بالنسبة إليه.

وكان لوكلير قد توج بسباق فورمولا- 1 على مضمار باكو في عام 2017، وأحرز المركز السادس عليه بسيارة ساوبر في الموسم الماضي.

ويتوقع أن يستفيد فيراري من مسافة مستقيمة طولها 2.2 كيلومتر بمضمار باكو الذي يتضمن منعطفات بسيطة يمكن تجاوزها بسرعة كبيرة.

وقال لوكلير "حلبة أذربيجان واحدة من الحلبات المفضلة بالنسبة إليّ في الموسم، إنني ببساطة أحبها ودائما ما أؤدي عليها بشكل جيد".

وأضاف "القاعدة بسيطة للغاية: لا تفقد التركيز خلال السباق وإلاّ سيؤدي الخطأ الأول إلى اصطدامك بالحائط، باكو مضمار يتطلب الكثير لكنني لا أطيق انتظار المنافسة عليه".

مضمار صعب

لعبة إلكترونية تتذكر أكبر كارثة نووية في العالم

جسدت لعبة إلكترونية كارثة مدينة تشرنوبيل الأكرانية التي تعد أكبر كارثة نووية في العالم. وفي اللعبة المستوحاة من فيلم الخيال العلمي "أفاتار"، يتحكم اللاعبون في إنسان آلي يتحرك في أنحاء نموذج مصغر للبلدة.

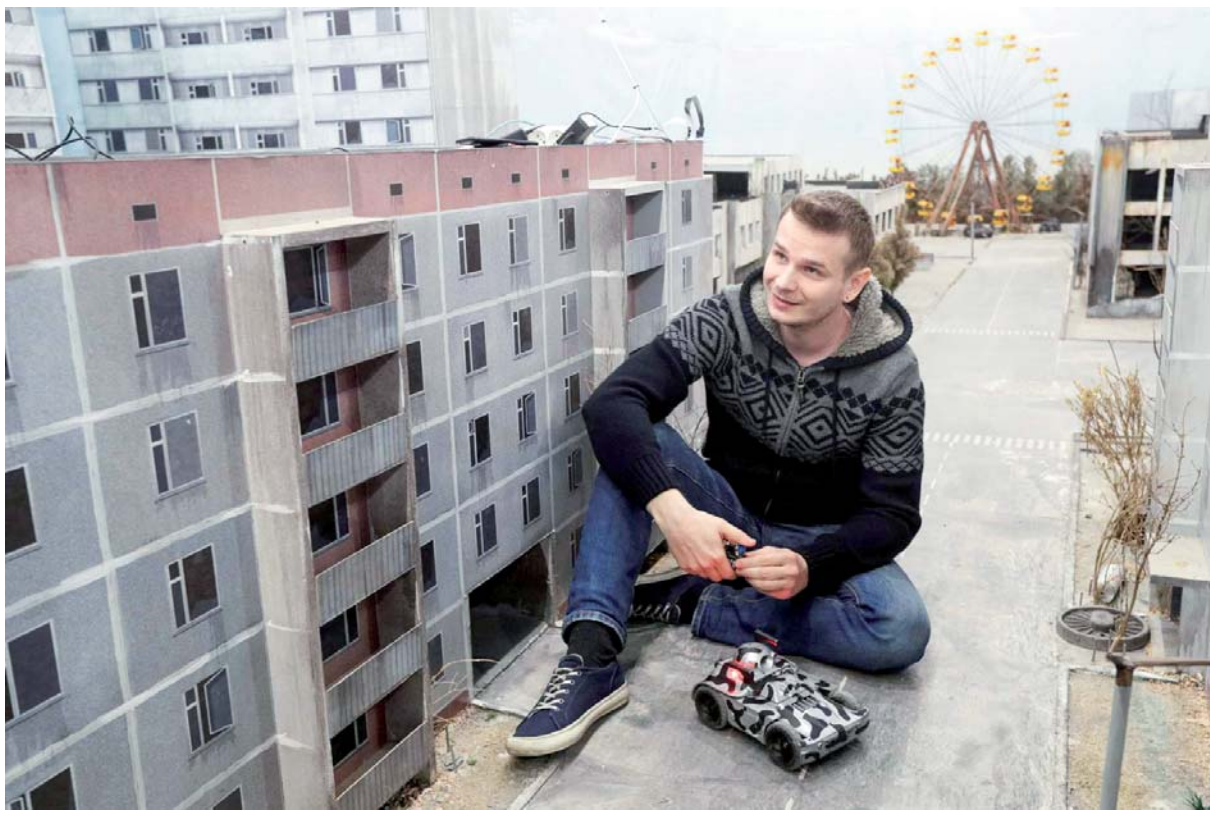

الواقع والخيال في لعبة

❏ **كييف** – أعادت لعبة كمبيوتر أوكرانية الحياة إلى بلدة هجرها سكانها بعد كارثة تشرنوبيل النووية. وقد لا تبدو لعبة كهذه أمرا ممتعا للكثيرين لكنها جذبت 60 ألف شخص على مستوى العالم منذ إصدارها في أكتوبر. ففي لعبة "أيزوتوبيوم: تشرنوبيل" يقود اللاعبون دبابات في بلدة بريبيات التي تقع قرب تشرنوبيل وأصبحت مدينة أشباح بعد الكارثة. ويقضي اللاعبون على منافسيهم أثناء البحث عن مصادر للطاقة تدعى أيزوتوبيوم ويجمعون النقاط كلما وجدوا بعض هذه المصادر.

وفكرة اللعبة مأخوذة من الكارثة النووية التي وقعت في مدينة تشرنوبيل بشمال أوكرانيا وحلت ذكراها الثالثة والثلاثين الجمعة، كما أنها مستوحاة من فيلم الخيال العلمي "أفاتار" الذي صدر عام 2009.

ويظن اللاعبون الجدد أنهم دخلوا عالما افتراضيا، لكنهم في حقيقة الأمر يتحكمون في إنسان آلي حقيقي مزود بكاميرا وكمبيوتر ويتحرك في أنحاء نموذج مصغر للبلدة يضم أهم وأدق تفاصيلها.

وقال سيرجي بسكريستنوف الذي شارك في تصميم اللعبة "خلال الدقائق الخمس أو العشر الأولى، لا يدرك الكثير ممن يلعبون لعبتنا أنها ليست خيالا". وأضاف بسكريستنوف، الذي كان يتحدث من ميدان مدينة بريبيات وسط النموذج المصغر للمدينة ويقف وسط مبان من خمسة طوابق أقصر منه بكثير، "يرد الناس 'هذا ليس نظام تشغيل، إنه حقيقة'. ويجد اللاعب صعوبة في تصديق الأمر".

ولد بسكريستنوف في كييف، وكان عمره 12 عاما عند حدوث الكارثة في 26 أبريل 1986 بسبب إجراء تجربة فاشلة في مفاعل نووي بأوكرانيا، عندما كانت جزءا من الاتحاد السوفييتي، ما أدى إلى انبعاث سحب من مواد نووية انتشرت عبر مساحات واسعة في أوروبا ودفع أكثر من 50 ألف شخص إلى الفرار. كما أصيب عدد غير محدد من العمال بالتسمم في عمليات التنظيف. وتباينت التقديرات بشأن عدد ضحايا هذه الكارثة، ففي حين قدرت الأمم المتحدة عدد من قتلوا بأربعة آلاف شخص، قالت السلطات الأوكرانية إن العدد يبلغ ثمانية آلاف شخص.

واستخدم بسكريستنوف وشريكه أليكسي فاتييف خرائط غوغل ومئات الصور من منطقة تشرنوبيل لإعادة المعالم الرئيسية في بريبيات إلى الحياة بما في ذلك مبان سكنية وفندق وقاعة حفلات ومتنزه وملعب.

ويحتل نموذج اللعبة قبو مبنى سكني مساحته 180 مترا مربعا بمدينة بروفاري، على بعد 150 كيلومترا فقط عن منطقة تشرنوبيل المحظورة و30 كيلومترا شرقي كييف. ويمكن للاعب اليقظ ملاحظة شيء واحد غير دقيق على الأقل في اللعبة وهو أن مفاعل تشرنوبيل لم يكن في حقيقة الأمر داخل البلدة مثلما هو الحال في اللعبة.

وتبلغ تكلفة دخول هذه الأجواء الكارثية تسعة دولارات في الساعة.

إماراتية تستعيد وعيها بعد 27 عاما في حالة نادرة

❏ **باريس** – ذهل العالم بحالة الإماراتية منيرة عمر التي استعادت وعيها الكامل هذا الأسبوع ظنا منه أنها أفاقت من غيبوبة استمرت 27 سنة، لكن القول إنها "استفاقت من غيبوبة" ليس دقيقا وينبغي عدم تبسيط الأمور "كما لو أنها تحدث في أفلام"، بحسب خبراء.

كانت منيرة عمر في الثانية والثلاثين من العمر عندما تعرّضت لحادث سير سنة 1991 خلال اصطحابها ابنها إلى المدرسة في مدينة العين (شرق الإمارات). وقد فقدت وعيها ولم تستعده بالكامل حتى مايو 2018. ونجا ابنها عمر من الحادثة. وهو اليوم في الثانية والثلاثين من العمر. وقال "لطالما آمنت بأن الوضع الصحي لوالدتي سيتحسّن".

وأوضح الطبيب الألماني فريدمان مولر الذي عالجها، لمجلة "دير شبيغل"، أنه بالمعنى الدقيق للكلمة، لم تكن المرأة في غيبوبة بل كانت في حالة من "الحد الأدنى من الوعي". وأضاف مولر –وهو كبير الأطباء في عيادة شون في باد ايبلينغ الألمانية– أنه حتى قبل أن تستعيد وعيها بالكامل كانت "قادرة على النظر إلى شيء معين لفترة قصيرة من الوقت... وكان تفاعلها شديدا خصوصا عندما ترى وجه ابنها".

عانت منيرة عمر من "اضطراب في الوعي" وهو مصطلح شامل لثلاث حالات مختلفة هي الغيبوبة العميقة حين يكون المريض غير واع وغير متجاوب، وحالة نباتية عندما يكون المريض يقظا لكن غير متجاوب، وأخيرا حالة من "الحد الأدنى من الوعي".

وقال بنيامين روهوت، طبيب الأعصاب في معهد الدماغ والحبل الشوكي بمستشفى بيتييه سالبيتريير في باريس، إن الحالة الأخيرة تنطبق على الأشخاص الذين "خرجوا من الحالة النباتية واستعادوا قدرا من الإدراك".

ويمكن للأشخاص الذين لديهم الحد الأدنى من الوعي تتبع حركة شخص ما بأعينهم أو إظهار علامات على محاولتهم سحب ذراع عندما يقرصون في اختبار للتفاعل مع الألم.

وأوضح مارتن مونتي، الأستاذ المشارك في قسم جراحة الدماغ والأعصاب في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلس، "من الناحية التقنية، كانت المريضة –وفق وصف الطبيب– مستيقظة أصلا". وأضاف "ومع ذلك، فقد خرجت حتما من حالة اضطراب وعي".

وأشار مولر إلى أن الأمر حصل بشكل تدريجي، وفي النهاية "كانت قادرة على نطق اسم ابنها وإلقاء التحية علينا والاستشهاد ببعض الآيات من القرآن". وقالت جيني كيتزنغر، المديرة في مركز الأبحاث حول الغيبوبة واضطرابات الوعي في جامعة كارديف، إن "هذه الحالات نادرة جدا، ولهذا السبب تتصدر عناوين الصحف". وأضافت "تعمل تقارير وسائل الإعلام أحيانا على إعطاء رؤية غير واقعية إلى حد ما لما يبدو عليه (التعافي)".

وأوضحت "من المهم التبصّر في معنى (الاستفاقة) بعد سنوات من حالة الحد الأدنى من الوعي، وليست الأمور بهذه البساطة كما لو أنها تحدث في أفلام".

واتبع الطبيب مولر أسلوب علاج متعدد الجوانب، مع تمرين العضلات للمساعدة في خفض نسبة التشنج وهو أمر شائع بعد تعرض الدماغ لإصابة، والعلاج الفيزيائي الكامل، وتعريض المريض لكل أنواع المحفزات بما في ذلك التواصل مع العائلة والأصدقاء. وقال روهوت "هو نهج شامل والهدف منه زيادة فرص التعافي". وأضاف أنه ربما ساهم خفض جرعة الدواء الذي كانت منيرة عمر تأخذه في الخروج من حالتها.

ويلفت مولر إلى أن عمر "يمكنها الآن التفاعل بوعي مع بيئتها". ومع ذلك، يجب ألا تكون التوقعات مبالغة.

صباح العرب

عدلي صادق

العباسيون و«المسجديون»

❏ يتوافق الباحثون في التاريخ الاجتماعي للمسلمين على أن تفشي الشح مع اللؤم، كان من أظهر سمات العصر العباسي، ومن المفارقات أن البخلاء في ذلك العصر، حسب ما أبلغنا الجاحظ، أسسوا رابطة وكانوا يجتمعون في مسجد "ابن رغبان" في بغداد، يتدارسون قضاياهم، ويناقشون كل ما يهمهم للدفاع عن بخلهم والاحتجاج له، بالألفاظ الحسان وبجودة الاختصار ويذمون الكرام ويحتقرون ما يسمونه "غفلتهم في الحياة"!

كان أولئك البخلاء من وجهاء القوم والطبقة السياسية، ويتخذون من المسجد مكانا لانعقاد اجتماعاتهم، فأطلق عليهم الناس لقب "المسجديين". ولعل أطرف ما في الأمر أن إمامهم كان يُدعى عباس الثوري، الذي عُرف بإفراط شحّه وبمجافاته للمحامد والمكارم، ونفوره من "كل ما أوجب الشكر، ونوّه بالذكر، وادخر الأجر" حسب وصف الجاحظ الذي قال عنه "إن ابُتلي بضيف جائع، سيكون أهون عليه أن يطعن الضيف في شرف أنبل وأتقى المسلمين، من أن يطعن في الرغيف الثاني"، وزاد الزمخشري فوصف عباسا بكونه "الأصيل في اللؤم"!

المسجديون، بدورهم، نازعوا عباسا على زعامته وسلطته. واحد منهم يزاود عليه فيطلق على الكرام لقب "اللحميين" أي المُفرطين في تناول لحوم الماعز والدجاج. وقال لابنه على مسمع من الجميع، محذراً إياه من التشبه بالبغال غليظة الأعضاء التي كانت تسمى البراذين "اعلم يا بُني، إذا كان في الطعام شيء ظريف، ولقمة كريمة، ومضغة شهية، فإنما ذلك للشيخ المعظم، والصبي المدلل، ولست أنت واحدا منهما، فلا تنهش نهش البراذين، ولا تُدم الأكل إدامة النعاج، ولا تلُقم فمك لقم الجمال، إن شهوات البطن جلابة الفقر والحاجة"، ثم أردف قائلا للفتى ولأصحابه معاً "إياكم وهذه المجازر ، فإن لها ضراوة كضراوة الخمر"!

واحدٌ ثان، أحس أن صاحبه قد أجاد، فتدبر لنفسه مَداخلة أعتى، من نوع الزجر الديني فقال "اعلموا أن الشبع داعية البَشَم (أي التُخمة) والبشم داعية السَقم، والسَقم داعية الموت، ومن مات هذه الميتة، يُمنى بميتة لئيمة، وهو قاتل نفسه، وقاتل نفسه أَلْوَمُ من قاتل غيره، وأعجبوا إن أردتم العجب"!

كان ذلك في سياق الشُح على النفس، أما الشح على الآخرين فقد كان أشد غلاظة ولؤماً، وتولى شرحه عباس الثوري نفسه، داعياً أصحابه البخلاء إلى منع الفقراء من الشبع وملء البطون، تحاشياً للخطر، بذريعة أن الناس إن شبعت تكرشت. فممتلئ البطن يقصر عن الصلاة لصعوبة الركوع والسجود. فقد ترافق هجاء الجاحظ شح المسجديين ولؤمهم مع مدح فصاحتهم وبيانهم، حتى ليخيل إلينا أنه اعتبر البخل واللؤم والبلاغة وحلاوة اللسان، عناصر مترابطة لا انفصام لها!

قالت النجمة سكارليت جوهانسون «كانت هدية اللياقة أحد أفضل الأجزاء في العمل لدى مارفل»، وفق موقع «هوليوود ريبورتر». وكشفت أنها قبل دور بلاك ويدو لم تطأ قدمها النادي الرياضي.

رسم لبانكسي في لندن يدعو إلى إنقاذ الكوكب

❏ **لندن** – ظهر الجمعة عمل جديد يعتقد أنه من توقيع أشهر رسامي الغرافيتي في العالم بانكسي قرب قوس النصر الرخامي في لندن حيث خيّم لأيام محتجون يطالبون باتخاذ تدابير لمواجهة التغيّر المناخي.

ويظهر هذا العمل طفلة تحمل رمز مجموعة "إكتسنشن ريبيليون" التي تقف وراء الاحتجاجات، وهي رابضة قرب مجرفة ونبتة للدلالة على أن الوقت ينفد، وهو ما ليس في صالح إنقاذ الكوكب.

وإلى جانب العمل الواقع في واحد من أكثر الطرق ازدحاما في وسط لندن، كتبت جملة "من هذه اللحظة ينتهي اليأس ويبدأ التكتيك".

وصرح العامل في مجال المزادات آندرو تيتلي، لصحيفة "إيفننغ ستاندرد"، "أعتقد اعتقادا راسخا أنه هو".

وقالت رسامة الغرافيتي ليندسي سولومونز (53 عاما)، لوكالة فرانس برس، "لم يجر التأكيد بوضوح على أن العمل لبانكسي، لكن من الواضح أن هناك الكثير من الإثارة حوله". وأوضحت "أعتقد أن الرسالة تتحدث عن نفسها ومفادها أنه إذا لم نفعل شيئا لإنقاذ هذا الكوكب بسرعة، فسنكون في حال يائسة، وهو يجسد هذا الأمر جيدا".

ولا تزال هوية بانكسي لغزا لا يعرف حقيقته سوى حفنة من المقرّبين من الفنان منذ بداياته في تسعينات القرن الماضي.